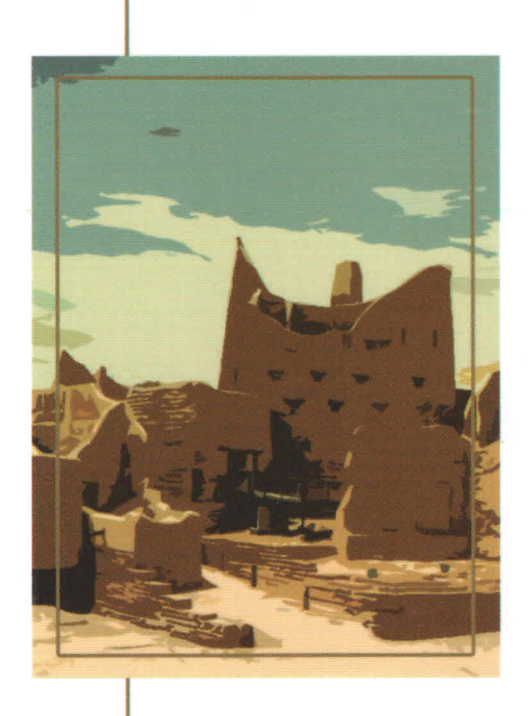




أبحاث ومقالات عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلمائها



د. عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف



أبحاث ومقالات عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلمائها

ح شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد

مشرفيات - أبحاث ومقالات عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلمائها. / عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف - ط١. الرياض، ١٤٤١هـ

ص ٣١٦؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٢-٣١٣٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، ١١١٥-١٢٠٦هـ

٢ - الدعوة السلفية - السعودية

أ. العنوان

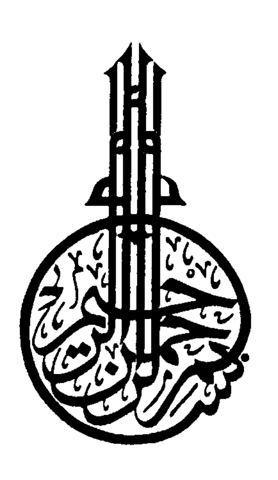
ديوي ٢١٧,٢ ١٤٤١/٥٨٣٩

رقم الإيداع: ١٤٤١/٥٨٣٩

ردمك: ٢-٣١٣٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م





الفهرس

العنوان	الصفحة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فلا تزال الدعوة الإصلاحية التي جدَّدها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مجالًا رحبًا لمن أراد أن يقدم بحثًا بديعًا، أو يسطر مقالة مفيدة، أو يحقق مسألة مشكلة، أو يحرر قضية شائكة، أو يُظهِرَ أمرًا خفيًّا يتعلق بهذه الدعوة، بعيدًا عن الرتابة والتكرار.

وهذا الكتاب الموسوم بـ«مشرفيات»[1] محاولةٌ لإضافة جديد، وإبراز خفي، وتحرير مشكل متعلق بقضايا هذه الدعوة الإصلاحية، ويتكون هذا الكتاب من شِقَّيْن: «أبحاث» و«مقالات»:

أما الأبحاث فهي أربعة أبحاث محكمة:

١. التعامل مع النوازل العقدية «نموذج تطبيقي لعلماء الدعوة الإصلاحية».
٢. موقف عثمان بن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب «مراجعاتٌ من خلال رسالتَي ابن عفالق».
٣. جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية بنجد.

---

(١) نسبةً إلى أحد أجداد الإمام، وذلك أنه محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن «مشرف» التميمي.

٤. مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية خلال القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر.

وأما المقالات فهي مجموعة من المقالات المحررة والمنشورة في «مجلة البيان» تناولت قضايا مهمة تُعنىٰ بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلمائها، كإبراز جهودهم العلمية والدعوية والاحتسابية، أو براءتهم من مذاهب الغلاة، وقد رُتِّبت حسب ترتيبها الزمني، الأحدث فالأحدث.

ثم حَسُنَ ختمُ الكتاب بالحديث عن الجوانب التعبدية عند علماء هذه الدعوة الإصلاحية.

نرجو من الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يحصل به جلاء حق وصواب، وبالله التوفيق.

أولًا: الأبحاث



(١)

التعامل مع النوازل العقدية

نموذجٌ تطبيقي لعلماء الدعوة الإصلاحية[١]

---

(١) طبع ضمن كتاب «بحوث علمية محكمة» للمؤلف بمكتبة الرشد (١٤٢٩هـ).

لا تزال جوانب مهمة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١] رحمه الله تعالىٰ مجالًا رحبًا لمن أراد البحث والتحقيق، فمع كثرة المؤلفات والرسائل العلمية التي استوعبت وحررت قضايا ومسائل مهمة في شأن هذه الدعوة المباركة، إلا أن جملة من الموضوعات الحية لم تأخذ حقها من البحث، فهي بحاجة إلىٰ تحقيق وتحرير، ومن ذلك جهود علماء هذه الدعوة السلفية تجاه النوازل العقدية، وموقفهم منها، وكيفية معالجتهم تلك الوقائع والأحداث، فأحسب أن هذا الموضوع من الموضوعات الملحة والتي تفتقر إلىٰ تجلية وتعليق، لا سيما في السنوات الأخيرة التي اشتدت فيها ضراوة الهجمة الشرسة علىٰ هذه الدعوة، فكثر الاعتراض والشغب.

وأما المقصود بالنوازل فمن خلال الاطلاع علىٰ أبحاث تعنىٰ بذلك فإن النوازل علىٰ وجه العموم سواء في الفقه أو العقيدة، تطلق علىٰ المسائل الحادثة الطارئة، والوقائع المستجدة التي تحل بالناس وتستدعي حكمًا شرعيًّا.

ولقد اكتنف الجزيرة العربية كمٌّ هائل من الأحداث التاريخية والتغيرات السياسية، وأنماط من الشبهات العارضة والإشكالات الحادثة التي توجب رؤية وحكمًا شرعيًّا تجاه تلك النوازل والوقائع[٢].

---

(١) هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، صاحب الدعوة السلفية الإصلاحية الشهيرة، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ كان عالمًا كبيرًا، رحل إلى عدة بلدان، وله تلاميذ ومؤلفات كثيرة، توفي بالدرعية سنة ١٢٠٦هـ. انظر: تاريخ ابن غنام، علماء نجد للبسام (١/ ٢٥).

(٢) انظر: منهج استنباط أحكام النوازل لمسفر القحطاني (٨٧-٩٠)، وبحث سبل الاستفادة من النوازل لوهبة مصطفى الزحيلي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي عدد ١١ (ص٣٦٢)، وبحث الاجتهاد في النوازل لمحمد الجيزاني، مجلة العدل، عدد ١٩ (ص١٤-١٥).

وإن الناظر في تراث علماء نجد وتراجمهم يلحظ ما عليه أولئك الأعلام من تحقيق ورسوخ في العلم، وسلامة في الفهم، وفقه لتلك الوقائع، فقد جمعوا بين التصور الصحيح لتلك الحوادث، وبين فقه حكم الله تعالىٰ الملائم لتلك الوقائع، وتنزيله عليها.

ومن خلال استقراء أهم النوازل العقدية التي عني بها أولئك العلماء، يمكن حصرها في الأمور الآتية:

١. **نوازل في توحيد العبادة ومسائل الولاء والبراء.**

٢. **نوازل في الحكم والسياسة الشرعية.**

٣. **نوازل في المذاهب المعاصرة والأفكار الوافدة.**

أولًا: نوازل في توحيد العبادة ومسائل الولاء والبراء

لما كان هذا الموضوع ظاهرًا معلومًا -في الجملة- عند الكثيرين، نظرًا لاشتهاره ووفرة مادته وكثرة المؤلفات عنه[١]، فسيكون الحديث عنه بشيء من الاختصار مع التركيز علىٰ ما يحتاج إلىٰ تجلية، ويتسق مع عنوان البحث.

وسأكتفي بهذين المثالين الآتيين:

فأما الأول فلمحة موجزة عن جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- تجاه النوازل في توحيد العبادة.

- لقد أهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب أمر هذه الأمة، وما تلبست به من شرك ونقض لكلمة التوحيد، فدعا الناس إلىٰ أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت وعبادة الأشجار والأحجار.. وأظهر الله هذا الدين في نجد والبادية، حتىٰ لم يكن فيهم من ينازع ويجادل؛ لأن الله أبطل كل شبهة، بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[٣] رحمه الله:

(١) كتب الباحث عبد الله السند رسالة علمية لنيل درجة الماجستير بعنوان «جهود علماء نجد في تقرير الولاء والبراء في القرن الثالث عشر الهجري»، كما كتب الباحث عبد الرحمن الشدي رسالة بعنوان «جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة في القرن الثالث عشر الهجري»، وكلتا الرسالتين في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم (٢/ ٢٢٠، ٢٢١) باختصار، وانظر: منهاج التأسيس (ص٦٣).

(٣) ولد الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، وطلب العلم على مشايخ الدرعية، وولي القضاء، وبعد سقوط الدرعية انتقل إلى مصر، ودرس على علمائها، ثم عاد إلى نجد، له مؤلفات، توفي بالرياض سنة ١٢٨٢هـ. انظر: علماء نجد (١/ ٥٦).

«وفي حدود القرن العاشر وما بعده لا يعرف أحد من العلماء تكلم بالتوحيد ودعا إليه، وعرف هذا الشرك ونهىٰ عنه، حتىٰ أظهر الله هذا الشيخ محمد عبد الوهاب في آخر هذه الأمة، فبين حقيقة التوحيد، وأنواعه، فأنكر كل بدعة بأدلة الكتاب والسنة، وأحيا السنن، فأخرج الله به الكثير من الظلمات إلىٰ النور، فتركوا عبادة الأشجار والطواغيت والقبور، والتزموا ما شرعه الله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ»[(١)].

- كان الشيخ يواجه مجتمعًا ذهل أهله عن توحيد العبادة، فجهلوه وأهملوه ولم يرفعوا بذلك رأسًا، بل كان علماء بلده لا يعرفون معنىٰ لا إله إلا الله فضلًا عن عوامهم، وأما عامة البادية فقد تلبسوا بنواقض كثيرة[(٢)].

لقد قارف أهل عصره الشرك بالله تعالىٰ، فاتخذوا الوسائط والشفعاء، وظنوا أن الإقرار بربوبية الله تعالىٰ كافٍ في تحقيق التوحيد، ولذا بذل الشيخ قصارىٰ جهده في بيان أهمية التوحيد ووجوبه علىٰ كل مكلف فقال: «والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فن المطاوعة[(٣)] خاصة، بل البحث عنها أو تعلمها فرض لازم علىٰ العالم، والجاهل، والمحرم والمحل، والذكر والأنثىٰ»[(٤)].

كما بين أن كلمة التوحيد لا إله إلا الله تجمع الدين كله، وقرر -في عدة مواضع- أن الإقرار بالربوبية ليس كافيًا، ولا يتحقق به الإسلام، وإنما يُدخِل الرجلَ في الإسلام توحيدُ الألوهية[(٥)].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم (١١/ ٥٧٢، ٥٧٣) باختصار.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب «الرسائل الشخصية» (ص٢٦، ١٨٧).

(٣) المقصود بالمطاوعة في هذا السياق: أئمة المساجد ونحوهم من المتدينين، فتعلم التوحيد فرض عين على كل مكلف لا يختص بهذا الصنف.

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، «الرسائل الشخصية» (ص١٨٩). وانظر: (ص٢٧١).

(٥) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، «الرسائل الشخصية» (ص٦٥، ٦٧، ١٢٢، ١٢٤، ١٥١).

- يؤكد الشيخ تحقيقَ هذا التوحيد عند حلول النوازل والوقائع، وأن الكثير قد يعلم هذا التوحيد، ولكن يغيب عنه ذلك عند ورود الوقائع والإشكالات، فقال الشيخ: «إن كثيرًا ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه، فإذا وقعت المسألة لم يعرفها، بل إذا قال بعض المشركين نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وأن النافع الضار هو الله، يقول: جزاك الله خيرًا، ويظن أن هذا هو التوحيد، ونحن نعلمه أكثر من سنة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون»[١].

- عُني الشيخ بتعريف وبيان توحيد العبادة، كما بيَّن معنىٰ الشرك وأنواعه، كما هو مبسوط في أول وأهم مؤلفاته «كتاب التوحيد»، فموضوع هذا الكتاب كما يقول تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو يُنافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه»[٢].

ويقول أيضًا: «وأما تعريف الشرك وأنواعه فقد عرَّفه شيخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد، فذكر أنواعه وأقسامه، وجليه وخفيه، وأكبره وأصغره، خصوصًا الشرك في العبادة، مما عساك لا تجده مجموعًا في غيره من الكتب المطولات، فإن الإيمان النافع لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقًا»[٣].

- ولما كان الشيخ جامعًا بين الفقه في دين الله تعالىٰ، والمعرفة بواقع أهل عصره وحالهم، لذا عرَّف توحيد العبادة بما يفهمه المخاطبون، فالشيخ يعالج

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، «الرسائل الشخصية» (ص٢٠، ٢١).
(٢) فتح المجيد (١/ ٦٧).
(٣) الدرر السنية (٢/ ٣٠٧).

نازلةً واقعةً، وهي تسمية توحيد الإلهية بأسماء متداولة عند العامة كالسيد، والذي فيه سرٌّ.. ونحوهما، ومن ثم سعىٰ إلىٰ تقريب معنىٰ التوحيد وتفهيمه، حسب واقع المخاطبين وحالهم كما في تقريراته الآتية:

يقول رحمه الله: «وهذا التوحيد هو معنىٰ قولك لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرة أو قبرًا أو جنيًّا، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده.. وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد»، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلىٰ كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله»[1].

ويقول في موضع آخر: «وأما قولي: أن الإله الذي فيه السر، فمعلوم أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامنا «السيد» و«الشيخ» و«الذي فيه السرُّ». والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميه عوامنا «السر»؛ لأن السرّ عندهم هو القدرة علىٰ النفع والضر، وكونه يصلح أن يدعي ويرجي، ويخاف ويتوكل عليه»[2].

ويقول في موضع ثالث: «فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية، والإله معناه الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقراء الشيخ، ويسمونه العامة السيد وأشباه ذلك، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضىٰ أن الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم، ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله»[3].

---

(١) كشف الشبهات (ص٢٥).

(٢) تاريخ ابن غنام (٢/ ١٠٦)، وانظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٧).

(٣) تاريخ ابن غنام (٤/ ٢٦٤)، وانظر: منهاج التأسيس (ص٢٤٢).

- وإذا كان «كتاب التوحيد» في تقرير التوحيد وبيانه، وذكر ما ينافيه من الشرك وذرائعه، فإن رسالة «كشف الشبهات» تعنىٰ بإزالة الاعتراضات الواردة والشبهات الواقعة في توحيد العبادة، فقد ساق الشيخ -رحمه الله- قرابة ثلاث عشرة شبهة، ثم أتبع كل شبهة برد محكم وجيز.

وأما المثال الثاني من جهود علماء الدعوة تجاه نوازلَ في توحيد العبادة، فجهودهم في الرد علىٰ داود بن جرجيس[١]، وهي جهود تسترعي النظر والتحقيق، حيث أجابوا عن شبهات وإشكالات سودها داود، حيث كتب عدة مصنفات ضمنها جواز الاستغاثة بالأولياء وسؤالهم وتسويغ الاستمداد من الأموات، وبسط حججه في ذلك، فانبرىٰ أئمة الدعوة للرد عليه، فكتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن «القول الفصل النفيس في الرد علىٰ المفتري داود ابن جرجيس»، وسطر ابنه العلامة عبد اللطيف[٢] «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس»، و«تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس»، وألف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين[٣]، «الانتصار لحزب الله الموحدين»

(١) هو داود بن سليمان البغدادي النقشبندي، ولد وتوفي في بغداد (١٢٣١-١٢٩٩هـ)، وانتقل إلى نجد، ودرس عند الشيخ أبي بطين، له كتب ضد الدعوة السلفية. انظر: ذيل المسك الأذفر (ص٢٥٩)، والأعلام (٢/ ٣٣٢).

(٢) ولد الشيخ عبد اللطيف في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ وتعلم بها، ثم غادرها إلى مصر في أثناء سقوط الدرعية، ودرس على مشايخ مصر، ثم عاد إلى الرياض، وكان له دروس وتلاميذ، كما أن له مصنفات ورسائل كثيرة، توفي في الرياض سنة ١٢٩٣هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص٩٣)، علماء نجد (١/ ٦٣).

(٣) ولد الشيخ أبو بطين في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ وتوفي في شقراء ١٢٨٢هـ وتولى القضاء في كثير من البلدان، وله عدة مؤلفات، ولقب بمفتي الديار النجدية. انظر: علماء نجد (٢/ ٥٦٧) ومشاهير علماء نجد (ص٢٣٥).

و«تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس»[1].

ولعل سبب اشتغال أولئك الأعلام بهذه النازلة -نازلة شبهات داود واعتراضاته- عدة أمور منها:

١. أن داود بن جرجيس قدم نجدًا وطلب العلم على مفتي الديار النجدية آنذاك الشيخ عبد الله أبي بطين، وأجازه الشيخ في الفتيا في مذهب الإمام أحمد[2]، فلا غرابة أن ينخدع به أقوام فيحتفون به ويكرمونه كما وقع من بعض بلدان نجد[3].

٢. أن المذكور يجاهر بانحرافه وابتداعه في مجامع الناس، وكما قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: «وقد حدثني من يقبل حديثه أنه سمع هذا العراقي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم قدوم الحاج يقول في مجمع من الناس، إنما الرجل من يقول: حدثني سري عن ربي، لا من يقول: حدثنا فلان عن فلان»[4].

---

(١) يبدو -والله أعلم- أن للتلاميذ أو النساخ دورًا في اختيار هذه العناوين المسجوعة في الرد على داود، ولذا تتعدد العناوين، فكتاب «القول الفصل النفيس» لعبد الرحمن بن حسن له عدة عناوين، منها «الرد النفيس» و«تأسيس التقديس» و«كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس». انظر: مقال «آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن» لأحمد الحكمي، مجلة الدارة (س٥، ع٤، ص٩١) كما أن تلاميذ للشيخ أبي بطين سموا ردَّه الموجز على داود بـ«الانتصار»، كما صرح بذلك الشيخ نفسه في مقدمة رده المطول «تأسيس التقديس»، وكذا كتاب «تحفة الطالب والجليس» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، جاء في بعض الطبعات تسميته بـ«دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ» مع أن الشيخ عبد اللطيف اقتصر على وصف هذا الكتاب بالرد المختصر، كما جاء في رده المطول «منهاج التأسيس» (ص٢٣٧).

(٢) انظر: تأسيس التقديس لأبي بطين (ص٢).

(٣) انظر: الدرر السنية (٢/ ٢٩٢).

(٤) منهاج التأسيس (ص٣١).

٣. أن لداود أثرًا في بعض المنتسبين للعلم من أهل نجد، فالشيخ عثمان ابن منصور[١] قد أظهر تعظيمه لداود وأنشأ قصيدة في مدحه[٢].

٤. كان لداود بن جرجيس مشاركات سياسية ضد أتباع الدعوة، وذلك زمن الخلاف بين أبناء فيصل بن تركي[٣]، حيث غزت عساكر الأتراك جزيرة العرب، وكان في مقدمتهم داود بن جرجيس[٤].

٥. ألف داود كتابًا سماه «صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيِّم»، وضمنه نقولًا متعددة لابن تيمية وابن القيِّم حرَّفها وغلط في فهمها، من أجل أن يقرر جواز الاستغاثة بالموتىٰ، كما عقد بابًا مستقلًا في الأدلة علىٰ جواز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين والنذر لهم.

وله كتاب آخر سماه «المنحة الوهبية في ردِّ الوهابية» قرر فيه أن للموتىٰ حياة في قبورهم كحياتهم في الدنيا، وأن لهم شعورًا وإحساسًا كالأحياء، واحتج لذلك بمختلف الدعاوىٰ، ليتوصل إلىٰ تسويغ دعاء الأموات والاستشفاع بهم.

---

(١) هو عثمان بن عبد العزيز بن منصور الناصري، ولد في أوائل القرن الثالث في بلدة الفرعة بسدير، وطلب العلم في العراق، له مؤلفات منها «فتح الحميد شرح كتاب التوحيد» وتولى القضاء، وتوفي في حوطة سدير سنة ١٢٨٢هـ. انظر: علماء نجد (٣/ ٦٩٣)، وروضة الناظرين (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: الدرر السنية (١١/ ٥١٢، ٥٧٥).

(٣) هو فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ولي الحكم بعد مقتل أبيه سنة ١٢٤٩هـ وكان إمامًا شجاعًا حازمًا، عرف بحسن التدبير والعدل في الرعية، توفي في الرياض سنة ١٢٨٢هـ. انظر: الأعلام (٥/ ١٦٤)، تاريخ ابن بشر (٢/ ١٢٦).

(٤) انظر: الدرر السنية (٨/ ٣٩١).

ولما قرر العلامة نعمان الآلوسي[1] عدم سماع الأموات، بيَّن ما في «المنحة الوهبية» من مآخذ فقال: «إذا علمت ما مضىٰ من النقول الصحيحة، وأقوال أهل المذهب الحنفي وغيرهم الرجيحة، تبين لك ما في الرسالة المسماة بـ«المنحة الوهابية»[2] من الخبط والخلط، والكذب وسوء الفهم والتلبيس، وإطالة اللسان علىٰ القائلين بعدم السماع..»[3].

وذكر محمود شكري الآلوسي[4] أن الكثير من الأفاضل منع من النظر في كتبه ومطالعتها؛ لأنه حرَّف الكلم عن مواضعه[5].

وإذا تبين شناعة كتب داود بن جرجيس وما يدعو إليه، فلا غرو أن يهتم علماء الدعوة بالرد عليه والجواب عن شبهاته.

ومن خلال تتبع واطلاع علىٰ ما كتبه أولئك العلماء في الردِّ علىٰ داود، يمكن أن نستخلص جملة من الأجوبة المهمة والقواعد النافعة تجاه تلك النازلة:

١. العناية بأهمية معرفة حدود ما أنزل الله تعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ كالعبادة مثلًا، حيث قال الشيخ عبد الله أبو بطين: «ومما يتعيَّن الاعتناء به: معرفة حدود

---

(١) هو أبو البركات نعمان خير الدين الألوسي، ولد في حديقة الورود في العراق سنة ١٢٥٢هـ، طلب العلم وجلس للتدريس والوعظ، له مصنفات عديدة، توفي سنة ١٣٧١هـ. انظر: أعلام العراق لمحمد بهجت الأثري (ص٥٧)، المسك الأذفر لمحمود الآلوسي (ص١١٠-١١٦).

(٢) هكذا جاء في المطبوع: «المنحة الوهابية»، والمشهور تسميته بـ«المنحة الوهبية في رد الوهابية»، ولعله فعل ذلك اختصارًا أو تجوزًا.

(٣) الآيات البينات (ص٩٨).

(٤) هو أبو المعالي محمود شكري الآلوسي، عالم بالشرع والتاريخ والأدب، ولد في رصافة بغداد سنة ١٢٧٣ هـ، له أكثر من خمسين مؤلفًا في شتى الفنون، توفي في بغداد سنة ١٣٤٢هـ. انظر: كتاب تلميذه محمد بهجت الأثري أعلام العراق (ص٣٦- ٢٤١)، ومقدمة محقق كتاب المسك الأذفر للآلوسي، والأعلام (٧/ ١٧٢).

(٥) انظر: المسك الأذفر (ص٤٦٠).

ما أنزل الله علىٰ رسوله؛ لأن الله سبحانه ذمَّ من لا يعرف حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله.. ففرض علىٰ المكلف معرفة حدِّ العبادة وحقيقتها التي خلقنا الله لأجلها، ومعرفة حد الشرك وحقيقته الذي هو أكبر الكبائر»[١].

وكما قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: «وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة، مثال ذلك: أن الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والجهل بالحقيقتين أو إحداهما أوقع كثيرًا من الناس في الشرك وعبادة الصالحين»[٢].

٢. تقرير الوسطية تجاه الأسباب -كما هي طريقة أهل السنة- بين من غلا فيها وبين من عطَّلها، فقد أثبت هؤلاء العلماء الأسباب سواء كانت شرعية أو قدرية دون الاعتماد عليها.

فقد قال الشيخ أبو بطين: «ونحن لا ننكر إضافة الأشياء إلىٰ أسبابها، ولكن الله سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات، ولا يلزم من ذلك أن نعتمد علىٰ الأسباب فضلًا عن أن نسألها ونرغب إليها، وهي مخلوقة، بل يتعين علىٰ العباد أن يعتمدوا علىٰ خالق الأسباب..»[٣].

والمردود عليه لبَّس علىٰ الناس، فأجاز الطلب من غير الله -كالأموات والغائبين من باب التسبب- فجعل دعاء الأموات وسؤالهم سببًا في حصول المطلوب ودفع المرهوب، مع أنَّ هذا الطلب شرك ظاهر لم يأذن به الله تعالىٰ[٤].

---

(١) الانتصار (ص٤٩) باختصار.

(٢) منهاج التأسيس (ص٢١).

(٣) تأسيس التقديس (ص٣٦).

(٤) انظر: القول الفصل النفيس (ص٣٣).

٣. أن التوحيد الذي من أجله أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب هو تحقيق توحيد العبادة، فالإقرار بأن الله تعالىٰ رب كل شيء وخالقه ليس كافيًا، وقد سلك داود طريقة أسلافه من متصوفة جعلوا شهود توحيد الربوبية هو غاية التوحيد، ولذا جوَّز داود دعاء الأموات، بحجة أن هذا من باب الوسائل لا الاستقلال، ولا يخفىٰ أن مشركي العرب إنما عبدوا آلهتهم من باب الوسائل والتشفع، ولم يدَّعوا الاستقلال والتصرف لأحد من دون الله تعالىٰ[١].

٤. العبرة بالحقائق، فتغيير الأسماء لا يغيِّر من الحقيقة شيئًا، حيث عمد داود إلىٰ تجويز الطلب من الأموات، بدعوىٰ أن ذلك نداء وليس دعاءً، أو أن ذلك توسل وليس استغاثة، ولذا قال الشيخ أبو بطين: «من جعل شيئًا من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلهًا، وإن فرَّ من تسميته معبودًا أو إلهًا، وسمَّىٰ ذلك توسلًا وتشفعًا أو التجاء ونحو ذلك، فالمشرك مشركٌ شاء أم أبىٰ، فتغيير الاسم لا يغيِّر حقيقة المسمىٰ ولا يزيل حكمه»[٢].

٥. الالتزام في الردِّ علىٰ داود بمنهج علمي أصيل مبني علىٰ المطالبة بالنقل الصحيح، والدعوىٰ القائمة علىٰ الدليل، فإن كنتَ ناقلًا فالصحة أو مدعيًا فالدليل، فـ«العلم شيئان: إما نقل مصدق وإما بحث محقق، ما سوىٰ ذلك فهذيان مسروق»[٣].

وكان داود علىٰ النقيض من ذلك، فقد ساق نقولًا كثيرة اعتراها البتر والتحريف، وادعىٰ دعاوىٰ لا دليل عليها.

---

(١) انظر: تحفة الطالب والجليس (ص٣٥).
(٢) الانتصار (ص٣٣)، وانظر: تأسيس التقديس (ص٥٠، ٦٤)، ومنهاج التأسيس (ص١٠٥).
(٣) الردُّ على البكري لابن تيمية (٢/ ٦٤٩).

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن نقول داود: «وغالبها قد حرفه، وألحد فيه وتصرف في نقله بزيادة ونقصان، وتقطيع للعبارات»[١].

وقال -في موطن آخر-: «ومن عجيب جهل العراقي أنه يحتج علىٰ خصمه بنفس الدعوىٰ، والدعوىٰ لا تصلح دليلًا»[٢].

٦. أن مجانبة الحق والصواب توجب التناقض والاضطراب، والتسوية بين المتفرقات والتفريق بين المتماثلات، كما هو حال ابن جرجيس، فقد تناقض حيث زعم أن طلب المخلوق من المخلوق نداء وليس دعاءً، لكن تناقض فسمَّىٰ هذا النداء دعاء في عدة مواطن[٣].

وإضافة إلىٰ ذلك فلا وجه للتفريق بين الدعاء والنداء، «فأيُّ فرق بين ما إذا سأل العبدُ ربه حاجةً، وبين ما إذا طلبها من غيره: من ميت أو غائب؟ بأن الأول يسمىٰ دعاء والثاني نداء!»[٤].

وادَّعىٰ داود أن أهل الكرامات حالهم في الممات كحالهم في الحياة، وإذا جاز سؤال الحي فالميت كذلك، وهذا مردود بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ٢٢]. ففرق بين الأحياء والأموات.

يقول الشيخ أبو بطين: «ذو الفطرة السليمة وإن كان جاهلًا يفرق بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده، وبين الطلب من الميت أو الغائب، ولا يسوي بين

(١) منهاج التأسيس، (ص٩٥).
(٢) منهاج التأسيس، (ص٩٨).
(٣) انظر: تأسيس التقديس، (ص١٠١).
(٤) الانتصار، (ص٥٣).

الحي والميت إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطر الله [الناس[1]] عليها، أو إنسان أعماه الهوىٰ والتقليد»[2].

* * *

وإذا انتقلنا إلىٰ الحديث عن جهودهم تجاه النوازل المتعلقة بموضوع الولاء والبراء، من خلال تتبع تقريراتهم العلمية ومواقفهم العملية، فيمكن أن نستخلص جملة من المعالم المهمة علىٰ النحو الآتي:

١ . لم يقتصر علماء الدعوة علىٰ تنظير وتحرير مسائل الولاء والبراء، بل عمدوا إلىٰ تطبيقها وتنزيلها علىٰ الواقع، واتخاذ مواقف تجاه طوائف ودول وأشخاص كما هو مبسوط في مؤلفاتهم.

فعلىٰ سبيل المثال نجد أن العلامة عبد الرحمن السعدي[3] -رحمه الله- يقرر في فتاويه معنىٰ دار الكفر، ثم ينزِّل هذا الحكم علىٰ دول قائمة كانت محكومة -آنذاك- بالاستعمار البريطاني[4].

وعندما يعمد بعض علماء الدعوة إلىٰ تكفير العساكر التركية -مثلًا- فتقريرهم لمسائل «التكفير» مبني علىٰ دليل شرعي ومنهج سنِّي، فإن كان ثمة تعقيب أو إشكال في ذلك، فإنما هو في تحقيق المناط وتنزيل الأحكام علىٰ الوقائع والأحداث، وكما قال ابن القيِّم:

---

(١) كلمة «الناس» ساقطة من أصل الكتاب، والسياق يقتضي إثباتها.

(٢) تأسيس التقديس، (ص٥٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من كبار علماء الجزيرة المعاصرين، ولد بعنيزة سنة ١٣٠٧هـ وله تلاميذ ومؤلفات متنوعة كثيرة، واشتغل بالتدريس، توفي بعنيزة عام ١٣٧٦هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٤٢٢)، روضة الناظرين (١/ ٢١٩).

(٤) انظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، «الفتاوى» (ص٦٨).

«إن الرجل إذا نسب المسلم إلىٰ النفاق والكفر متأولًا وغضبًا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يثاب علىٰ نيته وقصده، هذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم، وهم أولىٰ بذلك ممن كفَّروه وبدَّعوه»[١].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فلو قدر أن رجلًا من المسلمين قال في أناس قد تلطخوا بأمور قد نص العلماء علىٰ أنها كفر، مستندين في ذلك إلىٰ الكتاب والسنة، غيرة لله وكراهة لما يكره الله من تلك الأعمال، فغير جائز لأحد أن يقول في حقهم من كفَّر مسلمًا فهو الكافر»[٢].

لا سيما وأن أفهام العلماء متفاوتة في مراعاة عوارض الأهلية من جهل وتأوُّل وخطأ ونحوها، فقد يعذر أحدهم بالجهل مثلًا ما لا يعذر العالم الآخر، سواء كان ذلك في مسألة من مسائل الاعتقاد، أو في حق شخص، أو حال أو زمان.

٢. أصابت نجدًا وما حولها -بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي- حروب وفتن، فلجأ بعضهم إلىٰ أعداء الدعوة، فتدخل العدو الخارجي، فوقع اللبس والخلط بين مسألة مظاهرة الكفار ضد المسلمين ومسألة الاستعانة بالكفار، فجوَّز بعضهم تلك المظاهرة ظنًّا منه أنها مجرد استعانة بالكفار، وقد حرَّر علماء الدعوة الفرق بين المسألتين، فتولي الكفار ومظاهرتهم وتمكينهم من دار الإسلام ردَّة وخروج عن الملة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وأما الاستعانة بهم فهي مسألة من مسائل الاجتهاد المتنازع فيها والتي يسوغ فيها الخلاف.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٢٣).

(٢) الدرر السنية (٨/ ٢٦٨).

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في شأن هذه النازلة:

«والقول بأنهم جاؤوا لنصر إمام أو دين، قول يدل علىٰ ضعف دين قائله، وعدم بصيرته وضعف عقله، وانقياده لداعي الهوىٰ، وعدم معرفته بالدول... وأعجب من هذا نسبة جوازه إلىٰ أهل العلم، والجزم بإباحة ذلك، والصورة المختلف فيها[1] مع ضعف القول بجوازها وإباحتها، كما هو مبسوط في حديث (**إنا لا نستعين بمشرك**) هي صورة غير هذه، ومسألة أخرىٰ. وهذه الصورة حقيقتها: تولية وتخلية وخيانة ظاهرة»[2].

٣. بيَّن علماء الدعوة الفرق بين عداوة الكافرين والبرِّ والإقساط معهم، فبغضهم وعداوتهم لا تنافي العدل والبر معهم.

ومن ذلك ما سطَّره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن قائلًا: «أما قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨]، فالذي يظهر أن هذا إخبار من الله جل ذكره لعباده المؤمنين بأنه لم ينهَهم عن البر والعدل والإنصاف في معاملة أي كافر من أهل الملل إذا لم يقاتلهم في الدين ولم يخرجهم من ديارهم، إذ العدل والإحسان والإنصاف مطلوب محبوب شرعًا، ولذا علل هذا الحكم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

إلىٰ أن قال: ووجه مناسبة الآية لما قبلها من الآي[3] أنه لما ذكر تعالىٰ نهيه عباده المؤمنين عن اتخاذ عدوه وعدوهم أولياء يلقون إليهم بالمودة، ثم ذكر حال خليله ومن آمن معه في قولهم وبراءتهم من قومهم المشركين حتىٰ يؤمنوا،

(١) يعني مسألة الاستعانة بالكفار.

(٢) «الدرر السنية» باختصار، وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣١٥، ٣١٦).

(٣) يعنى قوله تعالى في مطلع سورة الممتحنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١].

وذكر أن لعباده المؤمنين أسوة حسنة، خيف أن يتوهم أحد أو يظن أن البرَّ والعدل داخلان في ضمن ما نهىٰ عنه من الموالاة، وأمر به من البراءة، فناسب أن يدفع هذا بقوله: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ﴾ [الممتحنة: ٨][(١)]».

كما بين أئمة الدعوة جواز التعامل مع الكفار في البيع والشراء ونحوه[(٢)]، وجواز السفر إلىٰ ديار الكفار من أجل التجارة بشرط القدرة علىٰ إظهار الدين.

وكما قال العلامة السعدي: «وأما السفر إلىٰ هذه الأقطار للاتجار مع حفظ العبد لدينه وقدرته علىٰ إظهاره، فلا مانع من ذلك، والمسلمون ما زالوا يسافرون للتجارة لبلاد الكفر في وقت الصحابة ﷺ، وقد ذكر ذلك أهل العلم رحمهم الله وذكروا ما يدل عليه»[(٣)].

٤. مما يجدر ذكره في هذا المجال ما تميَّز به علماء الدعوة من تحريرِ وتحقيقِ مسائل الولاء والبراء، وفي أحلك الظروف، وإذا كان الناس تغيب عنهم معاني القرآن عند النوازل والحوادث[(٤)]، فإن هؤلاء العلماء لم يكونوا كذلك، بل قرروا عقيدة الولاء والبراء بكل رسوخ ووضوح، ونورد مثالين علىٰ ذلك:

الأول: لما هاجمت جيوش إبراهيم باشا[(٥)] نجدًا سنة ١٢٣٣هـ وقصدوا استئصال الدعوة السلفية وأنصارها، وظاهرهم طوائف من البادية والحاضرة،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ١٨٩، ١٩٠) باختصار.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل النجدية (٤/ ٣١٧)، تأسيس التقديس (ص٥٩، ٦٠).

(٣) المجموعة الكاملة، «الفتاوى»، (ص٧٠).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/ ٣٦٣).

(٥) هو إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، من ولاة مصر، ولد في مصر سنة ١٢٠٤هـ، قاد عدة حملات عسكرية على الحجاز ونجد، توفي في مصر سنة ١٢٦٤هـ. انظر: الأعلام (١/ ٧٠)، عنوان المجد (١/ ٣٨٤-٤٣٦).

عندئذ ألَّف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[1] رسالته القيمة «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك». لقد صنف الشيخ سليمان هذه الرسالة في وقت زاغت فيه قلوب، وأصابها الخوف والهلع من جيوش إبراهيم باشا، فانساقت إلىٰ مظاهرة المشركين، فقرر الشيخ -بالأدلة الكثيرة- أن من ظاهر الكفار وتولاهم فهو منهم، كما قد وقع من أولئك الخونة.

الثاني: ويعيد التاريخ نفسه، حيث هجمت العساكر التركية علىٰ بلاد نجد سنة ١٢٥٣هـ وأعانهم من أعانهم حتىٰ استولوا علىٰ كثير من البلاد، فصنَّف الشيخ حمد بن عتيق[2] رسالة متميزة بعنوان «سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك».

٥. ومن النوازل المهمة التي وقعت في الجزيرة العربية ما ظنه بعضهم من أن مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم بمصالحة موالاةٌ للكفار التي جاء النهي عنها في النصوص الشرعية، وقد أزال هذا اللبس الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري[3]، فخاطب أولئك القوم بقوله:

(١) ولد الشيخ سليمان في الدرعية عام ١٢٠٠هـ وتتلمذ على كبار علماء بلده، وجلس للتدريس، واشتهر بعلم الحديث، وتولى قضاء مكة، له تلاميذ ومؤلفات، قتله إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص٤٤)، وعلماء نجد (١/ ٢٩٣).

(٢) ولد الشيخ حمد بن علي بن عتيق في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ، ودرس في الرياض، وتولى القضاء والتدريس، له مؤلفات وتلاميذ، توفي في الأفلاج سنة ١٣٠٦هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص٢٤٤)، وعلماء نجد (١/ ٢٢٨).

(٣) ولد الشيخ عبد الله العنقري في ثرمداء سنة ١٢٨٧هـ وطلب العلم على مشايخ الرياض، وولي القضاء، له تلاميذ ومؤلفات، توفي في المجمعة سنة ١٣٧٣هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٥٨٢)، وروضة الناظرين (٢/ ٩).

«وقد بلغنا أن الذي أشكل عليكم، أن مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم بمصالحة ونحوها، وقدومهم علىٰ ولي الأمر لأجل ذلك، أنها هي موالاة المشركين، المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتم ذلك من «الدلائل» التي صنف الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ، ومن «سبيل النجاة» للشيخ حمد بن عتيق.

فأولًا: نبين لكم سبب تصنيف «الدلائل»، فإن الشيخ سليمان صنفها لما هجمت العساكر التركية علىٰ نجد في وقته، وأرادوا اجتثاث الدين من أصله، وساعدهم جماعة من أهل نجد، من البادية والحاضرة، وأحبوا ظهورهم.

وكذلك سبب تصنيف الشيخ حمد بن عتيق «سبيل النجاة» هو لما هجمت العساكر التركية علىٰ بلاد المسلمين، وساعدهم من ساعدهم، حتىٰ استولوا علىٰ كثير من بلاد نجد، فمعرفة سبب التصنيف مما يعين علىٰ فهم كلام العلماء، فإنه بحمد الله ظاهر المعنىٰ، فإن المراد به موافقة الكفار علىٰ كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم علىٰ المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم علىٰ كفرهم.

والإمام[١] وفقه الله لم يقع في شيء مما ذكر، فإنه إمام المسلمين، والناظر في مصالحهم، ولا بدَّ له من التحفظ علىٰ رعاياه وولايته من الدول الأجانب»[٢].

٦. أدرك علماء الدعوة بنجد أهمية تقدير المصالح والمفاسد في التعامل مع الكفار، ومن ذلك ما حرره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن قائلًا:

(١) وهو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.
(٢) الدرر السنية (٩/ ١٥٧، ١٥٨).

«وأما البداءة بالسلام فلا ينبغي أن يبدأ الكافر بالسلام بل هو تحية أهل الإسلام، لكن إن خاف مفسدة راجحة وفوات مصلحة كذلك، فلا بأس بالبداءة لا سيما من ينتسب إلىٰ الإسلام، ولكن يخفىٰ عليه شيء من أصوله وحقوقه، وقد كان ﷺ يأتي المشركين من العرب في منازلهم أيام المواسم ويدعوهم إلىٰ توحيد الله وترك عبادة ما سواه، مع ما هم عليه من الشرك والكفر والرد القبيح، لما في ذلك من المصلحة الراجحة علىٰ مصلحة الهجر والتباعد»[1].

كما بيَّن الشيخ عبد اللطيف جواز مصالحة العدو إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك، وحقق ذلك عملًا وواقعًا، فسعىٰ إلىٰ مصالحة الأعداء محتجًّا بأحداث السيرة النبوية، ومن قبله صالح علماء الدرعية إبراهيم باشا لما خيف السبي والاستئصال[2].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ١٢٨).

(٢) انظر: الدرر السنية (٩/ ٢٢).

ثانيًا: نوازل في الحكم والسياسة الشرعية

من المعلوم بداهة أن الله تعالىٰ أكمل الدين وأتمَّ النعمة، فجاء هذا الدين العظيم محققًا لمصالح الدارين، ومستوعبًا لجميع شؤون الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها، والعلماء الراسخون هم أولىٰ الناس بفقه السياسة الشرعية، ومعرفة مقاصدها، وبيان ما يضادها من السياسات الفاسدة والحادثة.

وقد كان لعلماء الدعوة بنجد جهود متميزة تجاه نوازل في الحكم والسياسة الشرعية سواء من جهة مبادرتهم إلىٰ الصلح والسعي إلىٰ حقن الدماء، وثبوت الولاية بطرقها الشرعية، وكذا تحذيرهم من السياسات الوضعية وبيان فسادها وأحكامها، والشواهد علىٰ ذلك كثيرة، منها:

أولًا: كان للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين جهود ظاهرة في هذا المجال، نذكر منها ما يأتي:

١. خرج أقوام من أهل القصيم عن طاعة الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٥هـ، فقامت وقعة (اليتيمة) بين الفريقين، وهُزم أهل القصيم، وقتل منهم الكثير، فعمد أمير بريدة عبد العزيز آل أبو عليان[1] إلىٰ حضِّ الناس علىٰ القتال، فلم يُستجَب له، ثم جاءه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين وكان قاضي القصيم آنذاك

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن عبد الله آل أبو عليان، كان أمير بريدة زمن تركي بن عبد الله، هُزِم في وقعة اليتيمة أمام ابن سعود، كما هُزِم في وقعة بقعا أمام ابن رشيد قتل سنة ١٢٧٧هـ. انظر: تذكرة أولي النهى والعرفان لابن عبيد (١/ ١٢٥).

فقال له: «يا هذا اتقِ الله، واربأ بنفسك، فإن البلاد ليست لك ولا بيدك، وأمرها بين أهلها، وليس لك فيها أمر ولا نهي، وهم يريدون إصلاح أنفسهم مع الإمام فيصل، فإن أردت أن تكون كذلك فافعل»[1].

فلقد أوصاه بكلام جامع، أمره بتقوىٰ الله تعالىٰ، وحثه علىٰ الصلح مع الإمام لما في ذلك من الاجتماع وحفظ الدعوة.

٢. ومن جهود الشيخ أبي بطين في هذا المقام أن طوائف من أهل القصيم الذين خرجوا علىٰ الإمام فيصل فأشعلوا الفتنة، ثم هزموا في موقعة «اليتيمة» -كما سبق آنفًا- قد ندموا علىٰ ما صنعوا وخافوا من سطوة الإمام، فأتىٰ رؤساؤهم إلىٰ الشيخ عبد الله أبي بطين وقالوا له: إن هذه الأمور التي وقعت لا يصلحها إلا أنت، ولا يزيل غضب الإمام غيرك، فاعتذر الشيخ عبد الله عن ذلك، فألحوا عليه، فأجابهم إلىٰ ذلك، وركب إلىٰ الإمام فأكرمه وأجابه إلىٰ كل ما طلب من العفو والصفح عنهم[2].

فهؤلاء الرؤساء يدركون الدور الكبير الذي يضطلع به الشيخ عبد الله أبو بطين من تحقيق العفو والتجاوز عنهم، وهذا ما تم علىٰ يد الشيخ رحمه الله.

٣. ولما عزم أهل عنيزة علىٰ إخراج أميرهم جلوي بن تركي[3] ١٢٧٠هـ، وحاصروه في قصره، بادر الشيخ أبو بطين فنصح أهل عنيزة بألَّا يخرجوا جلوي بهذه الطريقة، وقال: «أنا كفيل لكم بأن أركب إلىٰ الإمام وأطلب منه أن يعزل أخاه

---

(١) انظر: عنوان المجد (٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: عنوان المجد (٢/ ٢٦٨)، وتذكرة أولي النهى والعرفان لابن عبيد (١/ ١٢٦).

(٣) هو جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، نشأ مع أخيه فيصل بن تركي، ولي إمارة عنيزة، توفي سنة ١٢٨٥هـ. انظر: تاريخ ملوك آل سعود لسعود بن هذلول (ص٢٣٤).

«جلوي» وينصب بدله أميرًا ترضونه»، لكنهم أصروا علىٰ إخراجه، فغضب الشيخ أبو بطين وخرج إلىٰ بريدة[١].

لقد بذل الشيخ وسعه وأسدىٰ نصحه، تحقيقًا لإصلاح ذات البين، والتئام الشمل، ولما في الشغب والخروج علىٰ الولاة دون مسوغ شرعي من فساد الأحوال وتنافر القلوب.

ثانيًا: لما توفي الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ وتولىٰ الحكم من بعده ابنه عبد الله حصل شقاق وافتراق بين عبد الله وأخيه سعود، فوقعت حروب طاحنة وفتن موجعة في جزيرة العرب.

وكان للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن دور ظاهر في الإصلاح وتبيين الحق، وجمع الكلمة وحفظ الدماء، ودرء الفتنة، ودفع الشر والفساد بحسب الوسع.

لقد أوتي الشيخ عبد اللطيف قوة وبصيرة، وعلمًا ورسوخًا، وحكمة ونصحًا وإشفاقًا علىٰ الراعي والرعية، حيث سطَّر الشيخ عبد اللطيف رسائل كثيرة -في أثناء تلك الفتنة الطويلة- تضمنت عرضًا وافيًا، وتحليلًا متينًا لتلك الأحداث الجسام، مع بيان موقفه من تلك النوازل.

ونختار من هذه الرسائل رسالة أحسب أن الشيخ كتبها في آخر حياته[٢]، كما أنها أوفىٰ الرسائل عرضًا وتحليلًا لأحداث الفتنة، وهذا نصها:

---

(١) انظر: الأحوال السياسية في القصيم للسلمان (ص١٩١).

(٢) وكون هذه الرسالة من أواخر ما كتبه الشيخ في تلك الأحداث، لأنه أشار إلى مقتل فهد بن صنيتان -وصنيتان لقب على عبد الله بن إبراهيم آل سعود- وقد ذكر ابن عبيد في تاريخه «تذكرة أولي النهى»(١/ ٢١٨) أن ابن صنيتان قُتل سنة ١٢٩٢ هـ، وكان ذلك في المسجد وعلى يد أحد أقاربه، فأثرت تلك القتلة على الشيخ عبد اللطيف إلى أن توفي في السنة التي تليها ١٢٩٣هـ.

«من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلىٰ الأخوين المكرمين زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري[1] سلمهم الله تعالىٰ.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو علىٰ نعمه، والخط وصل أوصلكم الله إلىٰ ما يرضيه، وما ذكرتموه كان معلومًا، موجب تحرير هذا ما بلغني بعد قدوم عبد الله[2] وغزوه من أهل الفرع[3] وما جرىٰ لديكم من تفاصيل الخوض في أمرنا والمراء والغيبة، وإن كان قد بلغني أولًا كثير من ذلك، لكن بلغني مع ما ذكر تفاصيل ما ظننتها، فأما ما صدر في حقي من الغيبة والقدح والاعتراض ونسبتي إلىٰ الهوىٰ والعصبية، فتلك أعراض انتهكت وهتكت في ذات الله أعدها لديه جل وعلا ليوم فقري وفاقتي، وليس الكلام فيها. والقصد بيان ما أشكل علىٰ الخواص والمنتسبين من طريقتي في هذه الفتنة العمياء الصماء، فأول ذلك مفارقة سعود[4] لجماعة المسلمين وخروجه علىٰ أخيه؛ وقد صدر منا الرد عليه وتسفيه رأيه، ونصيحة ولد عائض[5] وأمثاله من الرؤساء عن متابعته والإصغاء إليه ونصرته، وذكّرناه بما ورد من الآثار النبوية والآيات القرآنية بتحريم ما فعل والتغليظ علىٰ

(١) الشيخ زيد بن محمد آل سليمان والشيخ صالح بن محمد الشثري من تلاميذ الشيخ عبد اللطيف، وكانا في الحريق جنوب الرياض، انظر: ترجمة للشيخ صالح الشثري في كتاب «إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبد العزيز أبو حبيب» (ص٤٩).

(٢) عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود.

(٣) الفرع: يقع جنوب الرياض ويشمل حوطة بني تميم والحريق ونعام ونحوها من القرى المجاورة. انظر: عنوان المجد (الحاشية) (٢/ ١٨١)، وحوطة بني تميم لعلي الصرامي (ص٤٠).

(٤) سعود بن فيصل بن تركي آل سعود.

(٥) يقصد محمد بن عائض رئيس قبائل عسير.

من نصره، ولم نزل على ذلك إلى أن وقعت وقعة جودة[١] فثل عرش الولاية وانتثر نظامها، وحبس محمد بن فيصل وخرج الإمام عبد الله شاردًا، وفارقه أقاربه وأنصاره، وعند وداعه وصَّيته بالاعتصام بالله وطلب النصر منه وحده وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة.

ثم قدم علينا سعود[٢] بمن معه من العجمان والدواسر وأهل الفرع وأهل الحريق وأهل الأفلاج وأهل الوادي، ونحن في قلة وضعف وليس في بلدنا[٣] من يبلغ الأربعين مقاتلًا، فخرجت إليه وبذلت جهدي ودافعت عن المسلمين ما استطعت خشية استباحة البلدة ومعه من الأشرار وفجار القرى من يحثه على ذلك ويتفوه بتكفير بعض رؤساء أهل بلدتنا، فوقى الله شر تلك الفتنة ولطف بنا ودخلها بعد صلح وعقد.

وما جرى من المظالم والنكث دون ما كنا نتوقع[٤]، وليس الكلام بصدده وإنما الكلام في بيان ما نراه ونعتقده، وصارت له ولاية بالغلبة والقهر تنفذ بها أحكامه، وتجب طاعته في المعروف، كما عليه أهل العلم كافة على تقادم الأعصار ومر الدهور، فسرت على آثار أهل العلم واقتديت بهم في الطاعة في المعروف وترك الفتنة وما توجب من الفساد على الدين والدنيا، والله يعلم أني بار راشد في ذلك.

---

(١) كانت وقعة «جودة» بين عبد الله بن فيصل وأخيه سعود، عام ١٢٨٧هـ، وقد هُزِمت جيوش عبد الله بن فيصل وقُتِل الكثيرُ من رجاله، وسجن أخوه وقائد جيشه محمد بن فيصل في القطيف. انظر: تاريخ ملوك آل سعود لسعود بن هذلول (ص٣١).

(٢) كان قدوم سعود سنة ١٢٨٨هـ.

(٣) الرياض.

(٤) دخل سعود الرياض دون مقاومة، ونهبت جنوده الرياض.

ومن أشكل عليه شيء من ذلك فليراجع كتب الإجماع، كمصنف ابن حزم، ومصنف ابن هبيرة، وما ذكره الحنابلة وغيرهم، وما ظننت أن هذا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ تحصيل وممارسة، وقد قيل: سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم.

وأما الإمام عبد الله فقد نصحت له كما تقدم أشد النصح، وبعد مجيئه لما أخرج شيعةُ عبد الله سعودًا وقدم من الأحساء ذاكرته في النصيحة، وتذكيره بآيات الله وحقه وإيثار مرضاته، والتباعد عن أعدائه وأعداء دينه أهل التعطيل والشرك والكفر البواح، وأظهر التوبة والندم، واضمحل أمر سعود، وصار مع شرذمة من البادية حول المرة والعجمان، وصار لعبد الله غلبة ثبتت بها ولايته[1] علىٰ ما قرره الحنابلة وغيرهم، كما تقدم أن عليه عمل الناس من أعصار متطاولة.

ثم ابتُلِينا بسعود وقدم إلينا مرة ثانية[2]، وجرىٰ ما بلغكم من الهزيمة علىٰ عبد الله وجنوده ومر بالبلدة منهزمًا لا يلوي علىٰ أحد، وخشيت من البادية؛ وعجلت إلىٰ سعود كتابًا في طلب الأمان لأهل البلدة وكف البادية عنهم، وباشرت بنفسي مدافعة الأعراب، مع شرذمة قليلة من أهل البلدة ابتغاء ثواب الله ومرضاته، فدخل البلدة وتوجه عبد الله إلىٰ الشمال وصارت الغلبة لسعود، والحكم يدور مع علته؛ وأما بعد وفاة سعود[3]، فقدم الغزاة ومن معهم من الأعراب العتاة والحضر الطغاة، فخشينا الاختلاف وسفك الدماء وقطيعة الأرحام بين حمولة آل مقرن، مع غيبة عبد الله وتعذر مبايعته بل ومكاتبته، ومن ذكره يخشىٰ علىٰ نفسه وماله أفيحسن أن يترك المسلمون وضعفاؤهم نهبًا وسبيًا للأعراب والفجار؟

(١) ثبتت ولاية عبد الله للمرة الثانية سنة ١٢٨٩هـ.
(٢) ثبتت ولاية سعود للمرة الثانية سنة ١٢٩٠هـ.
(٣) توفي سعود سنة ١٢٩١هـ.

ومن توهم أني وأمثالي أستطيع دفع ذلك مع ضعفي وعدم سلطاني وناصري فهو من أسفه الناس وأضعفهم عقلًا وتصورًا، ومن عرف قواعد الدين وأصول الفقه وما يطلب من تحصيل المصالح ودفع المفاسد لم يشكل عليه شيء من هذا، وليس الخطاب مع الجهلة والغوغاء، إنما الخطاب معكم معاشر القضاة والمفاتي والمتصدرين لإفادة الناس وحماية الشريعة المحمدية، وبهذا ثبتت بيعته[١] وانعقدت، وصار من ينتظر غائبًا لا تحصل به المصالح فيه شبه ممن يقول بوجوب طاعة المنتظر وأنه لا إمامة إلا به.

ثم إن حمولة آل سعود صارت بينهم شحناء وعداوة والكل يرىٰ له الأولوية بالولاية، وصرنا نتوقع كل يوم فتنة وكل ساعة محنة فلطف الله بنا، وخرج ابن جلوي من البلدة، وقتل ابن صنيتان، وصار لي إقدام علىٰ محاولة عبد الرحمن في الصلح وترك الولاية لأخيه عبد الله فلم آلُ جهدي في تحصيل ذلك والمشورة عليه...

فيسر الله قبل قدوم عبد الله بنحو أربعة أيام أنه وافق علىٰ تقديم عبد الله وعزل نفسه بشروط، فلما نزل الإمام عبد الله ساحتنا اجتهدت إلىٰ أن محمد بن فيصل يظهر إلىٰ أخيه ويأتي بأمان لعبد الرحمن وذويه وأهل البلدة، وسعيت في فتح الباب واجتهدت في ذلك، ومع ذلك كله فلما خرجت للسلام عليه وإذا أهل الفرع وجهلة البوادي، ومن معهم من المنافقين يستأذنونه في نهب نخيلنا وأموالنا، ورأيت معه بعض التغير والعبوس، ومن عامل الله ما فقد شيئًا، ومن ضيَّع الله ما وجد شيئًا.

(١) أي ثبتت البيعة لسعود بن فيصل.

ولكنه بعد ذلك أظهر الكرامة ولين الجانب، وزعم أن الناس قالوا ونقلوا، وبئس مطية الرجل «زعموا»، وتحقق عندي دعواه التوبة وأظهر لدي الاستغفار والتوبة والندم، وبايعته علىٰ كتاب الله وسنة ورسوله.

هذا مختصر القضية، ولولا أنكم من طلبة العلم والممارسين الذين يكتفون بالإشارة وأصول المسائل، لكتبت رسالة مبسوطة، ونقلت من نصوص أهل العلم وإجماعهم ما يكشف الغمة ويزيل اللبس. ومن بقي عليه إشكال فليرشدنا رحمه الله، ولو أنكم أرسلتم بما عندكم مما يقرر هذا أو يخالفه وصارت المذاكرة، لانكشف الأمر من أول وهلة، ولكنكم صممتم علىٰ رأيكم، وَتَرْكُ النصيحة من كان عنده علم، واغتر الجاهل، ولم يعرف ما يدين الله به في هذه القضية وتكلم بغير علم، ووقع اللبس والخلط والمراء والاعتداء في دماء المسلمين وأعراضهم، وهذا بسبب سكوت الفقيه، وعدم البحث واستغناء الجاهل بجهله واستقلاله بنفسه.

وبالجملة فهذا الذي نعتقد وندين الله به، والمسترشد يذاكر ويبحث، والظالم المعتدي حسابنا وحسابه إلىٰ الله الذي تنكشف عنده السرائر وتظهر مخبآت الصدور والضمائر يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور.

وأما ما ذكرتم من التنصل والبراءة مما نسب في حقِّي إليكم، فالأمر سهل والجروح جبار، ولا حرج ولا عار، وأوصيكم بالصدقِ مع الله، واستدراكِ ما فرطتم فيه من الغلظة علىٰ المنافقين الذين فتحوا للشرك كل باب، وركن إليهم كل منافق كذاب؛ وتأمل قوله بعد نهيه عن موالاة الكافرين: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] والسلام»[1].

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٣١-٣٧) باختصار.

ويمكن أن نوجز جهود الشيخ عبد اللطيف في نوازل الحكم والسياسة من خلال هذه الرسالة ونظائرها علىٰ النحو الآتي:

١. بيَّن الشيخ -زمن تلك الفتنة العمياء- أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، وحقق ذلك من خلال جهود عملية، فأمر بالاجتماع علىٰ الإمام وأنكر الخروج عليه[1].

يقول الشيخ عبد اللطيف: «حذرت من الفتنة والمشاقة، والرغبة عن جماعة المسلمين، ولا قصد لي إلا اجتماع المسلمين، ودفع الشر والفساد بحسب الطاقة، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها»[2].

٢. بذل الشيخ جهده، فدافع عن المسلمين -أكثر من مرة- تجاه من عزم علىٰ استباحة الرياض، وبادر إلىٰ إقامة الصلح وطلب الأمان، فانكشفت الغمة، وتحقق حقن الدماء وصيانة الأموال[3].

٣. قرر الشيخ ثبوت الولاية بالغلبة والقهر، وساق أدلته، فأثبت ولاية سعود بن فيصل بعد أن تغلَّب علىٰ أخيه عبد الله، كما أثبت ولاية عبد الله لما حصلت له الغلبة.

٤. حذَّر الشيخ -في هذه الأحداث المتوترة- من الركون إلىٰ الكافرين وموالاتهم، ووصفها بأنها الفتنة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ، واستفرغ الشيخ وسعه في منع هذا الركون، وحذر الولاة من مغبة ذلك الركون[4].

---

(١) انظر: الدرر السنية (٩/ ١٧، ٢٤).

(٢) الدرر السنية (٩/ ٤٤).

(٣) انظر: الدرر السنية (٨/ ٢٩٢).

(٤) انظر: الدرر السنية (٨/ ٣٨٣، ٩/ ٢٤، ٢٨).

٥. ومع أن الشيخ كابد تلك الأحداث الجسام، واجتهد في دفع الشر والفساد، وقدَّم نصحه وعالج تلك الفتن بعلم وعدل، إلا أنه لم يسلم من قدح وغيبة واتهامه بالهوىٰ والعصبية.

حيث قال في مطلع الرسالة السابقة: «فأما ما صدر في حقي من الغيبة والقدح والاعتراض، ونسبتي إلىٰ الهوىٰ والعصبية، فتلك أعراض انتهكت وهتكت في ذات الله أعدها لديه جلَّ وعلا ليوم فقري وفاقتي، وليس الكلام فيها. والقصد بيان ما أشكل علىٰ الخواص من طريقتي في هذه الفتنة...».

لقد كان الشيخ عبد اللطيف من أرباب النفوس الكبيرة، فقد تجاوز ذلك القدح في شخصه، وخاطبهم بما يزيل الاشتباه في هذه الفتنة المدلهمة، وختم رسالته بالتأكيد علىٰ المذاكرة والمدارسة فيما قد يشكل، مع العظة والوصية بالصدق مع الله عز وجل.

ثالثًا: وأما عن العلامة عبد الرحمن السعدي، فمع تميُّزه بالرسوخ في فقه قواعد الشريعة، وما يضادها، ودراية بقواعد المصالح والمفاسد، فقد كان صاحب وعي سياسي ومعرفة بأحوال عصره، ونورد علىٰ ذلك الأمثلة الآتية:

١. حذَّر الشيخ السعدي من القوانين الوضعية، وبيَّن مفاسدها، كما وضَّح عظمة الشريعة الإسلامية وملاءمتها لكل الأحوال والأزمان، فكان مما قاله: «من أكبر الأغلاط وأعظم الأخطاء استمداد الحكومات الإسلامية والأفراد نُظُمهم من النظم الأجنبية، وهي في غاية الخلل والنقص، وتركهم الاستمداد من دينهم، وفيه الكمال والتكميل ودفع الشر والفساد. ما بقي من الإسلام إلا اسمه، نتسمىٰ بأننا مسلمون ونترك مقومات ديننا وأسسه، ونذهب نستمدُّها من الأجانب، وسبب ذلك الجهل الكبير بالدين وإحسان الظن بالأجانب، ومشاهدة ما عليه المسلمون

من الاختلال والضعف. نشأ عن ذلك كله توجيه الوجوه إلىٰ الاستمداد من الأجانب...»[١].

٢. قرر الشيخ ضرورة ووجوب معرفة السياسة الدولية ومقاصدها، فقال: «قد عُلم من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد، ولا يخفىٰ أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقِّي لشرورها إلا بالوقوف علىٰ مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياساتهم، وخصوصًا السياسة الموجهة منهم للمسلمين؛ فإن السياسة الدولية قد أسست علىٰ المكر والخداع، وعدم الوفاء، واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد، فجهْل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير، ومعرفتها نفعه عظيم، وفيه دفع للشر أو تخفيفه»[٢].

٣. ومن تحريراته المهمة في مجال السياسة الشرعية، تجويز الانتفاع بالوسائل التي يحصل بها حماية المسلمين، كالروابط القبلية مثلًا، فمن فوائده المستنبطة من قصة شعيب عليه السلام عند قوله تعالىٰ: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ [هود: ٩١] حيث قال رحمه الله: «ومنها أن الله يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئًا منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، وأهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب رجم قومه، بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك؛ لأن الإصلاح مطلوب علىٰ حسب القدرة والإمكان.

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، ثقافة، الرياض الناضرة (١/ ٤٦٥).

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، ثقافة، وجوب التعاون بين المسلمين (١/ ١٩٥) باختصار.

فعلىٰ هذا لو سعىٰ المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا علىٰ جعل الولاية جمهورية، يتمكن فيها الأفراد من حقوقهم لكان أولىٰ من استسلامهم لدولة تقضي علىٰ حقوقهم»(١).

رابعًا: وأما عن الشيخ محمد بن إبراهيم(٢) فله جهود بارزة واهتمامات ظاهرة بمسألة الحاكمية، فإن من النوازل التي عصفت بالمسلمين في عصره تحكيم القوانين الوضعية وتنحية شرع الله تعالىٰ المنزل، ويمكن أن نشير -بإيجاز- إلىٰ جهود الشيخ محمد بن إبراهيم في هذا الشأن علىٰ النحو الآتي:

١ . يؤكد الشيخ اختصاصَ الله وحدَه بالحكم، فيذكر -رحمه الله- «أن الشرع وحده المتعيِّن للحكم بين الناس، وفصل النزاع عندما يحصل التنازع، واعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شك أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله»(٣).

وإذا كان بعض المفتونين بالقوانين الوضعية يزعمون أن الشريعة لا تستوعب حل المستجدات المعاصرة، فإن الشيخ يقرر أن الشريعة كفيلة بإصلاح كل أحوال البشرية، ولذا خاطب القضاة بوجوب النظر في جميع القضايا دون إحالتها إلىٰ جهة أخرىٰ فقال: «غير خافٍ أن الشريعة الإسلامية كفيلة بإصلاح أحوال البشرية في كل المجالات، وفيها كفاية تامة لحل النزاع وفض الخصام وإيضاح كل مشكل،

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي، التفسير، (٣/ ٤٥٧) باختصار.

(٢) ولد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم عام ١٣١١هـ في الرياض، ودرس العلم على كبار مشايخ الرياض، وجلس للتدريس في فنون كثيرة ما يزيد على أربعين سنة، وتولى رئاسة القضاء والإفتاء، كما أشرف على تعليم البنات، له مؤلفات وتلاميذ، توفي في الرياض سنة ١٣٨٩هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص١٦٩)، علماء نجد (١/ ٨٨).

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٥١).

وفي الإحالة علىٰ تلك الجهات إقرار للقوانين الوضعية، وإظهار المحاكم الشرعية بمظهر العجز والكسل»[١].

ويقول -في رسالة أخرىٰ-: «فأي نزاع كان بين متنازعين سواء البلدية أو غيرها فمرده إلىٰ الحكم الشرعي، ومن رام غير هذا فقد رام شططًا وخرج عن الصراط المستقيم»[٢].

ويقول -في موضع ثالث- واصفًا الشرع المنزل: «وهو الشرع المطهر الصالح لكل زمان ومكان، والكفيل بحل مشاكل العالم في أمور دينهم ودنياهم، مهما طال الزمان، وتغيرت الأحوال، وتطور الإنسان؛ لأن الشريعة قواعد شَرعها المحيطُ علمه بكل شيء، لتنظيم أحوال الناس وحل مشاكلهم علىٰ سبيل الدوام، وهو سبحانه العليم الحكيم الذي شرع الشرائع وأوضح الأحكام، أرأف بعباده المؤمنين، وأعلم بمصالح خلقه من أنفسهم...»[٣].

٢. حرص الشيخ علىٰ استقلاليةِ القضاء، وتميزِ كيانه، وكونه حاكمًا لا محكومًا، فمنع من إشراك غير القضاة فيما هو من اختصاصهم، فقال: «فاشتراك الأمير أو غيره مع القاضي في شيء يستدعي إصدار صك شرعي لا يسوغ، ومشاركة غير القضاة الشرعيين في أمور شرعية لا يترك للمحكمة أن تستقل بنظر ما هو من اختصاصها»[٤].

وفي استقلالية القضاء مصالح عظيمة من قيامٍ بالعدل، وإنفاذٍ للأحكام الشرعية من خلال أهل الشأن.

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٣٠٥).
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٨/ ٢٠٢).
(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٨/ ٢٢، ٢٣)
(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٢٢/ ٢٧٣)، انظر: (١٢/ ٢٦٦، ٢٧٢، ٤١١).

٣. فرّق الشيخ بين القوانين الوضعية وبين الأنظمة الإدارية، فسوّغ الأنظمة الإدارية التي تُعنَىٰ بالأحوال الإدارية وما في معناها، ولا تجاوز اختصاصها، بل كان للشيخ رأي وتوجيه لبعض النظم الإدارية بما ينفع الناس[١]، وحذّر الشيخ وغلّظ من شأن القوانين الوضعية، وكشف عن أخطارها ومفاسدها، وكان له مواقف حازمة تجاه أي هيئة أو مؤسسة ذات حكم وضعي كما هو مبسوط في فتاويه[٢].

٤. حرر الشيخ محمد بن إبراهيم مسألة الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ تحريرًا علميًا عميقًا كما هو مبسوط في رسالته الموسومة بـ«تحكيم القوانين»، حيث استوعبت هذه الرسالة الأحوال التي يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أكبر أو أصغر، ومن تلك الأحوال المستجدة في عصره: التحاكم إلىٰ المحاكم الوضعية أو «سلوم» القبائل وموائدهم، حيث بيّن حالها ووصفها ثم نزّل الحكم الشرعي عليها[٣].

خامسًا: واقتفىٰ العلامة عبد الله بن حميد[٤] -رحمه الله- أثر شيخه محمد بن إبراهيم في الذبِّ عن الشرع المطهر وبيان محاسن الشريعة، والتحذير من القوانين الوضعية وبيان فسادها، فسطّر رسالة مهمة بعنوان «كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر»، فذكر أقسام السياسة الثلاثة (شرعية، وجائزة، وشيطانية)، كما

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٦٧، ٦/ ٢٢٧).
(٢) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٠).
(٣) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٨٤ - ٢٩١).
(٤) ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في الرياض سنة ١٣٢٩هـ، ودرس العلم على مشايخ الرياض، واشتغل بالتدريس، وولي القضاء، له تلاميذ ومؤلفات، توفي في الرياض سنة ١٤٠٢هـ. انظر: علماء نجد (٤/ ٣٤١)، الدرر السنية (١٦/ ٤٧٦).

أورد بيان الشريعة للسياسة الداخلية والخارجية، وما تتميز به الشريعة من الشمول والكمال[١].

كما بيَّن -في رسالة أخرىٰ- مكانة القضاء في الإسلام، وما كان عليه قضاة الإسلام من العدل مع كل إنسان وفي كل حال[٢]، ودعا الشيخ -في رسالة ثالثة- لإصلاح القضاء، وذلك بتولية الأكفاء ممن عرف بالعلم والديانة، كما طالب بتيسير إجراءات أصحاب القضايا، وتسهيل معاملاتهم، وذلك بالتخفف من تلك الأنظمة التي من شأنها تعقيد القضايا، وتكليف الخصوم بأعباء يحصل المقصود بدونها، وألمح الشيخ إلىٰ أن إهمال تلك المآخذ وعدم تصحيحها سبب في ميل العامة إلىٰ القوانين الوضعية، وظنهم أنها تضمن لهم حقوقهم[٣].

وألَّف الشيخ ابن حميد رسالة في نقد بعض القوانين المعاصرة، فبين ما في موادها من المفاسد والأخطاء، كما كشف عن عوارها وتناقضها[٤]، وختم الرسالة بقوله:

«أنحن في حاجة إلىٰ تشريع أحد، وكتاب الله بين أيدينا وسنة رسوله ﷺ بين أظهرنا؟ هل الشريعة قاصرة علىٰ حل مشاكلنا؟ كلا والله ثم كلا، إنها والله الكافية الوافية، التي لم تدع شيئًا مما يحتاج إليه البشر في ماضي الزمان وحاضره ومستقبله إلا أتت به علىٰ الوجه الأكمل وأوضحه وأعدله.

ويا عجبًا! أترمىٰ شريعتنا بالتقصير في حل مشاكلنا، ونمد يد الفقر والحاجة إلىٰ أعدائنا، ليعلمونا حل مشاكلنا؟ أيشهد أعداؤنا بكمال الشريعة ونضوجها وصلاحها لكل زمان ومكان، ونكذبهم بأفعالنا؟

---

(١) انظر: فتاوى ابن حميد (ص٣٢٣).

(٢) انظر: الدرر السنية (١٦/ ١٨٠ - ١٩١).

(٣) انظر: الدرر السنية (١٦/ ١٩٣ - ١٩٥).

(٤) انظر: الدرر السنية (١٦/ ٢٣٧ - ٣١٢).

أيعدل عن الشريعة الكاملة العدل إلىٰ نظم في غاية من التناقض والظلم والجور؟ يشهد بعضها علىٰ بعض بعدم ملاءمتها، ووضوح تناقضها؟»[1].

(١) انظر: الدرر السنية (١٦/ ٣١٠، ٣١١) باختصار.

ثالثًا: نوازل المذاهب المعاصرة والأفكار الوافدة

عرض لجزيرة العرب ما عرض لسائر بلاد المسلمين، فظهرت مذاهب حادثة وأفكار وافدة، وكان لعلماء الدعوة السلفية في نجد مساعٍ مشكورةٌ تجاه تلك المذاهب والأفكار، حيث تعرَّفوا علىٰ حقائقها وكشفوا عن عوارها وباطلها، وكتبوا الردود والأجوبة عنها بعلم وعدل، وسنسوق نماذج من تلك المذاهب والأفكار مع بيان جهود علماء الدعوة نحوها.

أ- التنصير:

١. قدم البحرين مندوب إنجليزي -قبيل الاستعمار الإنجليزي- وكان قسيسًا نصرانيًا، ومعه كتاب يحوي شبهات في إثبات صحة النصرانية وتوهين دين الإسلام، فعرضه علىٰ حاكم البحرين عبد الله بن أحمد بن خليفة، وطلب منه عرضه علىٰ علماء البحرين ليجيبوا عنه أو يقرُّوا بصحة ما فيه إن عجزوا، فعرضه عليهم عبد الله بن خليفة، فقالوا لا نستطيع الردَّ عليه، ولا علىٰ دفع الشبه التي فيه، ثم بعثه إلىٰ علماء الأحساء فكان جوابهم مثل جواب أهل البحرين، وانقطع الجميع عن الردِّ عليه، فاغتم حاكم البحرين، فقال له أحد خواصه، إنه يوجد في البحرين شاب من طلبة العلم بنجد فأرىٰ أن تعرضه عليه عسىٰ أن يكون له عنده جواب، فأعطىٰ ابن خليفة الكتاب لرفيقه ليدفعه إلىٰ الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر[1]، فعرضه عليه وقص عليه الأمر، وتصفحه ثم أمعن النظر فيه وقال:

(١) ولد الشيخ عبد العزيز بن معمر في الدرعية سنة ١٢٠٣هـ وطلب العلم على مشايخ الدرعية، ثم انتقل إلى البحرين بعد سقوط الدرعية، ودرس على علماء الأحساء، له مؤلفات، توفي في البحرين سنة ١٢٤٤هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٤٤٥)، مشاهير علماء نجد (ص٢١٩).

سأعطيكم الجواب عليه بعد شهر إن شاء الله تعالىٰ، فلم يمضِ الشهر حتىٰ دفع إليهم الجواب السديد واسمه «منحة القريب المجيب في الردِّ علىٰ عباد الصليب»، ففرح بالكتاب حاكم البحرين، ثم دعا القسيس الإنجليزي وناوله الرد، فلما قرأه دهش من قوة الجواب وسداد الرأي[1].

٢. جاء في رسالة خطية كتبها الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ سنة ١٣١٠هـ[2]، أن له مؤلفًا بعنوان «القول الكفيل برد البرهان الجليل»، وهو رد علىٰ رسالة سماها صاحبها «البرهان الجليل في صحة التوراة والإنجيل»، وذكر ابن عيسىٰ أن للشيخ حسن حسين الطويراني[3] كتابًا بعنوان «دليل أهل الإيمان في صحة القرآن» في الرد علىٰ البرهان الجليل، وقد أثنىٰ ابن عيسىٰ علىٰ هذا الكتاب، كما أعقب ذلك بجملة من الملحوظات.

٣. كان الشيخ محمد رشيد رضا[4] قد طالب المسلمين بتأليف جمعية إسلامية في البحرين والكويت، وقال: «فعليهم أن يؤلفوا جمعية للدفاع عن دينهم

---

(١) انظر: تفصيل هذه القصة في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن معمر، والتي كتبها الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٣٦٧هـ) في مقدمة كتاب «منحة القريب المجيب»، وانظر: علماء نجد (٢/ ٤٤٦).

(٢) ولد الشيخ ابن عيسى في شقراء عام ١٢٥٣هـ وطلب العلم على مشايخ الرياض، له مؤلفات وتلاميذ، واشتغل بالتجارة، وتولى القضاء، وجلس للفتيا، توفي في المجمعة سنة ١٣٢٩هـ. انظر: علماء نجد (١/ ١٥٥)، ومشاهير علماء نجد (ص٢٦٦).

(٣) هو حسن حسني بن حسين الطويراني، تركيُّ الأصل، ولد في القاهرة سنة ١٢٦٦هـ ونشأ فيها، وأقام في تركيا، وكان يجيد الشعر بالعربية والتركية، له عدة مصنفات، توفي بالقسطنطينية سنة ١٣١٥هـ. انظر: الأعلام (٢/ ١٨٧)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٢١٦).

(٤) ولد محمد رشيد رضا في الشام سنة ١٢٨٢هـ، وتعلَّم بها، اشتغل بالصحافة، وعمل في السياسة، وزار عدة بلدان، صاحب مسلك إصلاحي تجديدي، له عدة مؤلفات، توفي بالقاهرة عام ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٢٦).

يكون أول عملها مجاهدة هؤلاء الدعاة المبشرين بمثل ما يجاهدون المسلمين به...»[١].

وقد بادر المحسن مقبل بن عبد الرحمن الذكير[٢] فأنشأ ناديًا في البحرين سنة ١٣٣٠هـ باسم «النادي العربي الإسلامي»، من أجل تحرير المقالات وإعداد الردود علىٰ النصارىٰ الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية، وقد تولىٰ الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع[٣] -رحمه الله- رئاسة النادي المذكور، وقام به خير قيام[٤].

لقد انتشر مذهب السلف الصالح في بلاد الخليج علىٰ يد علماء الدعوة وأتباعهم، وكان انتشاره سببًا في مكافحة المنصرين ومقاومتهم[٥].

وهذا أمر معلوم تثبته وقائع التاريخ، فإن ظهور السنة يلازمه عز الإسلام وأهله وذل الكافرين كما حصل في خلافة المتوكل علىٰ الله والقادر ونحوهما[٦].

---

(١) مجلة المنار، مجلد ١٦ (ص٣٨٢)، وانظر: أصول التنصير في الخليج العربي لكونوي زيقلر ترجمة مازن المطبقاني (ص١٧٣).

(٢) ولد مقبل الذكير في المدينة عام ١٣٠٠هـ ثم سافر إلى الكويت، وعمل في التجارة، فتنقل بين عنيزة والعراق والهند، له مؤلفات في تاريخ نجد، توفي في البحرين سنة ١٣٦٣هـ. انظر: الأعلام (٧/ ٢٨١)، وعلماء آل سليم (ص٥١٤).

(٣) ولد ابن مانع في عنيزة عام ١٣٠٠هـ وتلقى العلم على مشايخ في نجد وبغداد والقاهرة، واشتغل بالتدريس، وولي القضاء في قطر، له مؤلفات وتلاميذ، توفي في بيروت سنة ١٣٨٥هـ. انظر: علماء نجد (٣/ ٨٢٧)، مشاهير علماء نجد (ص٤١١).

(٤) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٨٢٩)، التبشير في منطقة الخليج العربي لعبد المالك التميمي (ص٢٠٩)، فتح الجليل في ترجمة شيخ الحنابلة عبد الله بن عقيل (ص٣٤٣).

(٥) انظر: التبشير في منطقة الخليج العربي لعبد المالك التميمي (ص٢٠٨، ٢٠٩).

(٦) انظر: نقض المنطق لابن تيمية (ص١٩، ٢٠).

ب - الزندقة والإلحاد:

ظهرت الشيوعية في القرن الرابع عشر الهجري، وامتد إلحادها إلىٰ كثير من البلدان، فوجد من يدعو إلىٰ إنكار وجود الله تعالىٰ والانسلاخ من الدين والطعن في الغيبيات، كما وقع من عبد الله بن علي القصيمي[1]، والذي كان معروفًا بالعلم وله تصانيف حسنة في عقيدة السلف والردِّ علىٰ المخالفين، ثم انتكس وسلك طريق الزندقة والكفر البواح، وألَّف كتبًا إلحادية مثل «هذه هي الأغلال»، و«العالم ليس عقلًا»، فقام علماء الدعوة السلفية بالذبِّ عن دين الله تعالىٰ ونقض أصول الملحدين وشبهاتهم، ومن تلك الجهود ما يأتي:

١. ألَّف الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز السويح[2] -رحمه الله- كتابًا بعنوان «بيان الهدىٰ من الضلال في الردِّ علىٰ صاحب الأغلال»، ويتكون من مجلدين، ويقارب مائتين وألف صفحة، فهو أوسع كتاب في الرد علىٰ القصيمي، ويتميَّز هذا الكتاب بمزايا مهمة منها:

- حوىٰ الكتاب جوانب مهمة تتعلق بحياة القصيمي مثل أسباب ردته، والحديث عن سلوكياته وأخلاقه[3]، كما نقل حكم العلماء علىٰ القصيمي بالردة

---

(١) عبد الله بن علي القصيمي الصعيدي، ولد سنة ١٣٢٣هـ في بريدة وطلب العلم على مشايخ نجد، ثم درس في الجامع الأزهر، وألَّف كتبًا في الذب عن الإسلام والسنة، ثم ارتدَّ عن دين الإسلام وسوَّد كتبًا في الزندقة والإلحاد، هلك سنة ١٤١٦هـ بالقاهرة. انظر: دراسة عن القصيمي لصلاح الدين المنجد، والقصيمي بين الأصولية والانشقاق ليورغن فازلا.

(٢) ولد الشيخ السويح بروضة سدير سنة ١٣٠٢هـ، ودرس على علماء الرياض والحجاز، جلس للتدريس، وتولى القضاء، توفي بمكة عام ١٣٦٩هـ. انظر: علماء نجد (١/ ٣٣٤)، روضة الناظرين (١/ ٥١).

(٣) انظر: بيان الهدى من الضلال (١/ ٥، ٤٧، ١٤٢، ٣٦٥، ٢/ ١٥٨).

والكفر الصراح، كالشيخ محمد بن إبراهيم وعبد الله العنقري وعبد الله بن حسن آل الشيخ[١].

- برع المؤلِّف في كشف تناقض القصيمي في أغلاله، فربما أثبت ما نفاه، وكذا العكس[٢].

- حوىٰ الكتاب نقدًا لاذعًا وهجومًا ساخرًا مقابلةً للقصيمي في سخريته بالدين وأهله[٣].

- حفل الكتاب بردود عقلية محكمة وأجوبة مسددة، فربما قلب الشيخ السويح الدليل علىٰ القصيمي فجعله حجة عليه، كما تميَّز المؤلف بدقته ورسوخه في إيراد المآخذ علىٰ الأغلال[٤].

- تميَّز المؤلِّف -في هذا الكتاب- بسعة اطلاعه، ورجوعه إلىٰ مصادر متنوعة، لا سيما فيما يتعلق بالكتب المعاصرة مثل: جمعية أم القرىٰ للكواكبي، والفلسفة القرآنية للعقاد، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، والعبرات للمنفلوطي، وحضارة العرب لجوستاف لوبون ونحوه[٥].

- يلحظ ما تحلىٰ به المؤلف من وعي بواقع العالم المعاصر ودراية بأحوال الأمم وثقافاتهم وسياساتهم[٦].

---

(١) انظر: بيان الهدى من الضلال (٢/ ٣٣١).

(٢) انظر: بيان الهدى من الضلال (١/ ٢٦٤، ٣١٣، ٣٧٧، ٤١٠، ٤٣٥، ٥٥٨، ٥٧٦، ٢/ ٧، ١٩٠، ٤٢٥).

(٣) انظر: بيان الهدى من الضلال (١/ ٢٥٥، ٢٨٧، ٤٠١، ٥٧٦)، (٢/ ٢٧، ٣٨، ١٦٤، ٣٨٠).

(٤) انظر: بيان الهدى من الضلال (١/ ٤٥، ١٥٨)، (٢/ ١٣٦، ٢٢٢، ٥٢٤، ٥٣٧، ٥٨٦، ٥٤٩).

(٥) انظر: بيان الهدى من الضلال (١/ ٣، ٦١، ٣٩٣، ٤٦٣)، (٢/ ٣٢٧، ٣٩٧، ٤٠٨، ٤٩٩، ٥٢٨).

(٦) انظر: بيان الهدى من الضلال (١/ ٨٢)، (٢/ ٨٦، ١٠٨، ١٨٦، ٤٠٧، ٤٤٤، ٤٥٧، ٥٢١، ٥٨١).

٢. وأما الشيخ عبد الرحمن السعدي فقد فاق أقرانه وأهل عصره في مجاهدة الملاحدة ونقض أصولهم، فكتب ثلاثة مؤلفات مفردة في هذا المجال.

فأما الكتاب الأول فهو «تنزيه الدين وحملته مما افتراه القصيمي في أغلاله»، حيث تميز هذا الكتاب بأمور منها:

- ذكر المؤلف خلاصة «الأغلال» وأهم أصوله ومقاصده، وبيَّن أن كتاب «هذه هي الأغلال» يدور علىٰ أمرين:

الأول: أن المسلمين في هذا العصر متأخرون عن غيرهم في الاختراعات والصناعات.

الثاني: أن غيرهم مهر في هذه الأمور مهارة فائقة، ورتَّب علىٰ ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأعمال، وقرر في كتابه أن الإسلام أغلال وقيود تقيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء. ثم نقض السعدي تلك الأصول الفاسدة، وساق جملة من محاسن الإسلام ومزاياه[1].

- تميز مؤلفه بالموضوعية والعدل والرحمة، فقد أشار المؤلف إلىٰ كتب القصيمي السابقة في نصرة الحق والردِّ علىٰ المبتدعين والملحدين، وقال عن الأغلال: «ونحن لا ننكر ما في كلامه من المعاني الصحيحة وإن لم يكن هو أول من قالها»[2].

وقال في موطن آخر: «ونرجو الله أن يعيده إلىٰ الحق والتنصل ونقض ما كتبه واجترأ عليه»[3].

(١) انظر: المجموعة الكاملة، ثقافة، «تنزيه الدين وحملته» (٢/ ٤٣٤).
(٢) المرجع السابق (ص٤٢٧).
(٣) المرجع السابق (ص٤٣٣).

وجاء في آخر الكتاب: «فوالله إننا لنأسف أشد الأسف علىٰ انقلاب هذه الرجل، ونعدُّ ذلك من الخسائر علينا، حيث فقدنا هذا الرجل الذي مضىٰ له من المقامات ونصر الحق ما لا ينكر»[١].

- ومع هذه الموضوعية والرحمة فإن المؤلف بيَّن شناعة هذا الكتاب، وما فيه من الكفر البواح والردَّة المغلظة فقال: «من نظر فيه وتأمله حق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفرًا منه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترىٰ مفترٍ علىٰ الدين كافترائه، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء بالدين وأصوله كاستهزائه وسخريته؛ فإنه اشتمل علىٰ نبذ الدين ومنابذته ومنافقته، ثلاثة لا تبقي من الشر شيئًا إلا تضمنته، فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية»[٢].

وأوضح السعدي أن الكتاب موجهٌ إلىٰ قلب الدين وروحه، وإلىٰ هدم علومه وجميع مقوماته[٣].

ولما ساق السعدي كلام القصيمي بأن الإيمان بالله يمنع الرقي وأنه غلٌّ يمنع من الخير والصلاح، قال معلِّقًا: «وقول وصل إلىٰ هذا الحدِّ ليس بعده تقدم إلىٰ الكفر، وإنما هو النهاية في الكفر والتعطيل والجحود لرب العالمين»[٤].

- يتجلىٰ وعي السعدي ودرايته بأحوال زنادقة هذا العصر حيث ألمح إلىٰ أن القصيمي عميل من قبل جهات أجنبية[٥]، وبيَّن في موطن آخر تهافت أعذاره

(١) المرجع السابق (ص٤٧٤).
(٢) المرجع السابق (ص٤٢٩).
(٣) المرجع السابق (ص٤٣٣).
(٤) المرجع السابق (ص٤٣٧).
(٥) انظر: المرجع السابق (ص٤٢٥).

وتفاهتها، فقال السعدي: «وهذا الرجل لا بد قد شعر أن الناس لا يشكُّون ولا يمترون في منافاة كتابه وأقواله للدين، فتراه في مطاوي كتابه يعتذر ويدَّعي أنه مؤمن بالله ورسوله وبريء من الإلحاد، أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزنًا؟ وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة التافهة في جانب حملاته الشديدة علىٰ الدين، والحث البليغ علىٰ نبذه وعلىٰ سلوك طريق الملحدين؟»[1].

كما أشار الشيخ إلىٰ صفاقة القصيمي فقال: «وهذا الرجل لم يسلك مسلك الحذَّاق من الملحدين الذين يموهون بأشياء تروج علىٰ كثير من الناس، ولكن جاء إلىٰ أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها، فأنكره غاية الإنكار، وكابر فيه أعظم مكابرة»[2].

وأما الكتاب الثاني فعنوانه: «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين»، ويتميز بأمور منها:

- ذكر المؤلف أن أصل الإلحاد هو إبطال الشرائع والشك فيها، والإيمان بالمحسوس، وأشار إلىٰ أن أصول الإلحاد تعود إلىٰ أرسطو اليوناني[3].

- تضمن الكتابُ ثلاثة وثمانين وجهًا في الرد علىٰ الملحدين.

- استفاد السعدي من كلام شيخ الإسلام -في نقض التأسيس- في الرد علىٰ الفلاسفة الملاحدة، وأتمه بأجوبة أخرىٰ.

- بيَّن السعدي أن أعظم ما يُبطل الإلحاد معرفةُ دين الإسلام والعمل به، وأنه بطبيعته وبراهينه يضمحل معه كل باطل من كل وجه، وأن حال المسلمين اليوم

---

(١) المرجع السابق (ص٤٣٣).

(٢) المرجع السابق (ص٤٦٤).

(٣) انظر: المجموعة الكاملة، ثقافة، «الأدلة القواطع والبراهين» (٢/ ٢٩٨).

في تفرقهم وتركهم جمهور مقومات دينهم حتىٰ انحلوا وضعفوا صار فتنة للكفار والمنافقين وشبهة لمن يريد التلبيس[١].

وأما **الكتاب الثالث** فهو «انتصار الحق»[٢]، وهي رسالة صغيرة لا تزيد علىٰ سبع عشرة صفحة تحوي محاورة لطيفة بين مؤمن وشخص آخر تلبّس بالإلحاد، وساق المؤلف من خلالها شبهات الملاحدة، وبيَّن حالهم، ثم أورد أجوبة جلية عن أهل الإلحاد، وبين محاسن الإسلام ومزاياه، وتحقيقه السعادة في الدارين، وانتهت هذه المحاورة بتوبة الملحد وعودته إلىٰ الإسلام.

ولم يقتصر السعدي علىٰ هذه الكتب الثلاثة فحسب، بل تضمنت الكثير من كتبه الأخرىٰ أجوبة محررة عن دعاوىٰ الملحدين[٣].

ولا غرابة أن يهتم السعدي بالرد علىٰ الملاحدة، فقد استفحل الإلحاد في عصره، واستحوذ علىٰ كثير من الناس، وكما قال السعدي مبينًا ذلك: «ومتىٰ تأملتَ أحوال البشر، وكيف سرىٰ الإلحاد فيهم بصورة هائلة، وزخرفت له الأقوال، وروج بأساليب متنوعة، ونصر بالقوىٰ المادية وجرف بفتنته وتياره الخلق الكثير»[٤].

وقال -في شأن الملاحدة-: «ولم تزل هذه الطائفة الخبيثة في نمو وازدياد حتىٰ طمَّ بحرهم في هذه الأوقات الأخيرة، وانسلخوا عن أديان الرسل من

---

(١) المجموعة الكاملة (ص٣٧٩).

(٢) المجموعة الكاملة (ص٣٩٧ - ٤٢٠).

(٣) المجموعة الكاملة «خلاصة التفسير» (ص٣٢٦، ٣٧١، ٤٧١). «الفتاوى» (ص٦٢)، «وجوب التعاون بين المسلمين» (ص٢٥١)، «الدلائل القرآنية» (ص٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٣). «الدين الصحيح يحل جميع المشكلات» (ص٣٣٦، ٣٤٤). «الرياض الناضرة» (ص٥٣٩).

(٤) رسالتان في فتنة الدجال للسعدي (ص٣٥).

جميع أمور الغيب، ونشأ الإلحاد، وطغىٰ الماديون الذين ينكرون ما لم تصل إليه عقولهم...»[1].

والمتأمل فيما كتبه العلامة السعدي عن الإلحاد وأهله، يلحظ عدة أمور منها:

- تميَّز السعدي باستبانة سبيل المجرمين، ودراية بنظريات الإلحاد، ومن ذلك نقده لنظرية دارون في أثناء حديثه عن الفوائد المستنبطة من قصة آدم أبي البشر عليه السلام، حيث قال: «نبغت في هذه الأزمان المتأخرة فرقة خبيثة زنادقة أنكروا جميع ما جاءت به الرسل، وأنكروا وجود الباري، ولم يثبتوا من العلوم إلا العلوم الطبيعية التي وصلت إليها معارفهم القاصرة.

فبناء علىٰ هذا المذهب الذي هو أبعد المذاهب عن الحقيقة شرعًا وعقلًا، أنكروا آدم وحواء، وما ذكره الله ورسوله عنهما، وزعموا أن هذا الإنسان كان حيوانًا قردًا أو شبيهًا بالقرد، حتىٰ ارتقىٰ إلىٰ هذه الحال الموجودة، وهؤلاء اغتروا بنظرياتهم الخاطئة..»[2].

وقال في الردِّ علىٰ القصيمي: «فتجرأ هذا الرجل وترك ما أخبرت به الرسل والكتب السماوية، وسلك مسلك ملاحدة الطبائعيين، الذين نظروا نظرية خرافية تسمىٰ نظرية دارون الإنكليزي، مآلها تسلسل الإنسان عن القرد، والقرد عن كلب أو حيوان دونه، وهكذا خطَّأهم فيها قومهم فضلًا عن الرسل وأتباعهم...»[3].

وتحدث عن اضطراب نظريات الملاحدة قائلًا: «شاعت بين أهل الفلسفة كثير من النظريات التي تشبه الفوضىٰ، وكَثُر تعظيم الملحدين وتقليدهم في منتهىٰ

(١) المجموعة الكاملة للسعدي «الفتاوى» (ص٦٢).

(٢) المجموعة الكاملة للسعدي، التفسير، «خلاصة التفسير» (ص٣٢٦).

(٣) المجموعة الكاملة للسعدي، ثقافة، «تنزيه الدين وحملته» (٢/ ٤٦٠).

نظرياتهم التي بنوها علىٰ ظنون وتخرصات وتجارب يكثر خطؤها، وهم في تلك النظريات مضطربون بل هم متناقضون، ومن وقف علىٰ نظرياتهم الخاطئة أخذه العجب من كثرة اضطرابها وتناقضها، ويرىٰ فريق منهم رأيًا ثم يأتي فريق وينقضه ويثبت له نظرية غيرها»[١].

- كانت أجوبة السعدي عن ملاحدة عصره ذات شمول واستيعاب، فلم يقتصر علىٰ مجرد إثبات وجود الله أو الردِّ علىٰ من قال إن الحوادث صدفة، بل ردَّ علىٰ عموم اعتراضاتهم ودعاويهم، فقرر معجزات الأنبياء عليهم السلام، وردَّ علىٰ المنكرين الملحدين، كما ردَّ علىٰ الماديين في موضوع السنن الكونية، وأجاب عن شبهات الملحدين، كقولهم: إن الحدود والعقوبات الشرعية غير لائقة، ودعواهم حرية الفكر[٢].

- لم يكتفِ السعدي بمجرد الردِّ علىٰ الملاحدة، بل كان يورد حقائق مهمة وتقريرات نافعة في معالجة نازلة الإلحاد، فيبين أن الإيمان علاج مشاكل الحياة[٣]، ويؤلف رسالة مستقلة بعنوان «الدين الصحيح يحل جميع المشاكل»[٤]، ويؤكد من خلالها ملاءمة دين الإسلام للحياة وعلاجه لمشاكل الفقر والغنىٰ، والمرض والصحة، والحرب والسلم ونحوها، فلما تحدث السعدي عن مشكلة العلم -مثلًا-، حدد مفهومه قائلًا: «أما مدلول العلم النافع ومسماه الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة فهو كل علم أوصل إلىٰ المطالب العالية، وأثمر الأمور النافعة، لا

(١) المجموعة الكاملة للسعدي، ثقافة، «وجوب التعاون بين المسلمين» (١/ ٢٥١).

(٢) انظر: المجموعة الكاملة، التفسير، «خلاصة التفسير» (ص٣٧٣، ٤٧١) ثقافة، «الدلائل القرآنية» (١/ ٢٦٩)، (٥٣٩، ٢٤٦، ٢٩٣).

(٣) انظر: المجموعة الكاملة، ثقافة، «الأدلة القواطع» (٢/ ٣٣٨).

(٤) انظر: المجموعة الكاملة، ثقافة، «الدين الصحيح يحل جميع المشكلات» (١/ ٣٣٣-٣٦٠).

فرق بين ما تعلق بالدنيا والآخرة، فكل ما هدىٰ إلىٰ السبيل ورقىٰ العقائد والأخلاق والأعمال فهو من العلم»[1].

- لم يكن السعدي مقتصرًا علىٰ النقل من كتب ابن تيمية، بل كان متأثرًا بطريقته في الردِّ والاستدلال، فعلىٰ سبيل المثال: ردَّ ابن تيمية علىٰ الفلاسفة والمتكلمين، والسعدي ردَّ علىٰ أفراخ الفلاسفة، وهم الملاحدة الشيوعيون، كما ردَّ علىٰ أفراخ المتكلمين، وهم العصرانيون -كما سيأتي بيانه إن شاء الله-.

وإذا كان ابن تيمية يقول: «أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح علىٰ باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل علىٰ نقيض قوله»[2]، فإن السعدي يستدل بالمخترعات الحديثة علىٰ قدرة الله تعالىٰ وإثبات المعاد، علىٰ النقيض مما توهمه الملاحدة أن هذه المخترعات والعلوم دليل علىٰ إنكار الخالق وتكذيب الرسل[3].

٣. وألَّف الشيخ عبد الله بن علي بن يابس[4] «الرد القويم علىٰ ملحد القصيم»، ويتكون هذا الكتاب من ثمانٍ وأربعين وأربعمائة صفحة، فكان يسوق النص من كتاب «هذه هي الأغلال» ثم يتبعه بالرد والنقض، وهي ردود تدل علىٰ سعة اطلاع مؤلفها وقوة حجته.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٤٢).

(٢) حادي الأرواح لابن القيم (ص٢٠٨)، وانظر: الدرء لابن تيمية (١/ ٣٧٤)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٩).

(٣) انظر: المجموعة الكاملة «الفتاوى» (ص٦٢).

(٤) ولد الشيخ عبد الله بن يابس بالقويعية سنة ١٣١٣هـ. وتتلمذ على كبار علماء الرياض، ورحل إلى القاهرة، وأقام بها، له مؤلفات، توفي بالرياض سنة ١٣٨٩هـ. انظر: علماء نجد (٤/ ٣٣٥)، وروضة الناظرين (٢/ ٣٦).

كما بيَّن المؤلف ردَّة القصيمي من وجوه متعددة، كما ساق أمثلة من إلحاده المكشوف ومديحه للاستعمار والزندقة، وتهكمه بالإسلام وسخريته بالشريعة[١].

وتميز «الرد القويم» بأن مؤلفه قد صحب القصيمي في مصر في أثناء طلبهما العلم في جامع الأزهر، وأقاما معًا في رواق واحد، كما ضمَّن كتابه معلومات مشاهدة ووقائع حادثة في بيان زندقة القصيمي، كما أشار الشيخ ابن يابس إلىٰ أن بداية زندقة القصيمي منذ أكثر من خمسة عشر عامًا من صدور كتاب «هذه هي الأغلال»[٢].

وتميز الكتاب أيضًا بإيراده مواقف بعض العلماء والمفكرين -في مصر- من القصيمي، فساق انتقاد حسين يوسف -زعيم شباب سيدنا محمد ﷺ- وأورد نقدًا بليغًا لسيِّد تجاه «الأغلال» سنة ١٣٦٥هـ حيث وصفه بالنفاق والسفسطة، وبيَّن عمالته ودعايته للاستعمار، كما أورد مجادلة الشيخ عبد العزيز بن راشد للقصيمي[٣].

٤. وكتب الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري[٤] -رحمه الله- عدة أجوبة في الرد علىٰ الملاحدة والاشتراكية، إذ كان علىٰ دراية بالمذاهب المعاصرة، ومعرفة بأحوال أمة الإسلام ومخططات أعدائها.

فنظم قصيدة طويلة في الرد علىٰ الشاعر القروي النصراني[٥]، ونظم قصيدة

---

(١) انظر: الردُّ القويم (ص٢٢، ٢٣، ٦٦، ٦٩، ١٣٤).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص١٩، ٢٥، ٢١٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص١١ - ١٩).

(٤) ولد الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري في البحرين عام ١٣٣٢هـ وانتقل مع والده إلى الكويت، فتعلم في المدرسة المباركية، ودرس على بعض العلماء، له مؤلفات كثيرة، وله ردود على الاتجاهات الفكرية المعاصرة، توفي في الرياض سنة ١٣٩٩هـ. انظر: حياة الداعية عبد الرحمن الدوسري للطيار (ص٢٣-٨٧)، ومقدمة تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم (١/ ٩-٢١).

(٥) انظر: بعض أبيات هذه القصيدة في صفوة الآثار والمفاهيم (٣/ ٢٧٩).

تائية في الرد على المشككين بالقدر، وكتب الشيخ الدوسري ردًّا على القوميين، والاشتراكيين، وجاء هذا الرد في حلقات متعددة نشرت في جريدة القصيم[1]، كما ألَّف كتاب «الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة» تضمن تقرير مسائل مهمة في الاعتقاد، وتفنيد مذاهب وآراء إلحادية، وحوى تفسيره عدة ردود على الماركسيين، وسائر المذاهب الإلحادية، فساق أجوبة محكمة في الرد على آراء الملاحدة كقولهم بالمادية الجدلية ونظرية دارون وغيرها[2].

كما بيَّن الشيخ أن هؤلاء الملاحدة الشيوعيين لما تركوا عبادة الله تعالى وجحدوا ربهم عز وجل، اشتغلوا بعبادة البشر، بل أسوأ البشر من أمثال لينين وأضرابه[3]، وكان الشيخ ذا بصيرة نافذة، عزيزًا بدين الله تعالى، ومن ذلك تحذيره من حماس بعض المسلمين وانبهارهم بالقومية والاشتراكية ونحوها، إذ أطلقوا هذه المذاهب على دين الله تعالى، فقال: «وفرق عظيم بين تعبيد الله لعباده في سورة الفاتحة، وبين خيالات بعض المسلمين الذين يدفعهم حماسهم للدين إلى نسبة كل شيء مستحدث للإسلام، ففي الوقت الذي طغت فيه كلمة (الديمقراطية) على ألسنة الماديين رأينا من يسمي الإسلام (ديمقراطيًّا)، ثم في الوقت الذي طغت فيه القومية من يكتب عن قومية الإسلام.. والناس لا يجذبهم إلى الإسلام تسميته بهذه المسميات الجديدة.. والقضية لا تكمن وراء تغيير الأسماء، وإنما القضية قضية تطهير للقلب وتحرير للروح من جميع الأغراض النفسية والعلائق الأرضية، وحصر للاتصال بالله تعالى فقط»[4].

---

(١) حياة الداعية عبد الرحمن الدوسري (ص٨٧، ٢١٩ - ٢٣٢، ٢٤١ - ٣٧٣).

(٢) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم (١/ ٦٣، ٦٨، ٩٤، ١٢٦، ١٩٠، ٢٤٢، ٢٤٩، - ٢٥٥، ٣/ ٢٠٥).

(٣) انظر: صفوة الآثار والمفاهيم (١/ ٢٢٣).

(٤) صفوة الآثار والمفاهيم (١/ ١٩٠ - ١٩١) باختصار.

ج- العصرانية (عصرانية الإسلام):

إذا كان المتكلمون الأوائل أرادوا التوفيق بين الأدلة النقلية وما سموه أدلة عقلية، فحرفوا النصوص الشرعية وخالفوا أمورًا معلومة من الدين بالضرورة، فإنَّ العصرانيين في هذا الزمان أرادوا التوفيق بين الدين والعلم التجريبي والمخترعات الحديثة، فغلوا في تعظيم العقل، وتأولوا الغيبيات تأويلات فاسدة، وفرَّطوا في أحكام الشريعة.

وسنعرض لشيء من جهود علماء الدعوة السلفية بنجد ومواقفهم نحو العصرانيين وآرائهم:

١. بعث الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رسالة إلىٰ الشيخ سليمان بن سحمان[١] سنة ١٣٤٠هـ تضمنت انتقادًا حادًّا لمحمد رشيد رضا في دعوته للتقريب بين أهل السنة والرافضة[٢]، كما عاب علىٰ تلك المدرسة الإصلاحية إنكارهم للنسخ فقال: «وينكرون النسخ في القرآن ويقولون لا ناسخ ولا منسوخ، وقد صرح بذلك صاحب المنار في مناره مرارًا»[٣].

٢. عني العلامة السعدي بالردِّ علىٰ العصريين والجواب عن شبهاتهم، ومن ذلك قوله رحمه الله: «فسَّر طائفة من العصريين سجود الملائكة لآدم أن معناه

(١) ولد الشيخ سليمان بن سحمان في إحدى قرى أبها سنة ١٢٦٦هـ، وانتقل إلى الرياض، وتعلم بها، صاحب قلم سيال، له مؤلفات متعددة، وقصائد كثيرة، توفي في الرياض سنة ١٣٤٩هـ. انظر: مشاهير علماء نجد ص٢٩٠، علماء نجد ١/ ٢٧٩.

(٢) الرافضة من أكبر طوائف الشيعة، وهم أرباب انحراف في الصفات وشرك في توحيد العبادة، وغلو في الأئمة وتضليل الصحابة، كما زعموا أن الإمامة أهم مسائل الدين.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٨٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦٢).

(٣) رسالة خطية، دارة الملك عبد العزيز بالرياض، رقم ٢٦٣.

تسخير هذا العالم للآدميين... ولا يستريب مؤمن بالله واليوم الآخر أن هذا تحريف لكتاب الله، لا فرق بينه وبين تحريف الباطنية والقرامطة...»[1].

وردَّ علىٰ العصريين الذين تأوَّلوا المعجزات تأويلات فاسدة فقال: «إن بعض أهل العلم العصريين الذين يتظاهرون بنصر الإسلام، والدخول مع هؤلاء الزنادقة في الجدال عنه يريدون باجتهادهم أو اغترارهم أن يطبقوا السنن الإلهية وأمور الآخرة علىٰ ما يعرفه العباد بحواسهم ويدركونه بتجاربهم، فحرَّفوا لذلك المعجزات، وأنكروا الآيات البينات، ولم يستفيدوا إلا الضرر علىٰ أنفسهم وعلىٰ من قرأ كتاباتهم في هذه المباحث، إذ ضعف إيمانهم بالله بتحريفهم لمعجزات الأنبياء تحريفًا يؤول إلىٰ إنكارها... ولم يحصل ما زعموه من جلب الماديين إلىٰ الهدىٰ والدين، بل زادوهم إغراء في مذاهبهم...»[2].

وأكَّد الشيخ وجوبَ التسليم للغيبيات، وبيَّن غلط مسلك العصريين الخائضين بعقولهم في عالم الغيب، فلما قرر وجوب التسليم التام لأمور الغيب بلا قيد ولا شرط قال: «ونعرف بذلك غلط المجارين للماديين من العلماء العصريين، واعتذارهم بأن قصدهم التقريب للأمور الغيبية من الأمور المادية المدركة بالحواس اعتذار فيه خطل وغلط كبير، فإن الماديين الذين لا يؤمنون بغير المادة والطبيعة هم منكرون للرب ولرسله واليوم الآخر، فالواجب التكلم مع أمثال هؤلاء في براهين التوحيد والرسالة والمعاد»[3].

وما أروع ذاك التقرير الذي سطَّره السعدي في شأن العصريين الحريصين علىٰ تقريب شرائع الإسلام للأنظمة المعاصرة حيث قال: «وبهذا تعرف غلط من يريد

(١) المجموعة الكاملة، التفسير، «خلاصة التفسير» (ص٣٢٦) باختصار.
(٢) المرجع السابق، (ص٣٧٣) باختصار.
(٣) المجموعة الكاملة، ثقافة، «وجوب التعاون بين المسلمين» (١/ ٢٤٤، ٢٤٥) باختصار.

نصر الإسلام بتقريب نظمه إلىٰ النظم التي جرت عليها الحكومات ذات القوانين والنظم... فإنها هي التي تتقوّىٰ وتقوّىٰ إذا وافقته في بعض نظمها، وأما الإسلام فإنه غني عنها، مستقل بأحكامه، لا يضطر إلىٰ شيء منها، ولو فرض موافقته لها في بعض الأمور، فهذا من المصادفات التي لا بدَّ منها، وهو غني عنها في حال موافقتها أو مخالفتها، فعلىٰ من أراد أن يشرح الدين ويبين أوصافه أن يبحث فيه بحثًا مستقلًّا لا يربطه بغيره أو يعتز بغيره، فإن هذا نقص في معرفته، وفي الطريق التي يبصر بها، وقد ابتلي بهذا كثير من العصريين بنية صالحة، ولكنهم مغترون بزخارف المدنية الغربية التي بنيت علىٰ تحكيم المادة وفصلها عن الدين..»[١].

وبعث العلامة السعدي إلىٰ الشيخ محمد رشيد رضا الرسالة الآتية:

«من عنيزة إلىٰ قاهرة مصر في رجب ١٣٤٦هـ. بسم الله الرحمن الرحيم. أبعث جزيل التحيات، ووافر السلام والتشكرات، لحضرة الشيخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم حرسه الله تعالىٰ من جميع الشرور، ووفقه وسدده في كل أحواله آمين.

أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فالداعي لذلك ما اقتضاه الحب ودفعه الود المبني علىٰ ما لكم من المآثر الطيبة التي تستحقون بها الشكر من جميع المسلمين، ودفع باطل الجاهلين والمعاندين، رفع الله قدركم وأعلىٰ مقامكم، وزادكم من العلم والإيمان ما تستوجبون خير الدنيا والآخرة، وأنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة.

ثم إننا نقترح علىٰ جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثًا واسعًا لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعولون، وأنفعها لشدة الحاجة، بل دعاء الضرورة إليه،

(١) المجموعة الكاملة، ثقافة، «الرياض الناضرة» (١/ ٤٨٦).

ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين، وراج عليهم من أصول الملاحدة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلاسفة، بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذه الأمور ممن يحسنون بهم الظن، ككتب ابن سينا وابن رشد وابن عربي ورسائل إخوان الصفا، بل وبعض الكتب المشتملة علىٰ الكفر برب العالمين والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر، وإنكار ما عُلِمَ بالضرورة من دين الإسلام، فبعضُ هذه الأصول انتشرت في كثير من الصُّحف المصريَّة، بل رأيت تفسيرًا طبع أخيرًا منسوبًا لطنطاوي جوهري، قد ذكر في مواقع كثيرة في تفسير سورة البقرة شيئًا من ذلك، ككلامه علىٰ استخلاف آدم، وعلىٰ قصة البقرة والطيور ونحوها، بكلام ذكر فيه من أصول وحدة الوجود، وأصول الفلسفة المبنية علىٰ أن الشرائع إنما هي تخييلات وضرب أمثال لا حقيقة لها، وأنه يمكن لآحاد الخلق ما يحصل للأنبياء، ما يجزم المؤمن البصير أنه مناقض لدين الإسلام، وتكذيب لله ورسوله، وذهاب إلىٰ معانٍ يعلم بالضرورة أن الله ما أرادها، وأن الله بريء منها ورسوله، ثم مع ذلك يحث الناس والمسلمين علىٰ تعلمها وفهمها، ويلومهم علىٰ إهمالها وينسب ما حصل للمسلمين من الوهن والضعف بسبب إهمال علمها وعملها.

ويح من قال ذلك! لقد علم كل من عرف الحقائق أن هذه العلوم هي التي أوهنت قوىٰ المسلمين وسلطت عليهم الأعداء، وأضعفتهم لزنادقة الفرنج وملاحدة الفلاسفة، وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين، ويتناولون ما في الكتاب والسنة من ذلك بتأويلات تشبه تأويلات القرامطة، الذين يتناولون العقائد والشرائع، فيزعمون أن الملائكة هي القوىٰ الخيرية التي في الإنسان فعبر عنها الشرع بالملائكة، كما أن الشياطين هي القوىٰ الشريرة التي في الإنسان فعبر عنها الشرع بذلك، ولا يخفىٰ أن هذا تكذيب لله ولرسله أجمعين،

ويتأولون قصة آدم وإبراهيم بتأويل حاصله أن ما ذكر الله في كتابه عن آدم وإبراهيم ونحوهما لا حقيقة له وإنما قصد به ضرب الأمثال.

وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك، وإلىٰ الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا علىٰ وجه الرد لها والإبطال، كما في عادتكم في رد ما هو دونها بكثير.

وهذه الأمور يكفي في ردها في حق المسلم المصدق للقرآن والرسول مجرد تصورها، فإنه إذا تصورها كما هي يجزم ببطلانها، ومناقضتها للشرع، وأنه لا يجتمع التصديق بالقرآن وتصديقها أبدًا، وإن كان غير مصدق للقرآن ولا للرسول صار الكلام معه كالكلام مع سائر الكفار في أصل الرسالة وحقيقة القرآن.

وقد ثبت عندنا أن زنادقة الفلاسفة والملحدين يتأولون جميع الدين الإسلامي، التوحيد والرسالة والمعاد والأمر والنهي، بتأويل يرجع إلىٰ أن القرآن والسنة كلها تخييلات وتمويهات لا حقيقة لها بالكلية، ويلبسون علىٰ الناس بذلك، ويتسترون بالإسلام وهم أبعد الناس عنه، كما ثبت أيضًا عندنا أنه يوجد ممن كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، ويعظم الرسول وينقاد لشرعه، وينكر علىٰ هؤلاء الفلاسفة، ويكفرهم في أقوالهم أنه يدخل عليه شيء من هذه التأويلات من غير قصد ولا شعور، لعدم علمه بما تؤول إليه، ولرسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلبه، ولتقليد من يعظمه، وخضوعًا أيضًا ومراعاة لزنادقة علماء الفرنج الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم علىٰ كثير من أصولهم، ويخافون من نسبتهم للبلادة، وإنكار ما علم محسوسًا بزعمهم؛ فبسبب هذه الأشياء وغيرها دخل عليهم ما دخل.

فالأمل قد تعلق بأمثالكم لتحقيق هذه الأمور وإبطالها، فإنها فشت وانتشرت وعمت المصيبة بها الفضلاء فضلًا عمن دونهم، ولكن لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة يهتدي به الضالون، وتقوم به الحجة علىٰ المعاندين.

وقد ذكرت لحضرتكم هذه الأشياء علىٰ وجه التنبيه والإشارة لأن مثلكم يتنبه بأدنىٰ تنبيه، ولعلكم تجعلونه أهم المهمات عندكم؛ لأن فيه الخطر العظيم علىٰ المسلمين، وإذا لم يرَ الناس لكم فيه كلامًا كثيرًا وتحقيقًا تامًّا، فمن الذي يعلق به الأمل من علماء الأمصار؟ والرجاء بالله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضيه ويجعلنا وإياكم من الهادين المهتدين إنه جواد كريم. وصلىٰ الله علىٰ محمد وسلم.

محبكم الداعي/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي»[1].

تسترعي القارئ لهذه الرسالة جملة أمور منها:

- سعة اطلاع الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- وبعد أفقه، حيث طالع مجلة المنار، وأثنىٰ عليها خيرًا، وأبدىٰ شيئًا من مآثرها في نصرة الإسلام والمسلمين، مع أن المجلة تكاد تكون معدومة الانتشار في نجد آنذاك، بدليل أن الشيخ محمد رشيد رضا -في جوابه علىٰ رسالة السعدي- يقول: «كنت منذ سنين كثيرة أتمنىٰ لو يطلع علماء نجد علىٰ المنار، ويفتح بيني وبينهم البحث والمناظرة العلمية الدينية فيما يرونه منتقدًا لينجلي وجه الصواب فيها، وقد كنت كتبت إلىٰ إمامهم[2] بذلك، وإنني سأرسل إليه عشر نسخ من كل جزء ليوزعها علىٰ أشهرهم، وفعلت ذلك عدة سنين، ولكن لم يأتني منه جواب، ثم ترجح عندي أن تلك النسخ

(١) مجلة المنار، (م٢٩، ج ٢، ص١٤٣ -١٤٥).

(٢) يقصد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -رحمه الله-.

كانت تختزل من البريد البريطاني في سني الحرب وما بعدها»[١]، بل إن الشيخ السعدي قد طالع تفسير «الجواهر في تفسير القرآن» لطنطاوي جوهري، مع أن البلاد السعودية قد منعت هذا الكتاب، ولم تسمح بدخوله بلادَها، لما تضمنه من مزالق وانحرافات[٢].

- وتكشف هذه الرسالة فقه الشيخ السعدي لواقعه، وإحاطته بتحديات عصره، حيث أكَّد أهمية الرد علىٰ الإلحاد والملاحدة، كما سبق ذكره.

- وتبيِّن هذه الرسالة ما عرف عن الشيخ السعدي من خلق حسن، وأدب رفيع، وحكمة في الدعوة، فقد كان -رحمه الله- رفيقًا متأنيًا في النقد والتقويم، فقال -رحمه الله-: «وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك وإلىٰ الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا علىٰ وجه الردِّ لها والإبطال، كما هي عادتكم في ردِّ ما هو دونها بكثير».

- أطنب الشيخ السعدي في التحذير من مزالق العصريين، وما تلبَّسوا به من تحريف للعقائد والشرائع، ونبه إلىٰ أسباب تأثر العصريين بآراء الملاحدة، إما لعدم علمهم بما تؤول إليه تأويلات الملاحدة، وإما مجاراة لزنادقة الغرب الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم علىٰ كثير من أصولهم.

٣. ألَّف الشيخ عبد الله بن يابس كتابًا بعنوان «إعلام الأنام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام»، وهو رد علىٰ كتاب «الإسلام عقيدة وشريعة» للشيخ محمود شلتوت، حيث يورد ابن يابس كلام شلتوت نصًّا، ثم يتبعه بالردِّ من وجوه

(١) مجلة المنار، (م٢٩، ج٢، ص١٤٧).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٢/ ٥٠٨)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد الرومي (٢/ ٦٣٨-٣٧٨).

متعددة، ومع أن المؤلف قد تغلبه الحدة والتغليظ على المردود عليه[1]، إلا أنه يكشف عن معرفة جيدة بالأحوال الفكرية لمصر[2]، حيث إن المؤلف أقام مدة طويلة في مصر، ودرس في الجامع الأزهر.

وناقش ابن يابس شلتوت في مسائل في التلقي والاستدلال، كدعوى أن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين، وأن خبر الآحاد لا يفيد العلم ولذا لا تثبت به العقائد، واحتجاج شلتوت بأحاديث لا تثبت[3]، كما ردَّ ابن يابس على شلتوت في مسائل عقدية نازلة، كقوله بحرية الفكر مطلقًا، ودعواه أن اختلاف الدين لا يبيح العداوة والبغضاء، وأن الكفر ليس مبيحًا للدم، وإنما المبيح هو مجرد المحاربة[4].

ولما صدر كتاب «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا، بعث الشيخ ابن يابس للمنار مقالة في تقريظ الكتاب من جهة، وانتقاده من جهة أخرى، فقد تعقب الشيخ ابن يابس محمد رشيد رضا في تعريفه للكلام الإلهي، كما ساق أجوبة متعددة في الرد على مقالة رضا بأن الجهاد مجرد دفاع[5].

---

(١) انظر: إعلام الأنام (ص١١٧، ١٣٧، ٢٤٥).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص٢٢، ٢٩، ٣٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص٥١، ٦٨، ٧٦، ١١٤، ١٣٦).

(٤) انظر: المرجع السابق ص (٢٢، ٦٠، ١٥٣).

(٥) انظر: مجلة المنار (م ٤، ج ٢، ٣، ص١٤٠-١٤٦، ص٢١٦ - ٢٢٦).

خاتمة

نختم هذا البحث بجملة من النتائج:

١. أن معالجة النوازل لا تحتاج إلىٰ مجرد العلم والتنظير فحسب، بل تحتاج إلىٰ رسوخ وبصيرة ويقين، كما تحتاج إلىٰ فهم للواقعة، بحيث تُستصحب تلك الأدلة والمسائل في أثناء تنزيلها علىٰ الوقائع، وإلا فقد يقع الذهول عن تلك المعلومات وقت النوازل والأزمات.

٢. تميز هؤلاء العلماء بتحقيق لمقاصد الشريعة ومراعاة لقواعد المصالح والمفاسد.

٣. أن معرفة سبب التصنيف مما يعين علىٰ فهم كلام أولئك العلماء، فالأجوبة الواردة في الدرر السنية -مثلًا- قد لا يتحقق فهمها بطريقة صحيحة، حتىٰ ينظر إلىٰ الظروف والملابسات التي حررت فيها تلك الأجوبة.

٤. لما كانت هذه الجهود تجاه نوازل حادثة ومستجدات عارضة، لذا غلب عليها الردُّ والمنافحة وإزالة الاشتباه، ولكي تتحقق النظرة الشمولية لتراث هؤلاء العلماء، ويمكن استيعابها، فلا بد من النظر إلىٰ جهودهم الأخرىٰ في مقام تقرير العقيدة وبيانها.

٥. ظهر من خلال تلك الجهود ما عليه هؤلاء العلماء من دراية بالحق، ورحمة بالخلق، فقد بينوا الحق بأدلته، ونصروا دين الله تعالىٰ، وأجابوا عن شبهات المخالفين، كما أنهم نصحوا لأئمة المسلمين وعامتهم، وأشفقوا علىٰ الراعي والرعية.

هذا ما تيسر جمعه وإعداده، وبالله التوفيق.



(٢)

موقف عثمان بن معمر من دعوة محمد بن عبد الوهاب

مراجعات من خلال رسالتي ابن عفالق[1]

(١) طبع ضمن كتاب «بحوث علمية محكمة» للمؤلف بمكتبة الرشد (١٤٢٩هـ).



كتب العلامة حمد الجاسر -رحمه الله- بحثًا فريدًا بعنوان: «المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»[١]، ساق فيه نماذج رائعة من سيرة النساء اللاتي كان لهن دور متميز في مسيرة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- أمثال موضي بنت وهطان زوج الإمام محمد بن سعود، والجوهرة بنت عبد الله بن معمر زوج الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله جميعًا-.

ثم عرض الجاسر موقف عثمان بن معمر (ت١١٦٣هـ) -أمير العيينة- من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد تميَّز هذا العرض بالموضوعية والتحقيق. وخلاصة ما كتبه الجاسر في هذه القضية ما يأتي:

أ- قبول عثمان بن معمر الدعوة الإصلاحية، فما إن قدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب العيينة حتىٰ ناصره عثمان؛ فهدم قبة زيد بن الخطاب ﷺ، وقطع الأشجار التي يتبرَّك بها الجهال، وأقام الحدود[٢].

ب- تكالب الأعداء علىٰ عثمان، وعلىٰ رأسهم سليمان بن محمد آل عريعر شيخ بني خالد وأمير الأحساء الذي أرسل إلىٰ عثمان كتابًا يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده، وأنه إن لم يفعل ذلك قطع خراجه عنده في الأحساء، وكان خراجًا كثيرًا[٣].

ج- رأىٰ ابن معمر أن مفارقة الشيخ العيينة هي أخف الضررين، فعمد إلىٰ ارتكاب أخف الضررين من أجل تفويت أعلاهما، فقال ابن معمر للشيخ محمد

---

(١) نشر هذا البحث ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط٢، ١٤١١هـ (١/ ١٦١-١٨٨).

(٢) انظر: تفصيل ذلك في: تاريخ ابن غنام، ط٣، الرياض (١/ ٧٨-٧٩).

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٨٠)، وتاريخ ابن بشر (١/ ٤٠).

بن عبد الوهاب: «إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره؛ لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك[1]، فشأنك ونفسك»[2].

د- قدم عثمان بن معمر علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية، وندم علىٰ ما فعل، وطلب منه الرجوع معه، فقال الشيخ: ليس هذا إليَّ، وإنما هو إلىٰ محمد بن سعود، فأتىٰ عثمان محمدًا، فأبىٰ عليه. ثم وفد عثمان علىٰ الشيخ سنة ١١٥٨هـ وبايعه علىٰ الجهاد، ونصرة دين الله تعالىٰ، وشارك في غزوات عدة[3].

هـ- وقع عثمان بن معمر في تصرفات مشكلة، وأحوال موهمة -كما هي مبسوطة في موضعها- فسوغت لبعضهم اتهامه بالخيانة، فآل الأمر إلىٰ قتله.

وكما قال الأستاذ حمد الجاسر في خاتمة هذه القضية: «ويكاد متتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا للإمام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقر فيه أوضاع الدولة الناشئة، ولم تثبت دعائم الدعوة، ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضىٰ وعدم انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها»[4].

وأما هذه الورقة فآمل أن تكون امتدادًا لما سطَّره العلامة حمد الجاسر في تجلية موقف عثمان بن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلقد عانىٰ ابن معمر ضغطًا سياسيًّا واقتصاديًّا من قِبل أمير الأحساء، وهو الشيء الذي لم يجده

---

(١) المقصود بالقرابة ههنا: زواج الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالجوهرة بنت عبد الله بن معمر عمة عثمان بن معمر.

(٢) تاريخ ابن بشر (١/ ٤٠).

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٨٢، ٩٤)، وتاريخ ابن بشر (١/ ٤٣، ٤٨).

(٤) المرأة في حياة إمام الدعوة (ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) (١/ ١٧٩).

الإمام محمد بن سعود حاكم الدرعية آنذاك الذي كان قويًا؛ ما جعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتجه إليه. وفي الوقت نفسه كابد ابن معمر أنواعًا من الشبهات والاعتراضات من قبل علماء الأحساء، وألمح إلىٰ ذلك الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي والشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف -رحمهم الله- بقولهم: «وأتىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب العيينة، وأظهر الدعوة بها، وقبل منه كثير منهم، حتىٰ رئيسهم عثمان بن حمد بن معمر، ثم إن أهل الأحساء -وهم خاصة العلماء- أنكروا دعوته وكتبوا شبهات تنبئ عن جهلهم وضلالهم، وأغروا به شيخ بني خالد...»[1].

ويبدو أن محمد بن عبد الرحمن بن عفالق[2] أشد هؤلاء خصومة وطعنًا في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث ألَّف رسالة وجهها إلىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وجعل عنوانها «تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين»[3].

وقد تضمنت هذه الرسالة أسئلة تعجيزية تهكمية[4]، وبأسلوب يغلب عليه التحدي والتوهين من شأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

كما كانت مؤلفات ابن عفالق متداولة بين خصوم الدعوة في نجد كما جاء في رسالة لابن عبَّاد يقول فيها: «وكذلك لما أتاهم كتاب ابن عفالق الذي أرسله

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط٥، ١٤١٦هـ (١٤/ ١٦٢، ١٦٣).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي، ولد في الأحساء، وتوفي فيها (١١٠٠- ١١٦٤) له مؤلفات في الفقه والفلك، كما أن له مؤلفات ضد الدعوة السلفية. انظر: تحفة المستفيد، (ص٣٩٦)، وعلماء نجد (٣/ ٨١٨).

(٣) وهي رسالة مخطوطة في مكتبة الجامعة الملكية في تبونجن بألمانيا، برقم (١٣٥/ ٣)، وقد حصلت على صورة منها.

(٤) انظر: ق٥.

المويس[1] لابن إسماعيل[2] وقدم به عليكم العام[3]، وقرأه علىٰ جماعتكم يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتىٰ به كفره العلماء وقامت عليه القيامة»[4].

ويقول في موضع آخر: «فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل أعني: سبابة التوحيد واستحلال دم من صدَّق به، أو أنكر الشرك»[5].

وههنا رسالتان خطيتان بعثهما ابن عفالق لابن معمر، وهما مهمتان في تجلية موقف ابن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما بذله ابن عفالق من جهد وعناء في سبيل التشكيك في دعوة الشيخ والطعن فيها، وتحريضه ابن معمر علىٰ التخلي عن اتباع هذه الدعوة[6]، كما تتضمن هذه الرسالة ما عليه ابن معمر

(١) المويس من أشد خصوم الدعوة في نجد. انظر: مؤلفات الشيخ، (٥/ ٢٦، ٢٧، ١٢٧، ٢٠٥، ٣٠٠).

(٢) ابن إسماعيل من خصوم الدعوة في نجد. مؤلفات الشيخ، (٥/ ٢٦، ٢٧، ١٢٧، ٢٠٥، ٣٠٠).

(٣) يعني: السنة الماضية.

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد العزيز الرومي وآخرون، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٥/ ٢٠).

(٥) المرجع السابق (٥/ ٢٠٦).

(٦) وسبب معاداة ابن عفالق للشيخ محمد بن عبد الوهاب ربما تعود إلى الضغوط من أمير الأحساء الذي مارس الضغوط ذاتها على ابن معمر، ويلحظ أيضًا -من خلال هاتين الرسالتين- أن خلافًا عقديًا بينهما، فابن عفالق يصادم أصولًا مهمة في التوحيد، فإذا كان الشيخ محمد يقرر أن طلب الشفاعة من الأموات شرك؛ لأن الدعاء حق لله تعالى وحده لا شريك له، فإن ابن عفالق يجيز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وإذا كان الذبح والنذر من العبادات التي يجب أن تصرف لله تعالى وحده لا شريك له، فمن ذبح أو نذر لغير الله فقد تلبَّس بالشرك الأكبر من الملة، كما قرره الشيخ في كتبه المشهورة، مثل: كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات ونحوهما، بخلاف ابن عفالق الذي يهون من ذلك؛ فيجعل الذبح والنذر لغير الله شركًا أصغر، وإذا كان الشيخ محمد له عناية فائقة بتوحيد العبادة؛ لأنه الغاية من خلق الجن والإنس، وأنه مفتاح دعوة الرسل، وأول واجب على المكلف، إلا أن ابن عفالق على طريقة المتكلمين الذين يجعلون توحيد الربوبية هو الغاية والمقصود.

من حرص علىٰ دعوة ابن عفالق إلىٰ التوحيد، والنصح له والإشفاق عليه، كما سيأتي مفصَّلًا.

وهاتان الرسالتان موجودتان في مكتبة الدولة في برلين بألمانيا، وهما ضمن مجموع يتكون من تلك الرسالتين، ورسالة «المشكاة المضيئة في الرد علىٰ الوهابية» لابن السويدي[1]، ويبلغ مجموع أوراقها سبعًا وثلاثين ورقة، وفي كل صفحة سبعة عشر سطرًا، وقد كتبتا بخط واضح جميل، دون أن يُذكر عنوان للرسالتين -ولا تاريخ نسخهما- وإنما جاء في مطلع الرسالة الأولىٰ ما يأتي: «قال الشيخ الفاضل محمد بن عفالق الحنبلي رادًّا لعثمان بن معمر الوهابي»[2].

فيظهر من هذه العبارة أن عثمان بن معمر قد بعث من قبل كتابًا لابن عفالق، فكتب ابن عفالق هذا الرد علىٰ ذلك الكتاب. وجاء في مطلع الرسالة الثانية: «هذه الرسالة جواب لرسالة أرسلها عثمان بن معمر».

ويبدو أن الرسالتين قد اختصرتا من أصل سابق، حيث تكررت في مواطن عدة عبارة: «إلىٰ أن قال [المؤلف]». كما لم تُذكر سنة تأليفهما، لكن جاء في هذا المخطوط ما قد يبين أن تأليفهما ما بين سنة ١١٥٩هـ وسنة مقتل عثمان بن معمر ١١٦٣هـ، حيث قال ابن عفالق لابن معمر: «ومن أخبره عن قتلىٰ أهل الرياض أنهم في النار وقتلىٰ تابعيه في الجنة؟!»[3].

---

(١) اطلعت على هذه الرسالة فإذا هي نسخة مكررة من كتاب «فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب» لسليمان بن عبد الوهاب، لكن قد تزيد عليه بألفاظ نابية، انظر مثلًا: ق٢، ق٣، ق٢٥.

(٢) يظهر لي أن هذه اللفظة (الوهابي) من إضافة الناسخ؛ لأن الرسالة قيد الدراسة منسوخة من أصل سابق.

(٣) ق٤٩.

فيبدو أن تأليفهما بعد انتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلىٰ الدرعية، وقيام القتال بين أنصار الدعوة وخصومها الذي بدأ سنة ١١٥٩هـ مع أهل الرياض[(١)].

وخلاصة محتوىٰ الرسالتين ما يأتي:

- تضمنت الرسالتان جملة من الأكاذيب المكشوفة والمفتريات المفتعلة، كقوله: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب خصَّ الرسالة المحمدية بأقوام معينين دون سائر الناس. يقول ابن عفالق: «هذا الرجل خصَّ رسالة رسول الله ﷺ بمن يصوم ويحج ويتعبد، فكأنه يقول: وأما إلىٰ غيرهم فلا؛ لأنه ذكر في رسائله إلينا: إن الله تعالىٰ أرسل محمدًا رسوله إلىٰ ناس يتعبدون ويصومون ويحجون»[(٢)].

فانظر إلىٰ هذا الكلام الذي غلب عليه الهوىٰ، فقال: أرسله إلىٰ ناس، ولم يقل: إلىٰ جميع الخلق من الجن والإنس[(٣)].

- وزعم ابن عفالق أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- انتقص الرسول ﷺ وادَّعىٰ النبوة بلسان الحال. ومن ذلك قوله: «وأما هزلكم برسول الله وتنقيصكم إياه فوالله ما تركتم من التنقيص شيئًا... فكيف بمن ضاهىٰ النبوة وادَّعاها حالًا لا مقالًا؟»[(٤)].

- وافترىٰ ابن عفالق، فاتهم الشيخ بتكفير صاحب الكبيرة، وأنه يكفِّر بأدنىٰ شرك أصغر، فحكىٰ ابن عفالق: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كفَّر من لم يصر علىٰ كبيرة... بل كفَّر من لم يكفره[(٥)].

---

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٩١)، وتاريخ ابن بشر (١/ ٥٠).

(٢) انظر: مقدمة رسالة كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) ق٣٩، وانظر: ق٦٥.

(٤) ق٦٣، وانظر: ق٤٢، ق٤٩، ق٥٩.

(٥) ق٤٣.

- وقال ابن عفالق: «الشرك في العبادة شرك أصغر»[١].

- ويقول أيضًا: «من قواعد ابن عبد الوهاب أنه يكفِّر المسلمين بأدنىٰ شرك أصغر من شرك العبادة»[٢].

- كما حوت الرسالتان سبًّا لاذعًا وكلامًا مقذعًا تجاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن ذلك قوله: «اعلم أن هذا الرجل ليس له علم، بل جاهل جامد أو جاحد معاند»[٣]. ويقول في موضع آخر: «حتىٰ أتىٰ ابن عبد الوهاب الضال المضل الذي هو أضل من حمار أهله»[٤].

- وقع ابن عفالق في مغالطات علمية ومزالق جلية، فلم يفرِّق بين تكفير المطلق وتكفير المعين[٥]، وجعل طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد وفاته كطلبها منه في حياته[٦]. وخلط فسوَّىٰ بين التوسل والاستغاثة بالنبي[٧]، وزعم أن الذبح والنذر لغير الله شرك أصغر[٨]، وجعل تقرير توحيد الربوبية هو المقصود والغاية، كما تجده مبسوطًا في تلكما الرسالتين.

ويمكن أن نتصور موقف عثمان بن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بعد استعراضٍ للرسالتين من خلال العناصر الآتية:

---

(١) ق٥٩، وانظر: ق٦٨.
(٢) ق٣٩.
(٣) ق٥٣.
(٤) ق٦٢.
(٥) انظر: ق٣٩.
(٦) انظر: ق٤٣.
(٧) انظر: ق٤٤.
(٨) انظر: ق٥٧، ق٦١، ق٦٥.

أ- تعرض عثمان بن معمر لقدر هائل من الإشكالات والاعتراضات أوردها ابن عفالق في هاتين الرسالتين، ولا يخفىٰ أن إثارة الشبهات وإيراد الاعتراضات ليس أمرًا عسيرًا، لا سيما إن كانت الشبهة صادرةً عن أحد المنتسبين للعلم -كابن عفالق- وواردةً علىٰ من لم يكن عالمًا كابن معمر والقائل: «كثرة الكلام ما أفهمه ولا لي فهم بابن القيم وابن تيمية ولا عمرو ولا زيد»[1].

ب- نلحظ أن ابن عفالق -في هاتين الرسالتين- ألحَّ إلحاحًا شديدًا علىٰ ابن معمر في التخلي عن هذه الدعوة، والتأليب علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتنوعت أساليبه في سبيل ذلك؛ فتارة يسعىٰ إلىٰ إثارة عاطفة ابن معمر تجاه من قُتل، فيقول: «أسألك بالله يا عثمان، كيف تقول غدًا يوم الحشر والمعاد إذا خاصمك بين يدي الله تعالىٰ من قتلتموه ظلمًا؟... أتقولون لرب السماوات والأرض: أفتىٰ لنا ابن عبد الوهاب، وأغوانا الشيطان؟»[2].

وتارة يحرِّضه علىٰ الشيخ بدعوىٰ أنه استأثر بالرئاسة دونكم، فيقول: «أراد الرئاسة عليكم، فأدركها بذهاب دينكم ودنياكم، وضرب بعضكم ببعض»[3].

وتارة يلمز ابن معمر بالتبعية المطلقة للشيخ محمد بن عبد الوهاب فيقول: «فلا يخفاك أن ابن عبد الوهاب رام أمرًا، وفهم أنه لا يدركه إلا بك، فلابسك وتمكن من عقلك وذهنك»[4].

ويقول في موضع آخر: «وأرسلتُ لك ما فيه الكفاية مع علمي أن ابن عبد الوهاب لا يأخذ به ولا يعمل به، وأنتم له تبع في كل ما يقول»[5].

---

(١) ق٦٤.

(٢) ق٥٨.

(٣) ق٥٩.

(٤) ق٥٩.

(٥) ق٦٣.

ج- مع أن ابن عفالق أجلب علىٰ ابن معمر بشبهاته ودعاويه، ومع هذا الإلحاح المتكرر والرسائل المتتابعة إلا أن عثمان بن معمر كان متماسكًا ثابتًا علىٰ عقيدة التوحيد التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل بادر عثمان إلىٰ دعوة ابن عفالق والنصح له، والإشفاق عليه كما يُلحظ من النصوص الآتية:

- حكىٰ ابن عفالق مقالة ابن معمر: «وأما قولك: لكم اثنتا عشرة سنة تعالجون هذا الأمر، فأنكرتموه أولًا، وثبتكم فيه المطاوعة يقولون: هذا حق، والذي يسوِّىٰ في الأحساء شرك، وفي غيرها كذلك، وتقول: عذرهم أنهم ما يقدرون علىٰ إزالته، وأنهم خابرينه قبل ابن عبد الوهاب»[١].

- وتبدو لغة التحدي في قول ابن معمر لابن عفالق: «ويظهر عالم يواجه ابن عبد الوهاب»[٢].

لكن ابن عفالق تنصَّل وحاد عن ذلك إلىٰ الإفك والبهتان، فقال: «هذا محال، والسبب في هذا أن العلماء يتخاصمون في أحكام الشريعة في الحرام والحلال، وأما من قال: أدعوكم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وادعىٰ النبوة... فبماذا يجاوبونه؟»[٣].

- ويسعىٰ عثمان بن معمر إلىٰ دعوة بن عفالق، ويحضه علىٰ تأمل كلامه، قائلًا: «وأنت برِّق في كلامي وتأمله ولا تجاوبني إلا بمثله»[٤].

ويتجلىٰ نصحه وإشفاقه علىٰ ابن عفالق، إذ يقول عثمان: «ثمرة الكلام مني إليك محبة وشفقة، وأن هذا الأمر راعني، وخفتُ عليك مثل ما أخاف علىٰ نفسي،

(١) ق٥٨.
(٢) ق٦٣.
(٣) ق٦٣.
(٤) ق٦٤.

فاعرف أني ناصح لك ومشفق عليك وخائف، لا من فقر ولا من عذاب دنيا، بل خائف عليك من غضب الجبار وسجن النار، فاعلم أنها نصيحة لك»[1].

وأخيرًا فإن لعثمان جهدًا ظاهرًا في نصرة الدعوة من خلال إزالة مظاهر الوثنية في العيينة، وإقامة شرع الله تعالىٰ، كما بذل وسعًا في بيان الدعوة -كما جاء في النقول السابقة- فلئن كان عثمان بن معمر قابلًا للدعوة، إلا أن المعارض قوي، فقد تكالب علىٰ ابن معمر تهديد أمير الأحساء وتخويفه بقطع العطاء، وإرجاف ابن عفالق -ونحوه- بالشبهات والاعتراضات، وكيد جلساء السوء الذين خوَّفوه من صاحب الأحساء[2].

ويبدو أن ذلك المعارض قد أوقعه في شيء من التردد والاضطراب؛ ما جعل بعض المؤرخين يتهمونه بالخيانة والنفاق. وإنَّ المنصف -تجاه هذه القضية- يحذر من الانسياق في اتهام ابن معمر أو تجريمه، كما يحذر أيضًا من اتهام العلماء والمؤرخين الذين انتقدوا ابن معمر، فرموه -متأولين- بالنفاق، وكما قال ابن القيم رحمه الله: «إن الرجل إذا نَسَب المسلم إلىٰ النفاق والكفر متأولًا وغضبًا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفرُ بذلك بل لا يأثم به، بل يُثاب علىٰ نيته وقصده»[3].

ونقول في خاتمة هذه المقالة: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، فالله سبحانه أعلم، ورحمته أوسع، وبالله التوفيق.

---

(١) ق٦٤.

(٢) انظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٤٠).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٤٢٣).

(٣)

جوانب دعوية

من سير علماء الدعوة السلفية بنجد[١]

---

(١) طُبع في مجلة الدارة (العدد الأول -السنة الثانية والثلاثون- ١٤٢٧هـ)، وتُمِّمَت مواضعُ منها من كتاب: «من سير الأئمة في قلب الجزيرة العربية» -مبحث: مشاهد دعوية من سير علماء نجد-.

مع كثرة المؤلفات والرسائل التي كتبت عن الدعوة السلفية وأئمتها في قلب الجزيرة العربية، إلا أن جملة من الجوانب المهمة عن هذه الدعوة المباركة ما تزال بحاجة إلىٰ تحرير وتحقيق، كما أن منها ما يحتاج إلىٰ مجرد جمع وإبراز، ومن ذلك موضوع الجوانب الدعوية في سير علماء الدعوة السلفية، فإن الناظر إلىٰ تراث علماء نجد وتراجمهم يجد مادة علمية مهمة في ذلك، فكم هي المواقف المشرقة والمشاهد الرائعة لأولئك الأعلام!

إن العلماء هم الدعاة، والواجب علىٰ العلماء وطلاب العلم أن يعملوا بعلمهم، وأن يدعوا إلىٰ دين الله تعالىٰ، وأن يصبروا علىٰ ما أصابهم.

ولقد سار علماء نجد علىٰ هذا المسلك، فعملوا بعلمهم، وقاموا بواجب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وحققوا البلاغ المبين، ودعوا إلىٰ دين الإسلام ابتغاء وجه الله تعالىٰ، لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكورًا، وسلكوا في هذه الدعوة سبيل السنة والاتباع، امتثالًا لقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقد عمدت في هذا البحث إلىٰ جمع واستخراج جملة من تلك المواقف والمشاهد، مع شيء من التعليق اليسير في بعض المواطن، وذلك علىٰ النحو الآتي:

فقه الدعوة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- فقيهًا بالدعوة وأساليبها، وكان كثيرًا ما يقرر في رسائله الشخصية أنه يدعو إلىٰ الله تعالىٰ وحده لا شريك له [١] يقول عن قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨]: «التنبيه علىٰ الإخلاص؛ لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلىٰ الحق فهو يدعو إلىٰ نفسه»[٢].

ويظهر فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنفوس المخاطبين والمدعوين، ويدرك ما قد يعتري النفس البشرية أحيانًا من استعلاء واستكبار عن قبول حق جاء من شخص لا تميل إليه تلك النفس، فيخاطب تلك النفوس ويوجهها إلىٰ التضرع إلىٰ الله وسؤاله الهداية فيما اختلف فيه من الحق، ومرة يخاطبها بالرجوع إلىٰ كتب أهل العلم دون الرجوع إليه، ومرة ثالثة يرشدها إلىٰ تدبر آيات القرآن الكريم[٣].

وقد وفق الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب لاستعمال الحكمة في دعوته، مراعيًا أحوال الناس ومنازلهم، ومدىٰ قربهم من الحق أو بعدهم، ومن ثم يتنوع أسلوبه في الدعوة حسب حال المدعو ومكانته[٤].

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تصنيف د. عبد العزيز الرومي وآخرون، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠ هـ (٥/ ٢٥٢).

(٢) كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

(٣) انظر: الدرر السنية، جمع عبد الرحمن بن قاسم ط ١، ١٣٨٨هـ دار الإفتاء، الرياض (١/ ٣٦، ٥٢-٥٣، ٥٩).

(٤) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (٥/ ١٣٤، ١٤١، ٢٣٣، ٣٠٠، ٣١٥).

وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- يباشر الدعوة بنفسه وعبر رسائله العديدة، وعن طريق تلاميذه وأتباعه، ومن خلال اللقاءات والدروس والتعليم، ومن المشاهد العملية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما حكاه تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[١]، قائلًا: «وكان شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب ﷺ قال: الله خير من زيد، تمرينًا لهم علىٰ نفي الشرك بلين الكلام، نظرًا إلىٰ المصلحة وعدم النفرة»[٢].

رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ لعبد الرحمن الألوسي:

كتب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [٣] رسالة إلىٰ الشيخ عبد الرحمن الألوسي[٤] يحثه فيها علىٰ الدعوة إلىٰ دين الله تعالىٰ، وأن

---

(١) ولد عام ١١٩٣هـ في الدرعية، ودرس على جده الشيخ الإمام، وتولى التدريس والقضاء، ونقل إلى مصر، فقرأ على علمائها، ثم عاد إلى نجد، وجلس للتدريس، له تلاميذ ومؤلفات، توفي في الرياض ١٢٨٥هـ. مشاهير علماء نجد، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط٢، دار اليمامة للبحث، الرياض، ١٣٩٤هـ (ص٧٨)، علماء نجد خلال ستة قرون، لعبد الله البسام، ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٩٨هـ (١/ ٥٦).

(٢) مجموعة التوحيد النجدية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ (ص٣٣٩).

(٣) ولد الشيخ عبد اللطيف في الدرعية عام ١٢٢٥هـ، وتلقى العلم في الدرعية ومصر، وهو أحد الأعلام المحققين، له مؤلفات ورسائل عدة، كما كان يقرظ الشعر، توفي في الرياض سنة ١٢٩٣هـ. مشاهير علماء نجد (ص٩٣). علماء نجد (١/ ٦٣).

(٤) لعله الشيخ عبد الرحمن الألوسي شقيق أبي الثناء السيد محمود شهاب الدين صاحب «روح المعاني»، وكان الشيخ عبد الرحمن قد اشتغل بالوعظ والتدريس في بغداد، وهو ذو خلق حسن، وكلمة مسموعة، توفي سنة ١٢٨٤هـ. المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لمحمود شكري الألوسي، ت: عبد الجبوري، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ (ص٨٥-٩١). وأعلام العراق، لمحمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ (ص١٢-١٤).

يكون له جماعة يقومون مقامه، فكان مما قاله الشيخ عبد اللطيف رحمه الله: «وكتابك الكريم وصل إلينا، وحسن موقعه لدينا، لما بلغنا عنك من إظهار الإسلام والسنة، وعيب أهل الشرك والبدعة، وطعنك على الدعاة إلى الضلال، وعيبهم بما يبدونه من سوء العمل وشنيع المقال، وإن الله قمعهم بك، وقواك عليهم فأذلهم وأهانهم، فأبشر بثواب ذلك، واعتد به من أفضل أعمالك وحسناتك.

واحرص أن يكون لك في ذلك جماعة وتلامذة يقومون مقامك إن حدث بك حدث، فيكونوا أئمة بعدك، ويجري لك مثل أجورهم إلى يوم القيامة كما صح به الخبر، فاعمل على بصيرة، وسر إلى الله بصلاح القصد والسريرة»[1].

رسالة دعوية للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ:

بعث الشيخ عبد اللطيف أيضًا رسالة إلى الشيخ حمد بن عبد العزيز[2] يذكره بفضل الدعوة إلى الله تعالى، ويؤكد عليه القيام بأعبائها: «من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخ المحب حمد بن عبد العزيز سلمه الله تعالى وتولاه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وموجب الخط إبلاغ السلام والتحية، والسؤال عن أخلاقك المحمية، سلك الله بها منهج الطريقة المحمدية، ولا يخفاك حال أهل الزمان، وغربة الإسلام، وندرة الإيمان بينهم، وقد ابتلوا بما رأيت من الفتن والمحن، والتقاطع والتدابر والبغضاء، وصاروا أشتاتًا بعد أن كانوا مجتمعين، وشيعًا بعد ما كانوا عليه من

---

(١) الدرر السنية (١١/ ٧٦).

(٢) لعله الشيخ حمد بن عبد العزيز العوسجي، ولد في ثادق بنجد عام ١٢٤٥هـ وتتلمذ على يد كبار علماء نجد، ومنهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، جلس للتدريس، وتولى القضاء توفي في عام ١٣٣٠هـ علماء نجد (١/ ٢٢٧)، الدرر السنية (١٢/ ٨٢).

الإسلام متعصبين، ونُسِي العلم والتوحيد، وأقفرت الديار من الناصح الرشيد، وهدم الإسلام، وخلت الديار من ذوي العلم والأفهام، ولا شيء أقرب إلىٰ الله وسيلة، وأرجىٰ من الخيرات فضيلة من الدعوة إلىٰ سبيله وإرشاد عبيده وردهم إلىٰ الله، وتعلم دينه وتوحيده.

وقد أهّلك الله -وله الحمد والمنة- لذلك، ووضع لك القبول فيما هنالك، وقد أجمع أهل الرأي والمشورة علىٰ إلزامك الدعوةَ إلىٰ الله والتذكير بدينه وتنبيه عبيده علىٰ أصل دينهم، وما يجب فيه، وعلىٰ ما يضاده وينافيه من المكفرات والشركيات، وتعطيل الشرائع والنبوات، فاغتنم أخي ذلك المشهد، وسارع إليه فإن الجزاء خطير والثواب كبير وشهير.

وهذا خط الإمام عبد الرحمن[1] واصلك فلا تجاوب بلا ولن، فإنها داعية الهم والحزن، ولولا أني أخشىٰ علىٰ النفس من كثير من أهل نجد لتجشمت القيام بذلك[2]، ولوجدتني حول المياه وبين المسالك، وإلىٰ الله المشتكىٰ من عدم المعين والنصير، وغلبة الجهال، نسأل الله العون علىٰ مرضاته وذكره وشكره، وأن يجعلنا من الدعاة إلىٰ سبيله، قال بعضهم في تفسير قوله تعالىٰ عن المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] أي: مذكرًا بالله داعيًا إلىٰ سبيله والسلام»[3].

---

(١) يعني الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود.

(٢) يبدو أن هذه الرسالة كانت في أواخر حياة الشيخ عبد اللطيف، فالشيخ قد توفي سنة ١٢٩٣هـ في حين تولى الإمام عبد الرحمن الحكم سنة ١٢٩١هـ، وكانت نجد تعيش -في تلك الحقبة- خلافًا بين أبناء فيصل بن تركي، وكان للشيخ عبد اللطيف دور ظاهر في الإصلاح ودرء الفتنة وحفظ الدماء.

(٣) الدرر السنية (١١/ ٨٤-٨٥).

رسالة الشيخ ابن عتيق لصديق حسن خان:

حرر الشيخ حمد بن عتيق[١] -رحمه الله- رسالة طويلة، وبعث بها إلىٰ الشيخ محمد صديق حسن خان رحمه الله[٢]، ونظرًا لطول الرسالة فسنقتصر علىٰ مقدمتها وخاتمتها، ففي المقدمة:

«من حمد بن عتيق إلىٰ الإمام المعظم والشريف المقدم المسمىٰ محمد، الملقب صديق، زاده الله من التحقيق، وأجاره في مآله من عذاب الحريق، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فالموجب للكتاب إبلاغ السلام والتحفِّي والإكرام، قيَّد الله بك قواعدَ الإسلام، ونشر بك السنن والأحكام.

اعلم وفقك الله، أنه كان يبلغنا أخبار سارة بظهور أخ صادق ذي فهم راسخ وطريقة مستقيمة يقال له: صِدِّيق، فنفرح بذلك ونُسَرُّ لغربة الزمان وقلة الإخوان، وكثرة أهل البدع والأغلال، ثم وصل إلينا كتاب «الحطة»[٣] وتحرير الأحاديث في تلك الفصول، فازددنا فرحًا وحمدنا لربنا العظيم لكون ذلك من فضل الله علينا وعلىٰ الناس.

---

(١) ولد الشيخ حمد بن علي بن عتيق في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ ودرس في الرياض، وتولى القضاء والتدريس. له مؤلفات وتلاميذ، توفي في الأفلاج سنة ١٣٠٦هـ. مشاهير علماء نجد (ص٢٤٤)، علماء نجد (١/ ٢٢٨).

(٢) هو السيد محمد صديق بن حسن الحسيني البهوبالي، ولد سنة ١٢٤٨هـ. في بلدة بريلي بالهند، وتتلمذ على كبار علماء الهند، وتزوج ملكة بهوبال، له جهود إصلاحية، ومؤلفات كثيرة، توفي في بهوبال سنة ١٣٠٧هـ. انظر: ترجمته لنفسه في آخر كتابه «التاج المكلل» لمحمد صديق حسن خان -ت: عبد الكريم شرف الدين، ط ٢، دار اقرأ-، «مشاهير علماء نجد» (ص٤١٥).

(٣) من مؤلفات الشيخ محمد صديق حسن خان.

وكان لي ابنٌ[١] يتشبَّثُ بالعلم، ويحب الطلب، فجعل يتوق إلىٰ اللحوق بكم والتخرج عليكم والالتقاط من جواهركم.

فبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا التفسير بكماله[٢]، فرأينا أمرًا عجيبًا ما كنا نظن أن الزمان سمح بمثله وما قرب منه، لما في التفاسير التي تصل إلينا من التحريفِ والخروجِ عن طريق الاستقامة، وحَمْلِ كلام الله علىٰ غير مراد الله، وركوب التفاسير في حمله علىٰ المذاهب الباطلة، وجعلت السنة كذلك.

فلما نظرنا في ذلك التفسير تبين لنا حسن قصد مُنشِئه وسلامة عقيدته وبعده عن تعمد مذهب غيرِ ما عليه السلف الكرام، فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

فالحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا كما يحب ربنا ويرضىٰ، وذلك من فضل الله يؤتيه من شاء، والله ذو الفضل العظيم.

فزاد اشتياق التائق وتضاعفت رغبته، ولكن العوائق كثيرة والمثبطات مضاعفة، والله علىٰ كل شيء قدير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فمن العوائق تباعد الديار وطول المسافات؛ فإن مَقَرَّنا في فلج اليمامة، ومنها خطر الطريق وتسلط الحرامية في نهب الأموال واستباحة الدماء وإخافة السبيل، ومنها ما في الطريق من أهل البدع والضلال بل وأهل الشرك من رافضي وجهمي، إلىٰ معتزلي ونحوهم، وكلهم أعداء قاتلهم الله.

---

(١) هو الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقد سافر إلى الهند، وقرأ على مجموعة من العلماء ومنهم الشيخ/ محمد صديق. انظر: علماء نجد (١/ ٢٦٦).

(٢) وهو كتاب «فتح البيان في مقاصد القرآن».

ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، ومع ذلك فنحن نرجو من الله أن يبعث لهذا الدين من ينصره، وأن يجعلنا من أهله، وأن يسهل الطريق، ويرفع الموانع، ونسأله أن يمن بذلك فهو القادر عليه.

ولما رأينا ما مَنَّ الله به عليكم من التحقيق وسعة الاطلاع وعرفنا تمكنكم من الآلات وكانت نونية ابن القيم المسماة بـ«الكافية والشافية في الانتصار للفرقة الناجية» بين أيدينا ولنا بها عناية، ولكن أفهامنا قاصرة وبضاعتنا مزجاة من أبواب العلم جملة، وفيها مواضع محتاجة إلىٰ البيان ولم يبلغنا أن أحدًا تصدىٰ لشرحها، غلب علىٰ الظن أنك تقدر علىٰ ذلك، فافعل ذلك يكن من مكاسب الأجور، وهي واصلة إليك إن شاء الله، فاجعل قِرَاها شرحَها وبيانَ معناها، وأصلح النية في ذلك تكنْ حربًا لجميع أهل البدع، فإنها لم تُبْقِ طائفةً منهم إلا ردَّت عليها، فهذان مقصدان من بعثها إليك، أحدهما: شرحها، والثاني: الاستعانة بها في الرد علىٰ أهل البدع، لأن مثلك يحتاج إلىٰ ذلك، لكونه في زمان الغربة وبلاد الغربة، فإن كنتَ حريصًا علىٰ ذلك فعليك بكتاب «العقل والنقل» و«التسعينية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» و«الجيوش الإسلامية» لابن القيم، ونحوها من كتبهما، فإن فيها الهدىٰ والشفاء.

ولنا مقصد رابع[1]، وهو أن هذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان، سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية، فنظرت فيه وفي هذا الشهر، وفي شوال، فتجهز الناس للحج، ولم أتمكن إلا من مطالعة بعضه، ومع ذلك وقفت فيه علىٰ مواضع تحتاج إلىٰ تحقيق، وظننت أن لذلك سببين:

---

(١) كذا، ولم يتقدم سوى مقصدين.

أحدهما: أنه لم يحصل منكم إمعان نظر في هذا الكتاب بعد إتمامه، والغالب علىٰ من صنف الكتب كثرة ترداده، وإبقاؤه في يده سنين يبديه ويعيده، ويمحو ويثبت، ويبدل العبارات، حتىٰ يغلب علىٰ ظنه الصحة غالبًا، ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني: أن ظاهر الصنيع، أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمة، وأخذت من عباراتهم بعضًا بلفظه، وبعضًا بمعناه، فدخل عليك شيء من ذلك، لم تمعن النظر فيها، ولهم عبارات مزخرفة هي الداء العضال، وما دخل عليك من ذلك مغفور إن شاء الله، بحسن القصد واعتماد الحق وتحري الصدق والعدل، وهو قليل بالنسبة إلىٰ ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره، وإذا نظر السني المنصف في كثير من التفاسير وشروح الحديث وجد مثله وما هو أكثر منه.

وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه مسلكَ أهل التأويل، مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة، وهي كافية ومطلعة علىٰ أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل، وأنه من ذلك القبيل، وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل علىٰ ذلك.

وأنا اجترأت عليك، وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك، لأنه غلب علىٰ ظني إصغاؤك إلىٰ التنبيه، ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة، وعدم التكبر، وإن كان القائل غير أهل، ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك، أنك تحب الاجتماع بأهل العلم، وتحرص علىٰ ذلك، وتقبل العلم، ولو ممن هو دونك بكثير، فرجوت أن ذلك عنوان توفيق، جعلك الله كذلك وخيرًا من ذلك.

واعلم أرشدك الله أن الذي جرينا عليه، أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير وشرح الحديث، اختبرناه واختبرنا معتقده في العلو والصفات

والأفعال، فوجدنا الغالب علىٰ كثير من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو، وتأويل الآيات في هذا الباب، بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال، ومن نظر في شرح البخاري ومسلم ونحوهما، وجد ذلك فيها.

وأما ما صنفوا في الأصول والعقائد، فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب، فمن رزقه الله بصيرة ونورًا، وأمعن النظر فيما قالوه، وعرضه علىٰ ما جاء عن الله ورسوله، وما عليه أهل السنة المحضة، تبين له المنافاة بينهما، وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار، فأعرض عما قالوه، وأقبل علىٰ الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمتها، ففيه الشفاء والمقنع، وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف، وما عليه المتكلمون، ويختاره ويقرره. فلما اعتبرنا هذا التفسير، وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين، وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف وتقريره، وليتك اقتصرت علىٰ ذلك، ولم تكبر هذا الكتاب بمذهب أهل البدع، فإنه لا خير في أكثره، وما فيه من شيء صحيح فقد وُجِد في كلام السلف وأئمة السنة ما يغني عنه بعبارات تنشرح لها الصدور.

وقد يكون لكم من القصد، نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله، لما قيل له: لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح؟ قال ما معناه: لأمن الإعراض عن الكتاب، ورجوت أن ذكر ذلك أدعىٰ إلىٰ قبوله وتلقيه.

وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة من يتلقاها، ويعتني بها، ويظهرها مع ما فيها من الرد علىٰ أهل البدع وعيبهم، وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم، فإن الله ضمن لهذا الدين أن يظهره علىٰ الدين كله.

والمقصود: أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلىٰ تحقيق، ونذكر لك بعض ذلك.

ثم إن الشيخ ابن عتيق بين له تلك المواضع، ثم ختم رسالته بقوله:

«وقد اجترأت عليك بمثل هذا الكلام نصحًا لله ورسوله رجاءً من الله أن ينفع بك في هذا الزمان الذي ذهب فيه العلم النافع، ولم يبقَ إلا رسومُه، وأنا أنتظر منك الجواب ورد ما صدر مني من الخطاب.

ثم إني لما رأيت الترجمة، وقد سمي فيها بعض مصنفاتك وكنتُ في بلادٍ قليلةٍ فيها الكتب[1]، وقد ابتليت بالدخول في أمور الناس لأجل ضرورتهم كما قيل: «خلا لكِ الجو فبيضي واصفري»، وألتمس من جنابك تفضل علينا بـ«بلوغ السول من أقضية الرسول»، و«الروضة الندية شرح الدرر البهية»، و«نيل المرام شرح آيات الأحكام»، فنحن في ضرورة عظيمة إلىٰ هذه كلها، فاجعل من صالح أعمالك معونةَ إخوانك ومحبيك، وابعث بها إلينا مأجورًا -إن شاء الله تعالىٰ- وليكن ذلك علىٰ يد الأخ أحمد بن عيسىٰ[2] الساكن في مكة المشرفة، واكتب لنا تعريفًا بأحوالكم، ولعل أحدًا منكم يتلقىٰ هذا العلم ويحفظه عنك، واحرص علىٰ ذلك طمعًا أن يجمع لك شرف الدنيا والآخرة، ونسأل الله أن يهب لك ذلك.

ثم اعلم أني قد بلغت السبعين وأنا في معترك الأعمار، لا آمن هجوم المنية ولي أولاد ثمانية، منهم ثلاثة يطلبون العلم، كبيرهم سعد المذكور أولًا، ويليه عبد العزيز، وتحته عبد اللطيف[3]، ونرجو أنهم أهلٌ للكتب وممن يعتز بها

(١) هي بلدة العمار من بلدان الأفلاج بنجد.

(٢) هو الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

(٣) صار كل هؤلاء الثلاثة -فيما بعد- من علماء نجد.

ويحفظها، وبقيتهم صغار، منهم من هو في المكتب، ومن دعائنا: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

لا تنسانا من صالح دعائك، كما هو لك مبذول، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه»[١].

وقفات مع رسالة الشيخ ابن عتيق لصديق حسن خان:

تضمنت هذه الرسالة القيمة جملة من الوقفات، فمن ذلك:

- ما كان عليه علماء نجد من التواصل بالعلماء الآخرين[٢]، وتوثيق العلاقات العلمية بهم، وإن كانوا من خارج مناطقهم، كما سبق في رسالة الشيخ عبد اللطيف للألوسي العراقي، وكما في هذه الرسالة التي كتبها الشيخ حمد بن عتيق لمحمد صديق حسن، ورسالة العلامة السعدي إلىٰ

(١) مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن عتيق، ت: إسماعيل بن عتيق، دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠٠هـ (ص٤١-٥٣).

(٢) كان التواصل فيما بين علماء نجد وغيرهم قائمًا ووثيقًا سواء كان عن طريق الرحلات أو اللقاءات والاجتماعات أو المراسلات، والناظر إلى الدرر السنية أو مجموعة الرسائل والمسائل النجدية يرى هذه المراسلات المتكررة فيما بينهم، وما تحويه هذه الرسائل من تناصح وتذكير، ومحبة ومودة، وتدارس لمسائل في العلم، كما تحكي هذه الرسائل جزءًا من تاريخ تلك السنين. ومن الأمثلة على هذا التواصل ما كتبه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن لتلميذه زيد بن محمد السليمان قائلًا: «ومن مدة ما جاءنا منك مراسلة وعادة الإخوان يتفقد بعضهم بعضًا لا سيما أوقات الفتن التي تموج، وعند الحوادث التي على الأكثر تروج» الدرر السنية (٧/ ١٩٥).

الشيخ محمد رشيد رضا[١] كما ستأتي إن شاء الله.

وكم يحتاج العلماء وطلابهم إلىٰ مثل هذا التواصل والتعاون مع العلماء وطلاب العلم -من أهل السنة- في سائر الأقطار والبلدان.

وإن في إقامة هذه الصلات خيرًا كثيرًا، فمن ذلك إزالة الفجوات أو تخفيفها بين علماء أهل السنة، مما ينتج عنه اجتماع واتفاق يفرح له أهل الإيمان، ويغيظ أهل الزيغ والطغيان، كما يورث هذا التواصل سعةً في الأفق وبعدًا في النظر وتحررًا من ضيق النزعات العرقية والمحلية.

- يحظىٰ الشيخ محمد صديق حسن بمنزلة عظيمة عند علماء نجد، كما هو ظاهر في هذه الرسالة، حيث تضمنت أنواعًا من عبارات التبجيل والإكرام والتقدير، ولعظم مكانته، وسعة اطلاعه، وسلامة منهجه، نجد أن الشيخ ابن عتيق يقترح عليه شرح نونية ابن القيم، كما جاء في ثنايا الرسالة.

وفي رسائل عدة بين الشيخ راشد بن علي بن جريس[٢] -رحمه الله-

---

(١) ومن الطريف أن هذا التواصل وتلك المراسلات بين أولئك العلماء دون سابقة لقاء أو مشاهدة، ولذا يقول محمد صديق حسن في وصف الشيخ راشد بن جريس: «عالم ناقد متبع ماجد، مقتدٍ بالسلف الصالح في كل أمر، لم أرَه ولم يرَني، ولم أعرفه ولم يعرفني، بيد أنه راسلني منذ شهر صفر سنة ١٢٩٨هـ» التاج المكلل (ص٥١٧)، وفي مطلع رسالة كتبها محمد رشيد رضا إلى الشيخ صالح بن عثمان القاضي ما يأتي: «من محمد رشيد رضا إلى الأخ الذي أحببناه في الله تعالى بالغيب الشيخ صالح القاضي» رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحمد السلمان، مطبوعات النادي الأدبي (ص٢٩٤).

(٢) ولد في بلدة نعام بالحريق، وتتلمذ على علماء نجد، وأقام في إسطنبول، وهو من الدعاة العاملين، له مؤلفات ونظم رائق، توفي في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. انظر: المكلل، لمحمد صديق حسن (ص٥١٨)، علماء نجد (١/ ٢٥٧).

والشيخ محمد صديق حسن خان، نلمس في تلك الرسائل[1] أيضًا غاية الاحترام والاحتفاء والتبجيل بالشيخ محمد صديق ومؤلفاته، كما أن الشيخ راشد -وهو في إسطنبول- قد طلب من محمد صديق حسن أن يشرح نونية ابن القيم قائلًا: «وإن أحببتم أن تفرضوا فرصة من وقتكم السعيد، ولو زاحمتكم أشغال الليالي والأيام إلىٰ شرح «نونية ابن القيم»، فالداعي لكم يرىٰ هذا من حسناتكم، وامتنانكم علىٰ أهل السنة والجماعة كافة، فاغتنموا دعواتهم الخيرية ما دام في الأرض من يحب السنة والجماعة»[2].

كما كان بين الشيخ أحمد بن عيسىٰ والشيخ محمد صديق حسن مراسلات ومكاتبات، وأرسل إليه محمد صديق تفسيره «فتح البيان» ليطالعه ويبدي ما عنده من ملحوظاته عليه[3].

- ويتضح بذلك ما كان عليه الشيخ حمد بن عتيق من الأدب الجم والخلق الرفيع ولين الجانب وحسن التواضع تجاه الشيخ محمد صديق، فمع ما وقع فيه الشيخ محمد صديق من أخطاء وهنات في تفسيره، ومع ما اشتهر عن ابن عتيق من الغيرة الإيمانية والقوة في دين الله تعالىٰ، إلا أننا نجد أن الشيخ ابن عتيق يلتمس لمحمد صديق المعاذير، ويحسن الظن به، لما كان عليه الشيخ محمد صديق من عموم الاتباع لمذهب السلف الصالح.

---

(١) أورد الشيخ محمد صديق حسن في التاج المكلل ست رسائل كتبها له الشيخ ابن جريس. انظر: التاج المكلل (ص٥١٨-٥٣٥).

(٢) التاج المكلل (ص٥١٩-٥٢٠).

(٣) انظر: تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان، لإبراهيم بن عبيد، ط ١، مؤسسة النور، الرياض (٢/ ٣٠٤).

- فأنت ترىٰ في هذه الرسالة ما كان عليه الشيخ حمد بن عتيق من تمام الإشفاق وعظيم الرحمة وكمال العدل والإنصاف تجاه الشيخ محمد صديق، ومع هذا كله فإن الشيخ ابن عتيق بيَّن الصواب بالدليل والبرهان، ورد كلام أهل التعطيل والتفويض، وهكذا يكون الرد علىٰ المخالف، فإن لم يقصد بالرد بيان الحق وهدي الخلق ورحمتهم والإشفاق عليهم لم يكن عملًا صالحًا[1].

- وتتجلىٰ في هذه الرسالة حكمة الشيخ ابن عتيق في الدعوة، ومراعاة أحوال النفس البشرية، كما يلحظ -في ثنايا الرسالة- ما قام بالشيخ ابن عتيق من سلامة القصد وصحة المنهج في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ.

- ففي مطلع الرسالة ثناء حسن علىٰ الشيخ محمد صديق ومؤلفاته، وإظهار الاشتياق إلىٰ اللقيا به، ثم انتقل إلىٰ ملحوظاته علىٰ الكتاب، وابتدأها بالتماس العذر لمحمد صديق لعدم حصول إمعان النظر في الكتاب: «ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك»، أو إحسان الظن ببعض المتكلمين، ومع ذلك يذكر الشيخ حمد أن تلك المآخذ والمداخل إنما هي عن حسن قصد من محمد صديق، واعتماد الحق وتحري الصدق.

- ثم يبدي الشيخ حمد الاعتذار عن تلك البادرة، فيقول تلك العبارة الجميلة: «وأنا اجترأت عليك، وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك؛ لأنه غلب علىٰ ظني إصغاؤك إلىٰ التنبيه، ولأن من أخلاق أئمة الدين قبول التنبيه والمذاكرة وعدم التكبر وإن كان القائل غير أهل...».

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ (٥/ ٢٣٩).

- ثم يعود الشيخ حمد فيلتمس عذرًا آخر للشيخ محمد صديق -في إيراده أقوال المتكلمين في تفسيره- فيقول: «وقد يكون لكم من القصد نظير ما بلغني عن الشوكاني -رحمه الله- لما قيل له: لأي شيء تذكر كلام الزيدية في هذا الشرح؟ قال ما معناه: لآمن الإعراض عن الكتاب، ورجوت أن ذكر ذلك أدعىٰ إلىٰ قبوله وتلقيه».

- وبعد براعة الاستهلال، ولين الخطاب، وحسن الحفاوة والإجلال، والتماس المعاذير، شرع الشيخ حمد في إيراد تلك المآخذ ونقدها، وبين الواجب تجاه الألفاظ المجملة، ورد علىٰ شبه الأشاعرة بعلم وبرهان وعدل وإنصاف.

دعوة الشيخ صالح البسام للشيخ باصبرين:

قام الشيخ صالح بن عبد الله البسام [(١)] بدعوة شيخه علي باصبرين [(٢)] إلىٰ العقيدة السلفية -التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب- حتىٰ هداه الله تعالىٰ[(٣)].

دعوة الشيخ ابن عيسى للتلمساني:

من المشاهد الدعوية في سير علماء نجد ما قام به العلامة أحمد بن عيسىٰ[(٤)]

---

(١) ولد الشيخ صالح البسام في عنيزة سنة ١٢٧٠هـ وطلب العلم، واشتغل بالتجارة، توفي سنة ١٣٠٧ هـ علماء نجد (٢/ ٤٩٥).

(٢) فقيه شافعي، وأصله من حضرموت، له عناية بكتب الحديث، توفي سنة ١٣٠٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٠).

(٣) علماء نجد للبسام (٢/ ٤٩٦).

(٤) ولد الشيخ أحمد بن عيسى في شقراء عام ١٢٥٣هـ وطلب العلم على مشايخ الرياض، له مؤلفات وتلاميذ، واشتغل بالتجارة، وولي القضاء وجلس للفتيا، توفي في المجمعة سنة ١٣٢٩هـ علماء نجد (١/ ١٥٥)، مشاهير علماء نجد (ص٢٢٦).

من جهود دعوية مباركة، ومن ذلك ما أخبر به الشيخ محمد حسين نصيف[١] -رحمه الله- قائلًا: «كان الشيخ أحمد بن عيسىٰ يشتري الأقمشة من جدة من الشيخ عبد القادر بن مصطفىٰ التلمساني أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهبًا، فيدفع له منها أربعمائة ويقسط عليه الباقي، وآخر قسط يحل ويستلمه التلمساني إذا جاء إلىٰ مكة للحج من كل عام، ثم يبتدئون من أول العام بعقد جديد، ودام التعامل بينهما زمنًا طويلًا، وكان الشيخ أحمد بن عيسىٰ يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يتخلف عنه، ولا يماطل في أداء حقه، فقال له التلمساني: إني عاملت الناس أكثر من أربعين عامًا فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهابي، فيظهر أن ما شاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين، فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات، فقال: إنهم يقولون: إنكم لا تصلون علىٰ النبي ﷺ، ولا تحبونه، فأجابه الشيخ أحمد بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم!

إن عقيدتنا ومذهبنا أن من لم يصلِّ علىٰ النبي في التشهد الأخير فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فهو كافر، وإنما الذي ننكره نحن أهل نجد هو الغلو الذي نهىٰ ﷺ عنه، كما ننكر الاستعانة والاستغاثة بالأموات، ونصرف ذلك لله وحده».

يقول الشيخ محمد نصيف عن الشيخ عبد القادر التلمساني: «فاستمر النقاش بيني وبينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام، حتىٰ شرح الله صدري للعقيدة السلفية، وأما توحيد الأسماء والصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر فهو عقيدة الأشاعرة وكتب الكلام، مثل: السنوسية وأم البراهين وشرح الجواهر وغيرها، فلهذا دام

(١) ولد الشيخ الوجيه محمد بن نصيف في جدة سنة ١٣٠٢هـ صاحب اطلاع واسع، وخلق حسن، ونشر كتب السلف، وكتب في الردود، وله مكتبة عظيمة، توفي في الطائف عام ١٣٩١هـ الأعلام للزركلي (٦/ ١٠٧).

النقاش فيه بيني وبين الشيخ ابن عيسىٰ خمسة عشر يومًا، بعدها اعتنقت مذهب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله تعالىٰ، ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسىٰ.

ثم إن الشيخ التلمساني أخذ يطبع كتب السلف كنونية ابن القيم، والصارم المنكي لابن عبد الهادي ونحوهما، وصار التلمساني من دعاة عقيدة السلف».

قال الشيخ محمد نصيف: «فهداني الله إلىٰ عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني، فالحمد لله علىٰ توفيقه»[1].

دعوة الشيخ ابن عيسى للشريف:

ولم يقصر الشيخ أحمد بن عيسىٰ نشاطه علىٰ دعوة الأفراد، بل تجاوز ذلك فاتصل بأمير مكة الشريف عون الرفيق، وكلَّمه بخصوص القباب والأبنية التي علىٰ القبور، وبيَّن له أن هذا مخالف للإسلام، وأنه غلو في الأموات، ويؤول إلىٰ الشرك وعبادة الأموات، فما كان من الشريف عون إلا أن أمر بهدم القباب التي علىٰ القبور، عدا قبر خديجة -رضي الله عنها- والقبر المنسوب إلىٰ حواء في جدة، فأبقاهما مراعاة للقاعدة الشرعية: درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح[2].

وكان الشيخ أحمد بن عيسىٰ ذات يوم جالسًا عند الشريف عون الرفق، فمر ذكر أصحاب الطرق الصوفية وما يفعلونه من الأذكار المبتدعة، فبيَّن الشيخ قبح أفعالهم، وأن أفعالهم مبتدعة، كقولهم: «الله الله». أو: «هو هو»، فعجب الشريف من كلامه، ثم قال له: أفأضرب لك مثلًا، لو أن خدامك وحاشيتك وقفوا ببابك،

---

(١) علماء نجد (١/ ١٥٦ - ١٥٨)، مشاهير علماء نجد (ص٢٦٠-٢٦٢).

(٢) علماء نجد (١/ ١٥٨)، مشاهير علماء نجد (ص٢٦٤).

وجعلوا ينادون بصوت عالٍ: عون عون أيسرك؟ قال: لا، قال: فماذا تصنع بهم؟ قال: آمر بتأديبهم علىٰ فعلهم، قال: أفتأمر بتأديبهم علىٰ استهانتهم باسمك، ولا تؤدبهم علىٰ استهانتهم بذكر الله وأسمائه؟! فمن ذلك الوقت قام الشريف بإبطال اجتماعاتهم البدعية وفرق شملهم[١].

رسالة الشيخ عبد الرحمن السعدي للشيخ محمد رشيد رضا:

من الجهود الدعوية لعلماء نجد ما كتبه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي[٢] للشيخ محمد رشيد رضا[٣] رحمهما الله: «من عنيزة إلىٰ قاهرة مصر في رجب ١٣٤٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبعث جزيل التحيات، ووافر السلام والتشكرات، لحضرة الشيخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم، حرسه الله تعالىٰ من جميع الشرور، ووفقه وسدده في كل أحواله، آمين.

أما بعد: السلام عليكم ورحمة وبركاته، فالداعي لذلك ما اقتضاه الحب ودفعه الود المبني علىٰ ما لكم من المآثر الطيبة التي تستحقون بها الشكر من جميع المسلمين التي من أعظمها تصديكم في مناركم الأغر لنصرة الإسلام والمسلمين،

---

(١) تذكرة أولي النهى والعرفان (٢/ ٣٠٤).

(٢) ولد السعدي بعنيزة سنة ١٣٠٧هـ وهو من كبار علماء نجد، له مؤلفات كثيرة وفي فنون عدة، وله تلاميذ، واشتغل بالتدريس والفتيا، توفي بعنيزة عام ١٣٧٦هـ. علماء نجد (٢/ ٤٢٢)، مشاهير علماء نجد (ص٣٩٢).

(٣) ولد محمد رشيد رضا في الشام سنة ١٢٨٢هـ، وتعلم بها، ثم سافر إلى مصر عام ١٣١٥هـ واستقر بها، مارس الصحافة وعمل في السياسة، وزار بلدانًا عدة، صاحب مسلك إصلاحي تجديدي، له مؤلفات عدة، توفي بالقاهرة عام ١٣٥٤هـ الأعلام (٦/ ١٢٦).

ودفع باطل الجاهلين والمعاندين، رفع الله قدركم وأعلىٰ مقامكم، وزادكم من العلم والإيمان ما تستوجبون خير الدنيا والآخرة، وأنعم عليكم بنعمه الظاهرة والباطنة.

ثم إننا نقترح علىٰ جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثًا واسعًا لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعولون، وأنفعها لشدة الحاجة، بل دعاء الضرورة إليه، ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين، وراج عليهم من أصول الملاحدة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلاسفة، بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذه الأمور ممن يحسنون بهم الظن، ككتب ابن سينا وابن رشد وابن عربي ورسائل إخوان الصفا، بل وبعض الكتب التي تنسب للغزالي وما أشبهها من الكتب المشتملة علىٰ الكفر برب العالمين، والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر، وإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام، فبعض هذه الأصول انتشرت في كثير من الصحف المصرية، بل رأيت تفسيرًا طبع أخيرًا منسوبًا لطنطاوي جوهري قد ذكر في مواقع كثيرة في تفسير سورة البقرة شيئًا من ذلك، ككلامه علىٰ استخلاف آدم وعلىٰ قصة البقرة والطيور ونحوها بكلام ذكر فيه من أصول وحدة الوجود وأصول الفلسفة المبنية علىٰ أن الشرائع إنما هي تخييلات وضرب أمثال لا حقيقة لها، وأنه يمكن لآحاد الخلق ما يحصل للأنبياء ما يجزم المؤمن البصير بأنه مناقض لدين الإسلام وتكذيب لله ورسوله، وذهاب إلىٰ معانٍ يعلم بالضرورة أن الله ما أرادها وأن الله بريء منها ورسوله، ثم مع ذلك يحث الناس والمسلمين علىٰ تعلمها وفهمها، ويلومهم علىٰ إهمالها، وينسب ما حصل للمسلمين من الوهن والضعف بسبب إهمال علمها وعملها.

ويح من قال ذلك! لقد علم كل من عرف الحقائق أن هذه العلوم هي التي أوهنت قوىٰ المسلمين، وسلطت عليهم الأعداء وأضعفتهم لزنادقة الفرنج وملاحدة الفلاسفة.

وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين، ويتأولون ما في الكتاب والسنة من ذلك بتأويلات تشبه تأويلات القرامطة الذين يتأولون العقائد والشرائع، فيزعمون أن الملائكة هي القوىٰ الخيرية التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بالملائكة، كما أن الشيطان هي القوىٰ الشريرة التي في الإنسان، فعبر عنها الشرع بذلك، ولا يخفىٰ أن هذا تكذيب لله ولرسوله أجمعين، ويتأولون قصة آدم وإبراهيم بتأويل حاصله أن ما ذكر الله في كتابه عن آدم وإبراهيم ونحوهما لا حقيقة له، وإنما قصد به ضرب الأمثال.

وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك، وإلىٰ الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا علىٰ وجه الرد لها والإبطال، كما هي عادتكم في رد ما هو دونها بكثير.

وهذه الأمور يكفي في ردها في حق المسلم المصدق للقرآن والرسول مجرد تصورها، فإنه إذا تصورها كما هي يجزم ببطلانها ومناقضتها للشرع، وأنه لا يجتمع التصديق بالقرآن وتصديقها أبدًا، وإن كان غير مصدق للقرآن ولا للرسول صار الكلام معه كالكلام مع سائر الكفار في أصل الرسالة وحقيقة القرآن.

وقد ثبت عندنا أن زنادقة الفلاسفة والملحدين يتأولون جميع الدين الإسلامي؛ التوحيد والرسالة والمعاد والأمر والنهي بتأويل يرجع إلىٰ أن القرآن والسنة كلها تخييلات وتمويهات لا حقيقة لها بالكلية، ويلبسون علىٰ الناس بذلك، ويتسترون بالإسلام، وهم أبعد الناس عنه، كما ثبت أيضًا عندنا أنه يوجد ممن كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، ويعظم الرسول وينقاد لشرعه، وينكر علىٰ هؤلاء الفلاسفة ويكفرهم في أقوالهم أنه يدخل عليه شيء من هذه التأويلات من غير قصد ولا شعور، لعدم علمه بما تؤول إليه، ولرسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلبه،

ولتقليد من يعظمه، وخضوعًا أيضًا، ومراعاة لزنادقة علماء الفرنج الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم علىٰ كثير من أصولهم ويخافون من نسبتهم للبلادة وإنكار ما علم محسوسًا بزعمهم؛ فبسبب هذه الأشياء وغيرها دخل عليهم ما دخل، فالأمل قد تعلق بأمثالكم لتحقيق هذه الأمور وإبطالها، فإنها فشت وانتشرت، وعمت المصيبة بها الفضلاء فضلًا عمن دونهم، ولكن لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة يهتدي به الضالون، وتقوم به الحجة علىٰ المعاندين.

وقد ذكرت لحضرتكم هذه الأشياء علىٰ وجه التنبيه والإشارة، لأن مثلكم يتنبه بأدنىٰ تنبيه، ولعلكم تجعلونه أهم المهمات عندكم؛ لأن فيه الخطر العظيم علىٰ المسلمين، وإذا لم يرَ الناس لكم فيه كلامًا كثيرًا وتحقيقًا تامًّا، فمن الذي يعلق به الأمل من علماء الأمصار؟ والرجاء بالله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضيه ويجعلنا وإياكم من الهادين المهتدين إنه جواد كريم.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وسلم.

محبكم الداعي عبد الرحمن بن ناصر السعدي»[1].

وقفات دعوية مع رسالة السعدي:

تسترعي القارئ لهذه الرسالة جملة أمور، منها:

- سعة اطلاع الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- وبُعد أُفُقه، حيث طالع مجلة المنار، وأثنىٰ عليها خيرًا، وأبدىٰ شيئًا من مآثرها في نصرة الإسلام والمسلمين، مع أن المجلة تكاد تكون معدومة الانتشار في نجد آنذاك، بدليل أن الشيخ محمد رشيد رضا -في جوابه علىٰ رسالة

(١) مجلة المنار مجلد ٢٩ (٢/ ١٤٣-١٤٥).

السعدي- يقول: «كنت منذ سنين كثيرة أتمنىٰ لو يطلع علماء نجد علىٰ المنار، ويفتح بيني وبينهم البحث والمناظرة العلمية الدينية فيما يرونه منتقدًا، لينجلي وجه الصواب فيها، وقد كنت كتبت إلىٰ إمامهم[١] بذلك، وإنني سأرسل إليه عشر نسخ من كل جزء ليوزعها علىٰ أشهرهم، وفعلت ذلك عدة سنين، ولكن لم يأتني منه جواب، ثم ترجح عندي، أن تلك النسخ كانت تختزل من البريد البريطاني في سني الحرب وما بعدها»[٢].

بل إن الشيخ السعدي قد طالع تفسير «الجواهر في تفسير القرآن» لطنطاوي جوهري، مع أن البلاد السعودية قد منعت هذا الكتاب، ولم تسمح بدخوله إليها[٣]؛ لما تضمنه من مزالق وانحرافات[٤].

- وتكشف هذه الرسالة فقه الشيخ السعدي لواقعه، وإحاطته بتحديات عصره، حيث أكد الشيخ أهمية الرد علىٰ الإلحاد والملاحدة، وذلك في وقت قد ظهر فيه الإلحاد وراج علىٰ كثير من المسلمين، فلا غرابة أن يسطر العلامة السعدي أكثر من كتاب في الرد علىٰ الملحدين.

- ويتبين من هذه الرسالة ما عرف عن الشيخ السعدي من خلق حسن، وأدب رفيع، وحكمة في الدعوة، فقد كان رفيقًا متأنيًا في النقد والتقويم، فقال رحمه الله: «وقد ذكر لي بعض أصحابي أن «مناركم» فيه شيء من

---

(١) يقصد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٩ (٢/ ١٤٧).

(٣) التفسير والمفسرون، للذهبي دار الكتب الحديثة، مصر. ط٢، ١٣٩٦هـ (٢/ ٥٠٨)، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، لفهد الرومي، ط ١، ١٤٠٧هـ (٢/ ٦٧٣).

(٤) تجد تعريفًا شاملاً بتفسير «الجواهر» ومزالقه في كل من: التفسير والمفسرون للذهبي (٢/ ٥٠٥-٥١٧)، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري لفهد الرومي (٢/ ٦٣٨ - ٦٧٨).

ذلك، وإلىٰ الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا علىٰ وجه الرد لها والإبطال، كما هي عادتكم في رد ما هو دونها بكثير»[1].

دعوة البكري لأحد علماء الهند:

من الجهود الدعوية لعلماء الدعوة، ما قام به الشيخ عبد الرحمن البكري رحمه الله[2]، كما حكىٰ ذلك العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله في أحد تقريراته، فقال: «كان الشيخ عبد الرحمن البكري من طلاب العلم علىٰ العم الشيخ عبد الله[3] وغيره، ثم بدا له أن يفتح مدرسة في عمان يعلم فيها التوحيد من كسبه

---

(١) لم يكن السعدي وحده -من علماء نجد- الذي انتقد «المنار» وصاحبها، بل إن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع -في رسالة بعثها إلى الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٤٠هـ- قد انتقد المدرسة الإصلاحية وما تحويه من مزالق وانحرافات، كما عاب الشيخ سليمان بن سحمان -في الرسالة السالفة- على محمد رشيد رضا عدم نشره لمقال كتبه في الرد على جريدة القبلة والتي كانت لسان الحسين بن علي بمكة المكرمة آنذاك، غفر الله للجميع وتغمدهم بواسع رحمته. انظر: هذه الرسالة في دارة الملك عبد العزيز، قسم الوثائق، رقم ٢٦٣. ومجلة المنار، مج ٢١ (٩/ ٤٩٦).

كما استدرك الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٣٢هـ على جواب كتبه محمد رشيد رضا -في المنار- في الرد على بعض الملاحدة الطاعنين في شعيرة الحج وحكمها، فكان مما قاله ابن سحمان: «ولما تأملت جواب صاحب المنار رأيته قد أجاد وأفاد، ولكنه تساهل في الجواب مع هؤلاء الزنادقة، لظنه أنهم يطلبون الحق ويسترشدون، وهم بخلاف بذلك، فلأجل ذلك سألني بعض الإخوان أن أكتب في ذلك ما يبين ضلالهم». من كتاب «إقامة الحجة والدليل» (ص٩).

وانتقد الشيخ عبد الله بن علي بن يابس كتاب «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا فكتب مقالة في أربع صفحات، وقد نشرها محمد رشيد رضا في «المنار»، ثم أعقبها بالجواب والبيان. انظر: مجلة المنار، مج ٣٤ (٢/ ١٤٠ -١٤٦)، (٣/ ٢١٦-٢٢٦).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) ابن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

الخاص، فإذا فرغ ما في يده، أخذ بضاعة من أحد، وسافر إلىٰ الهند، وربما أخذ نصف سنة في الهند[١].

قال الشيخ البكري: كنت بجوار مسجد في الهند، وكان فيه مدرس إذا فرغ من تدريسه لعنوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإذا خرج من المسجد مرَّ بي، وقال: أنا أجيد العربية، لكن أحب أن أسمعها من أهلها، ويشرب من عندي ماء باردًا، فأهمني ما يفعل في درسه، قال: فاحتلت بأن دعوته وأخذت كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونزعت ديباجته، ووضعته علىٰ رفٍّ في منزلي قبل مجيئه، فلما حضر قلت: أتأذن لي أن آتي ببطيخة، فذهبت، فلما رجعت إذا هو يقرأ ويهز رأسه، فقال: لمن هذا الكتاب؟ هذا التراجم -أي: العناوين- شبه تراجم البخاري، هذا والله نفس البخاري! فقلت: لا أدري، ثم قلت: ألا نذهب للشيخ الغزوي لنسأله -وكان صاحب مكتبة- فدخلنا عليه، فقلت للغزوي: كان عندي أوراق سألني هذا الشيخ: من هي له؟ فلم أعرف، ففهم الغزوي المراد، فنادىٰ من يأتي بكتاب «مجموعة التوحيد»، فأتي بها، فقابل بينهما، فقال: هذا لمحمد بن عبد الوهاب، فقال العالم الهندي مغضبًا وبصوت عالٍ: الكافر، فسكتنا وسكت قليلًا، ثم هدأ غضبه فاسترجع، ثم قال: إن كان هذا الكتاب له فقد ظلمناه، ثم إنه صار كل يوم يدعو له ويدعو معه تلاميذه، وتفرق تلاميذه في الهند، وإذا فرغوا من القراءة دعوا جميعًا للشيخ ابن عبد الوهاب»[٢].

---

(١) تأمل إلى عظم بذل الشيخ البكري في سبيل الدعوة، وجسامة تضحيته في سبيل نصرة هذا الدين فهو -رحمه الله- يعلِّم دين الله تعالى في هذه المدرسة التي أنشأها في عمان، فإذا نفدت ميزانية المدرسة سافر إلى الهند صابرًا على مشقة السفر وهموم الغربة ومفارقة الأوطان، وكل ذلك من أجل تحصيل مال لدعم هذه المؤسسة الدعوية، فالله المستعان.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع محمد بن قاسم ط ١، مطبعة الحكومة مكة ١٣٩٩هـ (١/ ٧٥-٧٦).

إصدار الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم مجلة راية الإسلام:

أدرك علماء نجد أهمية الصحافة ودورها الكبير في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، فعمدوا إلىٰ إيجاد منابر إعلامية تخدم قضايا الإسلام والمسلمين.

ففي ذي الحجة سنة ١٣٧٩هـ أصدر الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ[(١)] مجلة شهرية بعنوان «راية الإسلام»[(٢)].

وفي عام ١٣٨٥هـ أسس الشيخ العلامة مفتي المملكة محمد بن إبراهيم آل الشيخ[(٣)] مؤسسة الدعوة الإسلامية، والتي يصدر عنها «مجلة الدعوة» وما تزال.

وقد كتب سماحته خطابًا سنة ١٣٨٤هـ إلىٰ ولي العهد -آنذاك- جاء فيه: «عطفًا علىٰ حديثي مع مقام سموكم حول عزمنا علىٰ إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بالدعوة إلىٰ الله وتوجيه الناس إلىٰ الخير بأسلوب حكيم وطرق مناسبة، ويصدر عنها صحيفة تحمل اسم «منار الإسلام»، ويحتمل أن يصدر عنها مجلة أو مجلات أو نشرات حسب مقتضيات الحاجة، وستكون مساهمة، ويوضع لها نظام داخلي يحدد سيره العلماء، وطريقة الإخراج، ويتولىٰ إدارتها أناس أكفاء موثوقون»[(٤)].

---

(١) ولد الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم بالرياض سنة ١٣١٥هـ وتتلمذ على كبار علماء الرياض، وبرع في الفرائض، وصار مديرًا للمعاهد العلمية والكليات (جامعة الإمام حاليًا)، وكان يقرض الشعر، توفي في الرياض عام ١٣٨٦هـ. مشاهير علماء نجد (ص١٦٤)، علماء نجد (٢/ ٤٩٤).

(٢) صدر العدد الأول من هذه المجلة في شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٩هـ وتوقفت بعد العدد الخامس من السنة الثانية ١٣٨١هـ ورأس تحريرها الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.

(٣) ولد سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم عام ١٣١١هـ في الرياض ودرس العلم على كبار مشايخ الرياض، وجلس للتدريس في فنون كثيرة ما يزيد على أربعين سنة، تولى رئاسة القضاء والإفتاء والتعليم الشرعي، توفي في الرياض سنة ١٣٨٩هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص١٦٩)، علماء نجد (١/ ٨٨).

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣/ ١٦٣).

ويقول في موضع آخر: «نظرًا لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلىٰ الدعوة الإسلامية، فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة والأفكار الضالة المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان، ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في عصرنا الحاضر، فقد تقرر بأن يصدر عن هذه المؤسسة صحيفة يومية تصدر أسبوعيًا مؤقتًا، ومجلة شهرية، علاوة علىٰ ما نؤمله في المستقبل القريب إن شاء الله من قيام هذه المؤسسة بإرسال الدعاة إلىٰ الله في أنحاء العالم»[1].

جوانب الدعوة عند الشيخ القرعاوي:

من الجهود الدعوية الناجحة ما قام به فضيلة الداعية الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي[2]، حيث اتجه إلىٰ منطقة تهامة في جنوب غرب الجزيرة، وبذل جهودًا عظيمةً في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وأقام الكثير من المدارس وحلقات التعليم في مدن وقرىٰ تلك المنطقة. وكانت بداية دعوته في «صامطة» حيث اتخذ دكانًا للتجارة، فكان يعلم تلاميذه في الدكان، ويلقي الدرس والمواعظ في المساجد لتوعية عامة المسلمين، واستطاع الشيخ أن يقضي علىٰ كثير من المنكرات السائدة آنذاك، فعارضه خصوم ووشوا به، فانتقل إلىٰ جزيرة «فرسان». ولمَّا تعرف علىٰ طباع أهلها، فتح لهم مدرسة، وشرع في وعظهم وإرشادهم، ثم عاد الشيخ إلىٰ

---

(١) المرجع السابق (١٣/ ١٦٣ - ١٦٤).

(٢) ولد الشيخ القرعاوي في عنيزة عام ١٣١٥هـ وطلب العلم على علماء القصيم والرياض والهند، كانت له جهود مباركة في سبيل الدعوة والتعليم في جنوب الجزيرة العربية، توفي في الرياض سنة ١٣٨٩هـ علماء نجد (٢/ ٦٣٠)، مشاهير علماء نجد (ص٤٢٠).

«صامطة» بناء علىٰ مطالبة تلاميذه برجوعه، ومر علىٰ بلدة «مزهرة» فأصلح بناء مسجدها، وفتح فيها مدرسة، وجلس للوعظ والتذكير.

واستمر الشيخ في جولات وتنقلات بين المدن والقرىٰ يقيم عشرات المدارس لتربية الناشئة، ويلقي المواعظ لتزكية العامة، فتوافد عليه الطلاب من المناطق البعيدة، فاهتم الشيخ بهم وهيأ لهم المسكن والغذاء واللباس.

واستوصىٰ الشيخ بالنساء خيرًا، ففتح مدراس نسائية، وكان يشجع النساء -طالبات ومعلمات- بمكافآت مادية، فتَفَقَّهْنَ في الدين، وتمسَّكْنَ بالحجاب والفضيلة، وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأها -في أوج توسعها- ألفين وثلاثمائة وعشر مدارس (٢٣١٠)[١].

جهود الشيخ عبد الرحمن الدوسري في الدعوة:

أما الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري[٢] -رحمه الله- فقد حفلت حياته بمناشط دعوية عدة؛ فكان يجوب البلاد وينتقل بين الأحياء واعظًا ناصحًا آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، وحاضر في كثير من المدارس والجامعات -رحمه الله- لا يتقاضىٰ أجرًا علىٰ أنشطته ودروسه، وكان حريصًا علىٰ نشر وتشجيع الكتب والصحف الإسلامية، فأحيانًا يشتري عددًا كبيرًا من الكتب الإسلامية

(١) انظر: تفصيل دعوة الشيخ عبد الله القرعاوي في كتاب: الشيخ عبد الله القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية، لموسى بن حاسر السهلي ط١، ١٤١٣هـ. (ص٢٢-٧٦).

(٢) ولد الشيخ عبد الرحمن الدوسري في البحرين ١٣٢٢هـ، وانتقل مع والده إلى الكويت، فتعلم في المدرسة المباركية، ودرس على بعض العلماء، له مؤلفات كثرة توفي في الرياض ١٣٩٩هـ. انظر: حياة الداعية عبد الرحمن الدوسري، إعداد سليمان الطيار، رسالة ماجستير في كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ غير منشورة (ص٧٣- ٨٧). ومقدمة تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم، دار الأرقم، الكويت ط١، ١٤٠١ هـ (١/ ٩ - ٢١).

ويوزعها علىٰ نفقته الخاصة، ويشترك سنويًّا في عدد كبير من المجلات الإسلامية ويوزعها، ثم ينصح أهل الخير ليسهموا في هذه الأعمال النافعة، حتىٰ إنه اشترك شهريًّا في إحدىٰ المجلات الإسلامية بما يصل إلىٰ مائتي عدد[١].

وأوصىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن يكون ثلث ماله للجمعيات والمراكز الإسلامية القائمة بأمر الدعوة إلىٰ الله، ولطبع الكتب والمنشورات الإسلامية[٢]، وكان -رحمه الله- يحاضر الساعات الطوال، ويجيب عن أسئلة الحاضرين بكل صراحة ووضوح، وإذا ضاق الوقت وعدهم بالرجوع إليهم حسب رغبتهم. يقول في محاضرة واجب الشباب المسلم تجاه التيارات المعاصرة: «إني مستعد للحضور للإجابة عن أسئلتكم متىٰ شئتم، ودون موعد مسبق، فأنا أنقاد لفعل الخير بكل حب وسرور، والله يتولىٰ الصالحين»[٣].

ومن حرصه علىٰ الدعوة كان يبادر إلىٰ تجمع الشباب في الأماكن العامة، فيرشدهم ويجيب علىٰ استفسارهم بكل صراحة ورحابة صدر، ومن ذلك أنه في شهر شوال عام ١٣٨٥هـ صلىٰ المغرب في حديقة البلدية بالبطحاء في الرياض، وبعد السنة الراتبة قام الشيخ الدوسري فتكلم علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] -وقد كانت هذه الآية مما قرأه الإمام في هذه الصلاة- فتكلم عنها الشيخ إلىٰ أن حانت صلاة العشاء، وبعد أداء الصلاة أكمل الحديث، ثم بدأت مناقشة بينه وبين الحاضرين إلىٰ قبيل منتصف الليل، وكان حديثًا مستفيضًا مفيدًا أكثر فيه من ضرب الأمثلة التي تنطبق عليها هذه الآية[٤].

---

(١) حياة الداعية عبد الرحمن الدوسري، للطيار (ص٣٠٦).
(٢) المرجع السابق (ص٣١٩)، وصفوة الآثار والمفاهيم (١/ ١٠ - ١١).
(٣) المرجع السابق (ص١٥٧).
(٤) المرجع السابق (ص١٥٥).

وما يزال لعلمائنا المعاصرين أمثال العلامة عبد الله ابن حميد والعلامة عبد العزيز بن باز والعلامة محمد بن عثيمين –رحمهم الله– ونحوهم من الجهود الدعوية الباهرة ما هو مسطور ومشهور.

الخاتمة

ونخلص في خاتمة هذا البحث إلىٰ ما عليه علماء الدعوة السلفية من اهتمام ظاهر بالجانب الدعوي، فمع انشغالهم بالتدريس والفتيا والقضاء والجهاد، إلا أنهم أعطوا الدعوة حقها من العناية والاهتمام، فكان الترفق والتلطف مع المخالف، كما في أسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مع الذين يستغيثون بزيد بن الخطاب ﷺ.

كما نلحظ الأدب الرفيع والاحتفاء الكبير مع أهل العلم الذين قد يخالفون علماء الدعوة في بعض المسائل، كما في رسالة الشيخ حمد بن عتيق للشيخ محمد صديق حسن.

كما أن في هذه الرسائل تأكيدًا علىٰ العمل الجماعي الدعوي كما في رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله بن حسن للشيخ عبد الرحمن الألوسي، حيث أكد ضرورة أن يكون له جماعة وتلاميذ يقومون بواجب الدعوة بعده.

كما يظهر التواصل الدعوي من علماء هذه الدعوة تجاه علماء خارج الجزيرة العربية، سواء عبر المراسلات، أو عبر اللقاءات والحوارات، كما يتجلىٰ أثر القدوة الحسنة في نشر هذه الدعوة كما في قصة الشيخ أحمد بن عيسىٰ مع التلمساني، حيث إن ما عليه الشيخ أحمد بن عيسىٰ من حسن الخلق وجميل التعامل مع التلمساني كان سببًا في فتح الحوار بينهما ثم القبول لهذه الدعوة.

وفي هذه الجوانب ما يجلي فقه علماء الدعوة لقضايا عصرهم، ووعيهم لما يستجد من النوازل والأحداث، كما في رسالة العلامة السعدي للشيخ محمد رشيد

رضا، حيث اقترح علىٰ صاحب المنار أن يُعنَىٰ بالرد علىٰ أهل الإلحاد وأصحاب النزعة العقلية الجامحة.

وفي تلك الجوانب ما يبين أن إجلال العالم والانتفاع بعلمه لا يمنع من دعوته وتوجيهه، كما في موقف الشيخ حمد بن عتيق مع الشيخ محمد صديق حسن، وما حصل من هداية للشيخ علي باصبرين علىٰ يد تلميذه الشيخ صالح البسام، كما أن في تلك الجوانب ما يبرز التضحية والبذل في سبيل نصرة دين الله تعالىٰ وتبليغه عند علماء الدعوة، كما في جهود الشيخ عبد الله القرعاوي والشيخ عبد الرحمن الدوسري ونحوهم.

(٤)

مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية خلال القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر[١]

(١) طُبع في مكتبة الرشد (١٤٣٢هـ).

يهدف هذا البحث إلىٰ جمع آراء علماء نجد في مسائل الاعتقاد قبل الدعوة الإصلاحية، وخلال القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجري.

وتبرز أهمية هذا البحث بأن الواقع العقدي لبلاد نجد قبل الدعوة لم يأخذ حظَّه من الدراسة والتحرير، وإن وُجدت دراسات فهي تقتصر علىٰ الجانب التاريخي فحسب، وقد يخفىٰ علىٰ الكثير أن المسالك الكلامية وطرائق الصوفية قد غشيت بلاد نجد -كما هو مذكور في هذا البحث-.

فلا يزال واقع نجد قبل الدعوة محل اختزال عند بعض الباحثين، كما أن هذا الواقع وما يحتمله من الذم أو المدح هو محل جدل ونقاش بين الباحثين المعاصرين، ففريق يغرق في ذم هذا الواقع، ويعمم في قدحه، وآخر يقلص هذا الانحراف، ويقلل من شأنه.

إضافة إلىٰ ذلك فإن جملة من العداء والخصومة بين الدعوة ومخالفيها في مسائل التوحيد والشرك والتكفير والقتال، لا ينفك عند الخصوم من جذور كلامية، وشطحات صوفية.

وقد تتبع الباحث آراء مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة، واستخرجها من كتب الاعتقاد والفقه، والتاريخ والتراجم، والرسائل الشخصية والأشعار... ثم صنفها ورتَّبها وفق الخطة الآتية:

يتكون البحث من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

تمهيد: نبذة تاريخية عن نجد خلال القرون الثلاثة السابقة للدعوة الإصلاحية.

الفصل الأول: تقريرات علماء نجد لمذهب السلف الصالح.

الفصل الثاني: علم الكلام عند علماء نجد.

الفصل الثالث: التصوف عند علماء نجد.

الخاتمة: نتائج البحث.

وقد سعيت إلىٰ الالتزام بهذه الخطة، وبذلت جهدي، مع اعترافي بالتقصير فيما التزمته وقصدته، وبالله التوفيق.

تمهيد

نبذة تاريخية عن نجد خلال القرون الثلاثة السابقة للدعوة الإصلاحية

يكاد الباحثون يتفقون علىٰ ندرة ما كتب عن تاريخ نجد -قبل الدعوة الإصلاحية- وقلة المعلومات التاريخية عن أحوال نجد آنذاك[١].

وألمح الأستاذ حمد الجاسر إلىٰ أن نجدًا -قبل الدعوة الإصلاحية- تعيش مرحلة من التاريخ مجهولة، إلا نتفًا ضئيلة من بعض أقوال المؤرخين[٢].

يقول أمين سعيد في هذا الصدد: «ولقد حاولنا كثيرًا من خلال دراستنا لتاريخ الدولتين الأموية والعباسية، وتاريخ الأيوبيين، والمماليك في مصر، ثم تاريخ العثمانيين الذين جاؤوا بعدهم وورثوهم أن نعثر علىٰ اسم والٍ، أو حاكم أرسله هؤلاء، أو أولئك أو أحدهم إلىٰ نجد فلم نقع علىٰ شيء»[٣].

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا التمهيد أن نجدًا لم تشهد نفوذًا عثمانيًّا كسائر البلدان -كما قاله غير واحد من الباحثين- فمن خلال وثيقة تركية سجلت سنة

---

(١) انظر: علماء نجد للبسام (١/ ١١، ١٢، ١٤)، ومقدمة عبد الله الشبل للأخبار النجدية (ص٣)، وتاريخ ابن ربيعة (ص١١)، ومجلة كلية الشريعة بالأحساء ع ٢، س ٢، بحث «التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص٥٠١).

(٢) انظر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ (ص٦٩).

(٣) تاريخ الدولة السعودية (ص٢٣).

١٠١٨هـ، وتحوي أسماء الأقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية، إلا أن نجدًا ليست منها[١].

وقد بيَّن حسين خزعل حال نجد في العصر العثماني فقال: «ولما حلَّت سنة ٩٢٣هـ وظهرت الدولة العثمانية علىٰ المسرح السياسي في جزيرة العرب -وإن كانت الجزيرة العربية لم تشمل بالحكم العثماني المباشر- كان كل قطر من أقطار الجزيرة العربية مستقلًا بذاته، ولا سيما نجد فقد كانت العصبيات فيها قائمة علىٰ قدم وساق، لكل عشيرة دولة...»[٢].

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين: «ومهما يكن فإن نجدًا لم تشهد نفوذًا مباشرًا للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما أنها لم تشهد نفوذًا قويًا يفرض وجوده علىٰ سير الحوادث داخلها لأي جهة كانت، فلا نفوذ بني جبر، أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرىٰ، أحدث نوعًا من الاستقرار السياسي»[٣].

والمقصود أن جملة من الباحثين قرروا أن نجدًا لم تكن خاضعة للنفوذ العثماني[٤].

بل كانت نجد في فتن وحروب، ونزاعات بين القبائل والبلدان، ونزاعات سياسية، ونقص في المعايش والأرزاق، كما هو ظاهر بيِّن في «السوابق[٥]» التي

(١) انظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لصالح العبود (ص٢٣، ٢٤).

(٢) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣٨، ٣٩) باختصار.

(٣) محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره (ص١١).

(٤) انظر: سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد (ص١٧٩)، واكتشاف جزيرة العرب لجاكلين بيرين (ص٢٤)، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز آل عبد اللطيف (ص٣٠٣-٣٠٦).

(٥) المراد بالسوابق الحوادث والوقائع التي سبقت الدعوة الإصلاحية منذ منتصف القرن التاسع الهجري إلى نهاية سنة ألف وستمائة وست وخمسين. انظر: عنوان المجد (٢/ ٢٩٥).

جمعها مؤرخ نجد عثمان ابن بشر[١]، وقال في آخرها: «أما السنون التي سبقت قيامهم[٢]، فغلب فيها الضلال والجهل والظلم، وفتن كقطع الليل المظلم، وقتال بين أهل كل بلد عدوانًا وحمية جاهلية، وتحالف وتفازع وعصبية، وكل بلد فيها رئيس فأكثر لا يزال يقع بينهم الشرُّ، تارة يتقاتلون وتارة يتسالمون، فلا يسافر ذو الحاجة فرسخًا أو ميلًا إلا كان أن يرجع مسلوبًا أو قتيلًا»[٣].

فبلاد نجد مفككة ضعيفة، تكابد انحرافات دينية، وفقرًا حضاريًا، وتدهورًا أمنيًا، واقتصادًا ضحلًا[٤]، فلا غرو أن يندر التدوين التاريخي في تلك القرون المقفرة، وكما قال أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي: «لما كان البلد مملوءًا بالأخيار وأهل المناقب، قيّض الله لها من يحكيها، فلما عدموا وبقي المؤذي والذميم الفعل أعدم المؤرخ، وكان هذا ستر عورة»[٥].

ومن أهم ما يتعلق بهذا التمهيد أن نشير إلىٰ ما أبداه بعض الباحثين المعاصرين من وصف ابن غنام وابن بشر بالحماس للدعوة السلفية، والذي دفعهما إلىٰ المبالغة في إبداء صورة قاتمة عن نجد، والتهويل في توصيف الانحراف الديني في نجد[٦].

(١) انظر: عنوان المجد (٢/ ٢٩٦-٣٧٥).
(٢) يعني: أنصار الدعوة الإصلاحية.
(٣) عنوان المجد (٢/ ٣٧٧).
(٤) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب للعثيمين (ص٩)، وتاريخ ابن ربيعة (مقدمة الشبل) (ص١١).
(٥) المنتظم لابن الجوزي (١٦/ ٢٧٦).
(٦) انظر ما كتبه: عبد الله العثيمين في كتابه «محمد بن عبد الوهاب» (ص١٩-٢١)، ومجلة الدارة ع ٣، س ٤ شوال ١٣٩٨هـ، وأحمد البسام في «الحياة العلمية في وسط الجزيرة» (ص٦٦، ٢٦٤، ٣٨٩).

بل عمد بعضهم[1] إلىٰ تهوين الخلاف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين خصومه من طلاب العلم وأهله في بلاد نجد، وتبرير آراء الخصوم وتهوينها، وتكلّف الاعتذار لمخالفيه[2]، وفي المقابل يلحظ تحجيم هذه الدعوة المباركة كما في العبارة الآتية: «تعدُّ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب محاولة لتصحيح الأوضاع التي كانت سائدة في نجد وغيرها من مناطق العالم الإسلامي، فقد ابتعد قسم من الناس عن تطبيق المبادئ الصحيحة للدين الإسلامي»[3].

فهذه الدعوة الإصلاحية التي ظهر أثرها وعمَّ نفعها أنحاء المعمورة ما هي إلا محاولة لتصحيح الأوضاع لفريق من الناس!

ولما نقل الباحث -عفا الله عنه- مقالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إن علماء العارض لا يعرفون معنىٰ لا إله إلا الله.. عبَّر عن ذلك أنه نوع اتهام، وأن الشيخ بشر وليس معصومًا![4].

والمقصود أن ابن غنام قد تحدَّث عن واقع نجد وما فيه من انحرافات عقدية، من خلال أمثلة ظاهرة وحكايات واقعة مثل اتخاذ القبور مساجدَ كقبر زيد بن الخطاب[5] وضرار بن الأزور رضي الله عنهما، ونحوها من قبور أخرىٰ تنسب

---

(١) انظر: الحياة العلمية في وسط الجزيرة لأحمد البسام.

(٢) انظر: الحياة العلمية في وسط الجزيرة لأحمد البسام (ص٢٦٥-٢٧٠)، (ص٢٨٥-٢٨٩).

(٣) المرجع السابق (ص٢١٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (ص٢٦٧).

(٥) يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: «وكان شيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ابتداء دعوته إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب ﷺ قال: الله خير من زيد، تمرينًا لهم على نفي الشرك بلين الكلام نظرًا إلى المصلحة وعدم النفرة» مجموعة التوحيد (ص٣٣٩).

للصحابة ﷺ[١]، والتعلُّق بالأشجار والتبرك بها كشجرة الطرفية والفحّال وشجرة الذيب وشجرة أبي دجانة، والتبرك بغار بنت الأمير بالدرعية[٢].

وكذا الافتتان بالطواغيت والغلو في أدعياء الولاية والصلاح مثل: تاج وشمسان وأولاده، ويوسف[٣]، وإدريس، وحطاب، وحسين، وعثمان، وعباس، وأبي حديدة -كما هو مبسوط في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤]-.

وكذا استفحال البدع العملية، وظهورها في نجد كما هو مفصَّل في موطنه[٥].

بل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد حكىٰ هذا الواقع القاتم في عدة مواضع من رسائله، فقد ذكر هؤلاء الطواغيت وغلَّظ عليهم وحذَّر منهم، وساق نماذج من البدع والمحدثات الواقعة في نجد -كما مرَّ آنفًا- كما بيَّن حال الأعراب آنذاك وأنهم «يكذبون بالبعث وينكرون الشرائع، ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله، ولو طلب أحد منهم خصمه أن يخاصمه عند شرع الله لَعدُّوه من أنكر المنكرات، بل من حيث الجملة إنهم يكفرون بالقرآن من أوله وآخره ويكفرون بدين الرسول كله»[٦].

(١) حرر ابن تيمية أن تحديد عامة القبور مضطرب مختلق، فلا يكاد يجزم بتعيينها إلا في قليل منها بعد بحث شديد، وذلك لأن معرفة القبور والبناء عليها ليس من شريعة الإسلام، بل الشريعة تنهى عن البناء عليها واتخاذها مساجد.

انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٧- ٤٤٩)، وجامع المسائل (٤/ ١٦١، ٢٥٤).

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٧)، والحياة الاجتماعية عند حضر نجد للعريني (ص٣٢-٣٤).

(٣) بيَّن العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ تاجًا من أهل الخرج، وتصرف له النذور، وشمسان من أهل العارض، وأما يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء.

انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٣٤، ١٣٥).

(٤) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٨، ٢١٧، ٢٢٥)، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٤/ ١٦)، (٥/ ٥٤، ٧٥، ٨٩، ١٨٨، ٢١٦).

(٥) انظر: الحياة الاجتماعية عند حضر نجد للعريني (ص٤١-٦١).

(٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٣٩)، وانظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٦٣، ١٦٤).

وقال رحمه الله: «من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، فإن كابر معاند لم يقدر علىٰ أن يقول إن عنزة وآل ظفير وأمثالهم كلهم مشاهيرهم والأتباع إنهم مقرون بالبعث، ولا يشكون فيه، ولا يقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر، وأنهم عايفينه[1]، ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه علىٰ شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض...»[2].

وجزم الشيخ -في كتاب آخر- أن كفر هؤلاء البدو أشنع من كفر المرتدين من بني حنيفة، وقرره بعدة أدلة[3].

بل إن إنكار البعث وسبَّ الشرع وتفضيل الطاغوت علىٰ حكم الله ونحوها من المكفرات كل ذلك معلوم ظاهر بيِّن، حتىٰ عند العلماء المعارضين لدعوة الشيخ[4].

وجاء في رسالة سطَّرها بعض تلاميذ الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حكاية الحالة المزرية لنجد آنذاك فقالوا: «ديننا قبل هذا الشيخ المجدد لم يبقَ منه إلا الدعوىٰ والاسم، فوقعنا في الشرك، فقد ذبحنا للشياطين، ودعونا الصالحين، ونأتي الكهان، ولا نفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقرَّ به مشركو العرب، وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنة والبدعة... والشرك بالله يخطب به علىٰ منابرنا... وكذلك تعطيل الصفات...»[5].

(١) المثبت في تاريخ ابن غنام: عانقوه، ولعل الصواب: عايفينه كما في بعض المخطوطات والمصوّرات. انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٨) ومؤلفات الشيخ (٥/ ٢٥).

(٢) تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ (٣/ ٤١-٤٩).

(٤) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٨).

(٥) علماء نجد للبسام (٤/ ٣٦٧، ٣٦٨).

«إن بادية نجد عمومًا كانت تعيش في جاهلية جهلاء، فهي لا تعرف الشعائر الإسلامية من صلاة وزكاة وصيام وحج، وكانت تتحاكم فيما بينها بأعراف وتقاليد لا تمتُّ إلىٰ الأحكام الإسلامية بصلة، ويتضح فيها الجور من جهة، والتساهل في إحقاق الحق من جهة أخرىٰ»[1].

وأيضًا أثبت ابن بشر أن للأعراب سببًا ظاهرًا في التلبيس علىٰ الحاضرة وإضلالهم، فإن الحضر يذهبون إلىٰ الأعراب لأجل التداوي، فزيَّن لهم الأعراب الذبح لغير الله تعالىٰ، وعدم التسمية علىٰ الذبيحة... حتىٰ طال عليهم الأمد واستفحل الشر وتتابع[2].

إضافةً إلىٰ ذلك فإن ذاك الوضع المتردي قد صوَّره الشعراء، أمثال: راشد الخلاوي في هذه الأبيات:

فإن سلت قومي يا منيع فلا تسل ... أحجار وأشجار يعبدون خايبه

عصاة قساة من حديد قلوبهم ... فلو أنهم من صمِّ الأحجار ذايبه

فلا عندهم إلا إبليس عقيدهم ... فالبعض ابن له والبعض شايبه

تخليت عن قومي محا الله دارهم ... واهمي عليهم من نوامي نوايبه

تخليت عنهم يومهم غار دينهم ... ومن غار عنه الدين غارت مشاربه[3]

والمقصود أن الواقع النجدي -قبيل الدعوة الإصلاحية- حافل بالانحرافات الدينية التي عمَّت وطمَّت، كما أثبته المؤرخون والعلماء والشعراء، ومن خلال

(١) الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد للعريني (ص٢٠٦).

(٢) انظر: عنوان المجد (١/ ٣٤).

(٣) ديوان الخلاوي، (ص٢٣٧).

أمثلة بيِّنة ووقائع محددة، فلا مسوِّغ لاتهام ابن غنام أو ابن بشر ونحوهما بالمبالغة والتعميم في حكاية الواقع السيئ لنجد.

والخلاصة أن نجدًا تعيش آنذاك في ضلال وانحراف عن دين الله القويم، كما كانت تكابد التمزق والفرقة، والحروب والفتنة، وهناك تلازم بين اضمحلال الديانة واندراس الدنيا والحضارة، كما بيَّنه ابن القيم بقوله: «فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليه، وأخذها بلادها، انطمست[1] حقائق سالف أخبارها، ودرست معالم دينها وآثارها، وتعذَّر الوقوف علىٰ الصواب الذي كان عليه أولوها وأسلافها؛ لأن زوال الدولة عن الأمة إنما يكون بتتابع الغارات، وخراب الديار... فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها إلىٰ أن تستحيل رسوم ديانتها، وتضمحل أصول شرعها وتتلاشىٰ قواعد دينها...»[2].

وإذا استشكل بعض الباحثين ما في عبارات ابن غنام وابن بشر ونحوها من تكفير لمن ناقض دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإطلاق الردة علىٰ أشخاص وبلدان كما وقع من بعض بلدان نجد في أثناء الصراع القائم بين أتباع الدعوة وخصومها، فيقال: لم ينفرد ابن غنام وابن بشر بذلك، فقد صدرت هذه الأحكام من الشيخ الإمام، حيث قرر تكفير من بان له التوحيد وأنه دين الله ورسوله ثم أبغضه، والأمر بقتال هؤلاء وتكفير هؤلاء بعد قيام الحجة، كما حققه الشيخ الإمام بقوله: «إن الشخص المعيَّن إذا قال ما يوجب الكفر، فإنه لا يحكم بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجة التي يكفر قائلها...»[3].

---

(١) في المطبوعة المحققة: وانطمست، وفي طبعة الجامعة الإسلامية كما هو مثبت، ولعله هو الصواب.

(٢) هداية الحيارى (ت: محمد الحاج) (ص٤٧٧)، وفي ط الجامعة الإسلامية (ص١٣٧).

(٣) الدرر السنية (٨/ ٢٤٤)، وانظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٧٣).

وهؤلاء الخصوم قد نقضوا العهد، ونصروا من حارب التوحيد وعبد الأصنام، وكفَّروا الشيخ الإمام وأتباعه كما حكاه رَحِمَهُ اللَّهُ قائلًا: «ثم يكفروننا، ويستحلون دماءنا وأموالنا، مع أنا نقول لا إله إلا الله، فإذا سئلوا عن ذلك؟ قالوا: من كفَّر مسلمًا فقد كفر.

ثم لم يكفهم ذلك حتىٰ أفتوا لمن عاهدنا بعهد الله ورسوله أن ينقض العهد وله ثواب عظيم، ويفتون من عنده أمانة لنا، أو مال يتيم أنه يجوز له أكل أماتنا، ولو كان مال يتيم، بضاعة عنده أو وديعة، بل يرسلون الرسائل لدهام بن دوَّاس وأمثاله إذا حاربوا التوحيد ونصروا عبادة الأصنام، يقولون: أنت يا فلان قمت مقام الأنبياء...»[١].

والمقصود أن أهالي نجد كغيرهم؛ فليسوا معصومين ولا محفوظين من التلبُّس بتلك الانحرافات، وعلماء هذه الدعوة الإصلاحية متبعون لأصول أهل السنة والجماعة في باب التكفير وسائر أصول الدين وفروعه[٢]، وتكفيرهم مبني علىٰ علم وعدل، وأهلية واجتهاد وديانة، وإن كان ثمة خطأ، فهو في تنزيل تلك الأحكام علىٰ الوقائع والأعيان، وهذا من تحقيق المناط الذي تتفاوت فيه الاجتهادات.

قال ابن القيم: «إن الرجل إذا نسب المسلم إلىٰ النفاق والكفر متأولًا وغضبًا لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يُثاب علىٰ نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يكفِّرون، ويبدِّعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم»[٣].

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٣/ ٥٠).

(٢) وبهذا يعلم أن من التكلُّف ومجانبة الصواب ما سطَّره بعض المعاصرين بأن الردة ههنا مخالفة سياسة الدرعية وتخالفاتها، فالردة حكم شرعي وحق لله ورسوله وليس تعبيرًا سياسيًا. انظر: الأخبار النجدية للفاخري، تحقيق الشبل (ص١٠٨).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٤٢٣).

الفصل الأول

تقرير علماء نجد لمذهب السلف الصالح

مع قلة مؤلفات العقيدة، وشح المسائل المدونة فيما يتعلق بالعقيدة والتوحيد لدىٰ علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية، إلا أنه تتوفر جملة من الرسائل والأجوبة والتقريرات التي تجلي جانبًا مشرقًا، وموقفًا إيجابيًّا تجاه مذهب أهل السنة والجماعة، والتزامًا بعقيدة السلف الصالح.

ولعل ظهور مذهب الحنابلة وانتشاره في نجد[١] سبب رئيس في لزوم الاتباع ومجانبة الابتداع؛ إذ لزوم السنة والدليل أظهر عند الحنابلة من غيرهم، «وأهل البدع في غير الحنبلية أكثر منهم في الحنبلية بوجوه كثيرة؛ لأن نصوص أحمد في تفاصيل السنة ونفي البدعة أكثر من غيره بكثير...»[٢].

ومذهب السلف الصالح أضيف إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل؛ لأنه أظهره وبيَّنه عند ظهور البدع، وإلا فإن مذهب السلف هو مذهب أئمة الحديث وعلماء أهل السنة عمومًا، فليس لأحمد بن حنبل في هذا اختصاص، وإنما زاد علىٰ غيره بإظهار الحق ودفع الباطل مما ليس للآخرين [٣].

---

(١) يمكن القول بأن مذهب الحنابلة كان سائدًا منذ عدة قرون، ويبدو أن رحلة طلاب العلم إلى الشام، وتتلمذهم على حنابلة الشام من أسباب ظهور المذهب الحنبلي في نجد.
انظر: علماء نجد للبسام (١/ ٢٠، ٢١)، ومحمد بن عبد الوهاب للعثيمين (ص١٦)، والحياة الاجتماعية لأحمد البسام (ص١٤٤، ١٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ١٨٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٧٠، ١٨٩)، والدرء (٥/ ٥).

والمقصود أن لعلماء نجد -قبيل الدعوة الإصلاحية- تقريرات وتحريرات لمذهب السلف في بعض المسائل والأصول، وإن خالفوا مذهب السلف في مسائل وأصول أخرىٰ... وسنورد تقريراتهم لمذهب السلف علىٰ النحو الآتي:

١. كتب الشيخ حسن بن علي بن بسَّام[١] (ت ٩٤٥هـ) ثلاثين سؤالًا، وبعثها إلىٰ شيخه معين الدين محمد بن صفي الدين[٢]، في أثناء مروره بلدة أشيقر قاصدًا المدينة النبوية سنة ٩٣٠هـ[٣]، وجاء في مطلع السؤال الأول ما يكشف لزوم ابن بسام لمذهب السلف؛ إذ يقول: «اعتقادي الذي لا عندي فيه شك ولا ريب، أن الله سبحانه وتعالىٰ جلَّ وعلا فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه استواء علىٰ العرش بمعنىٰ العلو والارتفاع حقيقة لا مجازًا»[٤].

لكنَّ المسؤول -عفا الله عنه- ذو اضطراب وتخليط في باب الصفات الإلهية، فهو يميل إلىٰ مذهب التأويل الفاسد؛ إذ أوَّل الاستواء بأن الله استتم الخلق علىٰ العرش، فما خلق فوق العرش شيئًا! وزعم أن هذا ليس تكلفًا![٥] ثم أعقبه بالتعريض بابن بسَّام في لزومه جادة السلف قائلًا: «لكن الفتىٰ تلقن غير هذا من شيوخه وآبائه...»[٦].

(١) ولد في بلدة أشيقر، وأخذ عن علمائها، ورحل إلى الشام، وقرأ على علمائها، وجلس للتدريس، وولي القضاء، وتوفي في بلدة أشيقر. انظر: علماء نجد للبسام (٢/ ٥٣- ٥٥).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن الحسني الإيجي الشافعي، اشتغل بالتفسير، وعاش في «إيج» بشيراز، له كتاب «جامع البيان في تفسير القرآن» مطبوع، توفي سنة ٩٠٥هـ. انظر: الضوء اللامع (٨/ ٣٧)، والأعلام (٦/ ١٩٥).

(٣) أسئلة حسن البسام لمعين الدين محمد بن صفي الدين، ق ١٠، دارة الملك عبد العزيز.

(٤) المرجع السابق ق ١.

(٥) المرجع السابق ق ٣.

(٦) المرجع السابق ق ٣، ٤.

ومع هذا النَفَس السلفي لدىٰ الشيخ ابن بسام، إلا أنه مشوب بتفويض وتوقف، مع تردد وحيرة في إثبات الحرف والصوت في كلام الله تعالىٰ[١]، كما سيأتي بيانه -إن شاء الله- في الفصل القادم.

٢. وتعدُّ رسالة «طُرف الطِّرْف في مسألة الصوت والحرف»[٢] للعلامة أحمد بن يحيىٰ بن عطوة التميمي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٩٤٨هـ) من أشهر مصنفات العقيدة لعلماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية، وموضوع هذه الرسالة: مسألة الحرف والصوت، وهي من المسائل التي وقع فيها نزاع واضطراب بين أهل الإسلام، وقد قرر المؤلف مذهب السلف الصالح في إثبات أن الله يتكلم بحرف وصوت، وحشد الأدلة علىٰ ذلك.

ويكشف السؤال الوارد في مطلع الرسالة عن تمسك أكثر طلاب العلم بالعارض بمذهب السلف الصالح؛ إذ إن أحد خصومهم لمزهم قائلًا: «كل من في العارض حشوية من الحنابلة... وأحمد بن يحيىٰ -يعني ابن عطوة- أكبر الحشوية»[٤]. ولم يستثنِ منهم إلا ثلاثة!

وإطلاق الحشوية علىٰ أهل السنة والجماعة ليس أمرًا جديدًا، فقد أطلقه عمرو بن عبيد المعتزلي علىٰ الصحابي الجليل عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-

(١) المرجع السابق ق ١.

(٢) حققها د. الوليد الفريان.

(٣) هو العلامة الفقيه أحمد بن يحيى بن عطوة، نشأ في الدرعية، ورحل إلى الشام وطلب العلم على المرداوي، وغيره، وتتلمذ عليه خلق كثير، ويعدُّ من مجتهدي المذهب الحنبلي، كما دوَّن مؤلفات، وقد ساق تلميذه ابن منقور في مجموعه جملة من أجوبة شيخه ابن عطوة وفتاويه. انظر: السحب الوابلة (١/ ٢٧٤)، وعلماء نجد للبسام (١/ ٥٤٤).

(٤) طُرف الطِّرْف (ص٣١).

وهي من علامات أهل البدع في الوقيعة والطعن في مذهب السلف، فالحشوية هم حشو الناس من العامة والدهماء الذي ليسوا من المتأهلين[1].

واستهلَّ العلامة أحمد بن عطوة جوابه بالحث علىٰ لزوم السنة، واتباع الآثار المروية، وما عليه الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه من الذبِّ عن السنة ومدافعة البدعة[2].

ومن ذلك تقريرهم أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت علىٰ ما يليق بجلال الله تعالىٰ بلا تكييف ولا تمثيل[3].

ومن إلزامات ابن عطوة وردوده في شأن هذه المسألة، قوله: «فالذي نقل هذه المسألة عن الإمام أحمد، هم الذين نقلوا فقه مذهبه، فإما أن يصدِّقوا في الجميع، وإما أن يكذِّبوا فيه، فيتعطل مذهبه، وتبطل أحكامه»[4].

ثم سرد أقوال العلماء في تقرير أن الله عزَّ وجلَّ يتكلم بحرف وصوت[5]، وساق الأدلة في إثبات ذلك، وعوَّل كثيرًا علىٰ رسالة لمعة الاعتقاد لابن قدامة[6].

كما ساق الأدلة المتعددة في الردِّ علىٰ الأشاعرة في دعواهم بالكلام النفساني[7].

---

(١) انظر: عقيدة السلف للصابوني (ص٣٠٤)، والحموية لابن تيمية (ص٥٣٤)، مجموع الفتاوى (٤/١٤٦)، (١٢/١٧٦).

(٢) انظر: طرف الطرف (ص٣٥، ٣٦).

(٣) انظر: طرف الطرف (ص٣٦، ٣٧).

(٤) طرف الطرف (ص٣٨).

(٥) طرف الطرف (ص٣٨-٤١).

(٦) طرف الطرف (ص٤٢-٤٦).

(٧) طرف الطرف (ص٤٨-٥١).

وبالجملة فهذه الرسالة ذات مزايا عديدة، منها: اعتزاز مؤلفها بالانتساب إلىٰ مذهب السلف الصالح، وتقريره مذهب أهل السنة والجماعة، وإن رمي بحشو ونحوه، فقد ساق بضعة أبيات في هذا الشأن، منها:

وسَمْت بالحشو أهل الحق إذا ملؤوا … وطائب العلم من قول بأطيبه
قوم أتاهم صحيح النقل فاتبعوا … سبيله وحموه عن مكذبه
لو كان الاسم يُشين الفعل في رجل … لشان خير البرايا من ملقِّبه

وكذا درايته بمذهب السلف في هذه المسألة الشائكة، وسعة اطلاعه علىٰ كتب الاعتقاد عند الحنابلة، كما تحوي تحقيقات علمية مهمة، لا سيما وأن هذه الرسالة أُلِّفت في عصور متأخرة، وفي بلاد نجد قبل الدعوة الإصلاحية، حيث غلبة الجهل، واندراس العلم، وظهور البدع والمحدثات.

ومع أهمية هذه الرسالة وسلامة محتواها علىٰ سبيل العموم، إلا أنها لا تخلو من هنات كلامية، كما هو مبيَّن في الفصل القادم بإذن الله.

٣. سطَّر العلامة عثمان بن قائد[٢] (ت ١٠٩٧هـ) رسالة بعنوان: «نجاة الخلف في اعتقاد السلف»[٣]. ووصفها بقوله: «فهذه تعليقة لطيفة تشتمل علىٰ مسائل من

---

(١) طرف الطرف (ص٣٤)، والأبيات ليوسف السرمري الحنبلي (ت ٧٧٦هـ) انظر: السحب الوابلة (٣/ ١٨١).

(٢) ولد عثمان بن أحمد بن قائد في العيينة، وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى الشام ومصر، وأخذ عن علمائها، ومهر في الفقه، ولُقِّب بـ«المحقق»، له عدة مؤلفات، من أشهرها: «هداية الراغب شرح عمدة الطالب»، توفي بالقاهرة. انظر: السحب الوابلة (٢/ ٦٩٧)، وعلماء نجد (٥/ ١٢٩-١٣٨).

(٣) طبع الكتاب في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٠٥هـ ثم طبع بتحقيق أبي اليزيد العجمي سنة ١٤٠٥هـ، ثم حققها: على حسن عبد الحميد وطبعت سنة ١٤٠٧هـ.

أصول الدين، ينتفع بها -إن شاء الله- كثير من المبتدئين والمتوسطين وهي على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل..»[1]، ورتَّبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة[2].

وقد تضمنت الرسالة جملة من مسائل الاعتقاد التي قررها المؤلف وفق عقيدة السلف الصالح، مثل: أن أفعال العباد مخلوقة، وأن مشيئة الله ليست بمعنى محبته ورضاه، وأن الإيمان عقد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان[3].

وبيَّن ابن قائد -في الفصل الأول- إثباته الصفات الإلهية كما هو مذهب السلف الصالح، وساق الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف ودلالة الفطرة على إثبات صفة العلو لله تعالى[4].

وأشار ابن قائد إلى أصل (القول في الصفات كالقول في الذات)، كما ألمح إلى مثال الجنة... والموقف الصحيح من الألفاظ المجملة[5].

وتحدَّث في الفصل الثاني عن إثبات كلام الله تعالى، وأن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت، فليس كلامًا نفسانيًّا كما تزعم الأشاعرة، وسرد أدلة في الردِّ عليهم[6].

ثم ختم الرسالة بقواعد مهمة في الصفات وتوحيد العبادة[7].

---

(١) نجاة الخلف (ص٦٧، ٦٨).
(٢) انظر: نجاة الخلف (ص٦٨).
(٣) انظر: نجاة الخلف (ص٧٣-٧٥).
(٤) انظر: نجاة الخلف (ص٨١-٨٨).
(٥) انظر: نجاة الخلف (ص٨٨-٩١).
(٦) انظر: نجاة الخلف (ص٩٥-١١٥).
(٧) انظر: نجاة الخلف (ص١١٩-١٢٨).

وعندما نقارن بين هذه الرسالة، والرسالة السابقة لابن عطوة، فلا شك أن هذه الرسالة أشمل وأعم، إلا أن النَفَس السلفي في رسالة ابن عطوة أظهر وأقوىٰ، إذ طغىٰ الأثر الكلامي الأشعري علىٰ رسالة ابن قائد في عدة مواطن، حيث أوجب النظر، وصيَّره أول واجب.. واقتصر علىٰ إثبات الصفات السبع في موطن.

كما تلبَّس بتقريرات المتكلمين وعباراتهم، كقوله: إن الله ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض... ولا تحلُّه الحوادث.. وأيضًا: فقد عرَّف الكفر بالجحود، وعوَّلَ علىٰ كلام الطوفي في مسائل تتعلق بالكلام الإلهي، كما سيأتي بيانه في موضعه.

فعثمان بن قائد رَحِمَهُ ٱللَّهُ محقق في مسائل الفقه، و«فقيه متبحر»، وعالم ضليع في مذهب الإمام أحمد[1]، لكنه لم يكن كذلك في مسائل الاعتقاد، كما هو ظاهر في تلك المخالفات الواردة في تلك الرسالة.

وبالنظر في هذه الرسالة ومقارنتها بكتب الحنابلة المتأخرين في الاعتقاد، مثل نهاية المبتدئين في أصول الدين لابن حمدان (ت ٦٩٥هـ)، والعين والأثر في عقائد أهل الأثر، لعبد الباقي البعلي (ت ١٠٧١هـ)، فقد ظهر للباحث أن الكثير من التقريرات في رسالة ابن قائد تتشابه إلىٰ حد كبير مع الكتابين المذكورين.

ومهما يكن ففي هذه الرسالة تأصيل وتقعيد لجملة من مسائل الصفات، مما ليس في رسالة ابن عطوة؛ فقد استفاد ابن قائد جملة من القواعد والأصول من الرسالة التدمرية لابن تيمية[2]، إضافة إلىٰ تحريره المتين لتوحيد العبادة في آخر الرسالة.

---

(١) قالها حسين بن مخلوف -مفتي الديار المصرية- في مقدمة هداية الراغب (ص٥، ٦).

(٢) انظر: التدمرية (ص٤٣، ٤٦، ٤٧، ٥٧، ٦٥، ٦٦، ٧٩، ٨٠، ٢٠٢-٢٠٥).

والجملة فالرسالتان متشابهتان من جهة أن هذه المسائل الاعتقادية من مذهب أحمد، وغياب التمييز بين الأئمة المحققين لمسائل الاعتقاد كابن تيمية وابن القيِّم، وبين من تلبَّسوا بشيء من أدواء المتكلمين كأبي يعلىٰ والطوفي ونحوهما.

وأمَّا كتابه «هداية الراغب»[1] فهو وإن كان في الفقه، لكن يستوقفنا فيه أمران:

أحدهما: تعقيبه علىٰ الزمخشري في «الكشاف»[2]، حيث تعقبه في تفسيره صفة الرحمة، فقال العلامة ابن قائد: «وتفسيرها برقة في القلب تقتضي الإنعام -كما في الكشاف- إنما يليق برحمة المخلوق، ونظير ذلك العلم فإن حقيقته القائمة بالله تعالىٰ ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق، بل تفسير نفس الإرادة التي يردُّ بعضهم الرحمة إليها[3] هي في حقه تعالىٰ مخالفة لإرادة المخلوق...»[4].

والآخر: أنه احتفىٰ بقاعدة نافعة في الصفات، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي، وتارة من حيث قيامها به تعالىٰ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالىٰ، وليست الاعتبارات الثلاثة متماثلة؛ إذ ليس كمثله تعالىٰ شيء، لا في ذاته، ولا في شيء من صفاته، ولا في شيء من أفعاله، وهو السميع البصير، فاحفظ

---

(١) طبع مرارًا بتحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف، ثم طبع سنة ١٤٢٨هـ بتحقيق: د. عبد الله التركي ومعه حاشية فتح مولي المواهب على هداية الراغب لأحمد ابن عوض المرداوي وابنه أحمد.

(٢) الكشاف (١/ ٤٤، ٤٥)، وانظر: كشاف القناع للبهوتي (١/ ٤، ٥).

(٣) كما هو حال الأشاعرة.

(٤) هداية الراغب (ص٨).

هذه القاعدة فإنها مهمة جدًّا، بل هي التي أغنت السلف الصالح عن تأويل[١] آيات الصفات وأحاديثها، وهي العاصمة لهم من أن يفهموا من الكتاب والسنة مستحيلًا علىٰ الله تعالىٰ من تجسيم[٢] أو غيره، ثم بعد إثباتي لهذه القاعدة، رأيتها منصوصة في كلام السيِّد معين الدين الصفوي[٣]، ثم رأيته قد سبقه إليها الإمام ابن القيِّم رحمه الله»[٤].

ولا شك أن في هذا التقرير تحريرًا وتحقيقًا؛ إذ إن العلامة ابن قائد أحكم هذه القاعدة الجليلة ابتداءً، ثم وقف علىٰ من سبقه إليها كمعين الدين الصفوي والإمام ابن القيِّم، وحقًّا فهي قاعدة مهمة جدًّا، فهناك ثلاثة أشياء: أحدها: القدر المشترك والاسم العام من حيث هو دون إضافة أو تقييد.. والثاني: ما يختصُّ به الربُّ من الصفات، والثالث: ما يختص به العبد من الصفات، والاتفاق في القدر المشترك لا يستلزم تمثيلًا، والاسم بعد الإضافة والتخصيص يميِّزه عن غيره[٥].

وهذه القاعدة احتفىٰ بها ابن تيمية فقال: «إنه ينفع في عامة العلوم، فلهذا يتعدد ذكره في كلامنا بحسب الحاجة إليه، فيحتاج أن يفهم في كل موضع يحتاج إليه، وبسبب الغلط فيه ضلَّ طوائف من الناس»[٦].

---

(١) أي التأويلات الفاسدة المذمومة.

(٢) الأليق أن يقال: «من تمثيل» كما جاء النص الشرعي بنفيه وامتناعه، دون لفظ مجمل كالتجسيم.

(٣) سبقت ترجمته في أول الفصل، وقد سمّاه بـ«الصفوي» صاحب معجم المؤلفين (١٠/ ١٥٣).

(٤) هداية الراغب (ص ٨-٩).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ٢٣٣)، (٣/ ١٤٩)، منهاج السنة (٢/ ١١٢)، (٣/ ٣٠١)، والصفدية (١/ ٩٩- ١٠١)، (٢/ ٥، ٦)، وتقريرات ابن تيمية في بيان ما يشكل من الرسالة التدمرية (ص٢٢-٢٥).

(٦) الدرء (١/ ٢١٦).

وإن كانت هذه القاعدة قد قررها ابن القيم، فقد قررها من قبل شيخه ابن تيمية في مواطن متعددة جدًّا[1]، كما قررها أئمة متقدمون كأبي نصر السجزي[2] في كتابه «الإبانة في مسألة القرآن»[3]، ومحمد بن علي الكرجي[4] في كتابه «نكت القرآن الدالة على البيان» في مواطن متفرقة[5].

ولو أمكن العثور على سائر مؤلفات ابن قائد وأجوبته لاتضح المزيد من أقواله في الاعتقاد، فقد جاء في ترجمته أنه لخَّص النونية لابن القيِّم سنة ١٠٨١هـ، كما أن له مؤلفات أخرى وأجوبة متعددة[6].

٣. وأما الشيخ أحمد بن محمد المنقور[7] رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١١٢٥هـ) فهو صاحب

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ٢٣٣)، (٣/ ١٤٩)، منهاج السنة (٢/ ١١٢)، (٣/ ٣٠١)، والصفدية (١/ ٩٩- ١٠١)، (٢/ ٥، ٦)، وتقريرات ابن تيمية في بيان ما يشكل من الرسالة التدمرية (ص٢٢-٢٥).

(٢) هو أبو نصر عبيد الله بن سعد الوائلي السجستاني، اشتغل بالحديث، ورحل إلى الشام والعراق، له مصنفات، توفي بمكة سنة ٤٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤)، شذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(٣) انظر: الدرء (٢/ ٨٩).

(٤) هو أبو أحمد الكرجي، المجاهد، عُرف بالقصاب لكثرة ما قتل من الكفار في مغازيه، له عدة مصنفات، عاش إلى حدود سنة ٣٦٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٨).

(٥) انظر: نكت القرآن (١/ ٩٧، ٢٠٦، ٤١٩، ٤٥٣، ٦١٧- ٦١٩)، (٢/ ٤٦، ٢٢٤)، (٣/ ٥٤٩، ٦٤٦)، (٤/ ٤٧، ١٥٨، ٢١٥).

(٦) انظر: علماء نجد للبسام (٥/ ١٣٢-١٣٥).

(٧) ولد في حوطة سدير سنة ١٠٦٧هـ ورحل إلى الرياض، وطلب العلم عند شيخه عبد الله بن ذهلان، وجمع تقاريره في مجموعة المشهور بـ«مجموع ابن منقور»، كما ألَّف في التاريخ وغيره. توفي في حوطة سدير. انظر: السحب الوابلة (١/ ٢٥٢)، علماء نجد للبسام (١/ ٥١٧- ٥٢٢).

الكتاب الشهير «مجموع ابن منقور»[١]، والذي نقل فتاوىٰ جملة من علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية[٢]، ففي ثنايا هذا المجموع مسائل وأجوبة -حكاها ابن منقور- تكشف مجانبة للبدعة ولزومًا للسنة.

فنقل جوابًا لابن تيمية عن حكم قول المؤذن: «إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي...» عند دخول الخطيب يوم الجمعة... بأن ذلك بدعة، فلم يكن علىٰ عهد رسول الله ﷺ[٣].

كما نقل تقريرات ابن تيمية في بدعية زيارة مساجد مكة غير المسجد الحرام، وكذا بدعية قصد الجبال والبقاع التي حول مكة...، وأيضًا ساق ما حرره ابن تيمية بشأن بدعية الذكر بالاسم المفرد (الله)[٤].

وأشار ابن منقور إلىٰ ما قرره شيخه عبد الله ابن ذهلان[٥] من بدعية إيراد الحديث بين يدي الخطيب بعد الأذان[٦].

---

(١) طبع مرارًا، وله نسخة خطية فريدة كتبت سنة ١١٣٠هـ في جامعة الإمام، انظر: تعليق عبد الرحمن العثيمين في السحب الوابلة (١/ ٢٥٣).

(٢) أشار الشيخ البسام إلى المفارقة بين مجموع ابن منقور، والدرر السنية، ففي الأول يقتصر على مشهور المذهب، دون إيراد الأدلة، وأما في الدرر فالفتاوى وفق الأدلة الشرعية، وإن خالف مشهور المذهب، كما أن في الدرر العناية بالتوحيد تحقيقًا وتأليفًا، وكذا الاهتمام التفسير والحديث مما ليس موجودًا في مجموع ابن منقور. انظر: علماء نجد للبسام (١/ ٨١، ٩١).

(٣) انظر: مجموع ابن منقور (١/ ٨١).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ٧١، ٧٢).

(٥) ولد في العيينة، وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الشام في طلب العلم، وولي قضاء الرياض، وله تلاميذ، ومجموع ابن منقور حافل بفتاوى ابن ذهلان، توفي بالرياض سنة ١٠٩٩هـ. انظر: السحب الوابلة (٢/ ٦٤٩)، وعلماء نجد للبسام (٤/ ٤١٥).

(٦) انظر: مجموع ابن المنقور (١/ ١٣٤).

وإن كان في مجموع ابن منقور مسائل تبرز اتباعًا للسنة، ومجانبة البدعة، فإن فيه مواضع لا تخلو من مخالفة الشرع، ومفارقة السنة والأثر، وكذا أيضًا في كتاب «جامع المناسك الثلاثة الحنبلية[١]» كما هو مبيَّن في الفصل الثالث بإذن الله تعالىٰ.

٤. ألَّف الشيخ منيع بن محمد العوسجي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١١٣٤هـ) رسالة سمَّاها «النقل المختار من كلام الأخيار في رفع الشنار[٣]»، حيث ردَّ بها علىٰ أحد علماء الشافعية بالأحساء[٤] سنة ١١١١هـ[٥]، لما قال: «يلزم في مذهب الشافعية الرضا ويجب بكل مقضي مبغوض أو محبوب». فقال الشيخ منيع: «راجح مذهب الإمام أحمد أنه ما يلزم الرضا بكل مقضي، وعبَّر بذلك أصحابنا فقالوا: ولا يلزم الرضا بمرض، أو فقر، أو عاهة...». ثم إن منيعًا بَلَغه أن الأحسائي قال: إن بعض المتحنبلة يقول: ما يلزم الرضا بكل مقضي، فأغاظه ذلك التهكم، وسطَّر هذه الرسالة «النقل المختار»[٦].

أكَّد الشيخ منيع في هذه الرسالة أن اختلاف العلماء رحمة واسعة، وإجماعهم حجة قاطعة، وأن هذه المسألة التي وقع فيها النزاع من مسائل الاجتهاد التي يسع فيها الخلاف؛ فلا إنكار في مسائل الاجتهاد[٧].

---

(١) المراد بهم: البهوتي والخلوتي وابن بلبان، وقد طبع الكتاب بتحقيق: زهير الشاويش. المكتب الإسلامي ببيروت.

(٢) ولد في بلدة ثادق، وتتلمذ على ابن ذهلان قاضي الرياض، ثم رحل إلى الأحساء لطلب العلم، وأتقن الفقه والعربية، وجلس للتدريس والإفتاء، توفي في بلدة ثادق. انظر: علماء نجد للبسام (٦/ ٤٤٨).

(٣) وهي موجودة في دارة الملك عبد العزيز (مكتبة البسام رقم ٤٨).

(٤) وهو صالح بن محمد بن دوغان، له اشتغال بالفقه والتجويد، كما قاله الشيخ منيع العوسجي في رسالته إلى محمد بن إسماعيل - كما في آخر مخطوطة النقل المختار-.

(٥) انظر: علماء نجد للبسام (٦/ ٤٤٧).

(٦) انظر: النقل المختار: ق ٤، ق ٩.

(٧) انظر: النقل المختار ق٣، ق٤، ق٧.

وقد حكىٰ ابن منيع القول بعدم وجوب الرضا علىٰ المصائب والأسقام، بناء علىٰ أنه قول عند الأصحاب[١]، فليس عن دليل أو ترجيح.

يقول ابن منيع: «وأما أنا فلم أحكِ ذلك عن علم عندي بمرجح، ولا جزم بأي الفريقين المصيب المصحح، بل ظننت أن المقلد القائل باللزوم من هذا القبيل...»[٢].

ولذا لم يورد الأدلة علىٰ مقالته، بل لم يتعقب مقالة المردود عليه، مع أن المحققين -من الحنابلة- قد رجحوا استحباب الرضا بالمصائب، وأنه ليس واجبًا، وساقوا أدلتهم علىٰ ذلك، كابن تيمية في عدة مواطن[٣]، وابن القيِّم[٤]، وابن رجب[٥].

إضافة إلىٰ ذلك فإن مقالة الأحسائي -يلزم الرضا ويجب بكل مقضي مبغوض أو محبوب- محل نظر وتعقيب؛ إذ لا يسوغ ولا يجوز الرضا بالشرك والفجور وسائر المعاصي التي يبغضها الله تعالىٰ، فضلًا عن أن يقال بلزوم ذلك ووجوبه -كما هو مبسوط في موضعه-.

كما أن في الرسالة عبارة تحوي نوعًا من الاستحسان لفناء الصوفية[٦] كما هو مبين في موضعه بإذن الله تعالىٰ.

---

(١) انظر: النقل المختار ق ٥، ق ٦.
(٢) النقل المختار ق ٤.
(٣) انظر: الاستقامة (٢/ ٧٤)، منهاج السنة (٣/ ٢٠٤)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٤).
(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٧).
(٥) انظر: نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ١٥١).
(٦) انظر: النقل المختار ق ٤.

ومهما يكن ففي الرسالة مسائل مهمة ووقفات رائعة، منها: أن المؤلف ألمح -في مطلع الرسالة- إلىٰ عدم الملازمة بين الصبر والرضا، فقد يصبر العبد علىٰ المصيبة لكنه لا يرضىٰ بها[1].

ومما يحمد للمؤلف اعتزازه بالانتساب إلىٰ مذهب السلف الصالح، وسلوكه طريقة السلف في باب الصفات: الإمرار كما جاءت...[2].

وكذا تقريره فعل الأسباب، ومنازعة الأقدار، كما في عبارة عبد القادر الجيلاني: نازعت أقدار الحق بالحق للحق...[3]، وحقق ذلك المؤلف عملًا، إذ نازع قَدَر اعتراض الخصم بقدر الجواب والردِّ عليه[4].

٥. وللشيخ عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف[5] رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١١٣٥هـ) تقريرات سلفية، وتحريرات سنِّية كما في جوابه عن سؤال بعثه الشيخ عبد الله بن سحيم[6]، وهذا نصُّ السؤال: «فالمرجو من إحسانكم تكتب لنا جوابًا عن أحوال هؤلاء الفقراء[7] المنكرة، من أخذهم النار وضربهم أنفسهم بالحديد، ونطوطهم من السطوح، ولعبهم بذكر الله حتىٰ إنهم يفعلون كالنبح، والمسؤول من جنابك

(١) انظر: النقل المختار ق ١، وانظر: بيان الفرق بين الصبر والرضا في باب المصائب في نور الاقتباس «رسائل ابن رجب» (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: النقل المختار ق ٣، ق٧.

(٣) انظر: النقل المختار ق ٧، ق ٨.

(٤) انظر: النقل المختار ق ٧، ق ٨.

(٥) هو والد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولد الشيخ عبد الوهاب في العيينة، وأخذ العلم عن والده العلامة سليمان بن علي، وجلس للتدريس، وولي قضاء العيينة وحريملاء، وله أجوبة فقهيه، توفي بحريملاء. انظر: علماء نجد للبسام (٥/ ٤٢)، والسحب الوابلة (٢/ ٦٧٥).

(٦) انظر ترجمته في: علماء نجد للبسام (٤/ ٣٨).

(٧) يعني المتصوفة.

أن تطيل لي الكلام في ذلك والسلام»[١].

وقد أجاب الشيخ عبد الوهاب بجواب متين، ولولا ضيق الورقة لأطال في الجواب -كما قاله في آخر الخطاب[٢]- واستهلَّ الشيخ عبد الوهاب جوابه فجزم بأن هؤلاء شياطين فسقة، وأن أفعالهم منكرة، بل بعض أفعالهم كفر[٣].

ثم قال: «ولا ريب عند من له أدنىٰ عقل ومسكة في الدين أنهم منافقون، أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من أفعالهم»[٤].

ثم قرر المؤلف أن دخولهم النار، ونطوطهم من السطوح، وضربهم أنفسهم بالحديد.. كلٌّ ذلك له جذور مجوسية وصابئية.. وأنها من الشعوذة والأحوال الشيطانية.

ثم قال: «وأما ضربهم بالسلاح، ولا يحسون بذلك، فاعلم يا أخي أنهم ليسوا بأفضل من الأنبياء، فإن أنبياء بني إسرائيل قتلهم فسَّاقهم، منهم: زكريا عليه السلام نُشِر بالمنشار، وزهقت نفسه، ويحيىٰ بن زكريا قُتِل وقُطِع رأسه، والنبي ﷺ شجَّ رأسه، وكسرت رباعيته، ولا يخفاكم من قتل من أصحابه، أفترون هذا الفاسق الزنيم الذي يسمونه الذيخ عنيد وأضرابه من الفاسقين أفضل من الأنبياء، ومن أصحاب رسول الله ﷺ؟ وهل يشك عاقل يعز عليه دينه في أن هذه أمور شيطانية...؟»[٥].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٢٣).
(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٢٥).
(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٢٣).
(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٢٣).
(٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٢٤).

ويظهر أن هذه الأحوال البدعية والخوارق الشيطانية في بلدة حرمة[1]، لا سيما وأن السائل -ابن سحيم- قد ولي قضاء المجمعة، ولذا أوصاه الشيخ عبد الوهاب بعدم قبول شهادة من تلبّس بهذه البدعة.. فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلموا أن أهل حرمة وأضرابهم الذين اتبعوا هذا الشيطان أتباع كل ناعق، وأن من حضرهم منهم، أو جادل عنهم، أو قال لهم أشياء مستحسنة فلا يصلىٰ خلفه، ولا تقبل شهادته.

وأما نسبة هؤلاء الشياطين الفاسقين ذلك إلىٰ الشيخ عبد القادر الجيلاني، فحاشاه من ذلك، وهو من كبار العلماء ومن أولياء الله، وكتبه وتصانيفه عندنا لم يعرف أنه أمر بذلك... فالله في إنكار ذلك يا إخواني والتحذير منهم وإنكار هذه المنكرات باليد واللسان»[2].

ولقد حرص الشيخ عبد الوهاب -في هذه الرسالة- علىٰ إظهار السنة، وهتك أستار هؤلاء الشياطين، وكشف حقيقتهم، ولم يتردد في الحكم عليهم حيث وصفهم بالنفاق، كما يلحظ سعة اطلاعه، وحسن درايته، فالأحوال الشيطانية التي ذكرها الشيخ عبد الوهاب هي نظير الأحوال التي ذكرها ابن تيمية عن هؤلاء الشياطين[3]، وأن العبرة بالاتباع ولزوم الاستقامة، وليس بمجرد خوارق العادات فحسب...، كما أن عزو هذه الأحوال الشيطانية إلىٰ جذور مجوسية وصابئية هو مستفاد -في نظري- مما أورده ابن القيِّم عن الصابئة المجوس[4]... وكذا اطلاعه علىٰ كتب عبد القادر الجيلاني وذبُّه عنه، فهذا يتفق مع تقريرات المحققين الذين

---

(١) بلدة حرمة بالقرب من المجمعة بإقليم سدير.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٢٤، ٥٢٥) باختصار.

(٣) انظر: جامع الرسائل (١/ ١٩٢ - ١٩٦)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٠١-٣٠٦).

(٤) قارن ذلك بما في إغاثة اللهفان (٢/ ٣١٦- ٣١٩).

أثنوا علىٰ عبد القادر كالحافظ ابن رجب[١] وغيره.

والرسالة تكشف عن الحالة القاتمة التي عمَّت بلاد نجد، فأهل حرمة قد استحوذت عليهم تلك الأحوال الشيطانية، وهذا يؤكد ما سبق تقريره في تمهيد هذا البحث، من غلبة الجهل وظهور الشرك في نجد، كما يحمد للشيخ عبد الوهاب حثه وتأكيده الاحتساب علىٰ هؤلاء الدجالين، وتغيير المنكرات باليد واللسان.

وقد أشار الشيخ عبد الوهاب إلىٰ هذا الدجال الذي أضلَّ أهل حرمة، ويسمونه «الذيخ عبيد»، وحذَّر منه وغلَّظ.. والمصادر -التي بين أيدينا- لا تذكر شيئًا عن هذا «الفاسق الزنيم»، ومع كثرة أسماء الطواغيت الذين ذكرهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلا أنه لم يذكر شيئًا عن ذلك الذيخ، والله أعلم.

ورحم الله ابن تيمية القائل: «إنما ظهرت هذه الأحوال الشيطانية التي أسبابها الكفر والفسوق والعصيان بحسب ظهور أسبابها، فحيث قوي الإيمان والتوحيد وظهرت آثار النبوة والرسالة، ضعفت هذه الأحوال الشيطانية، وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان، قويت هذه الأحوال الشيطانية...»[٢].

٦. ويمكن أن يُضاف إلىٰ تقريرات علماء نجد للمذهب السلفي، أن أحد طلاب العلم النجديين طلب من شيخه العلامة السفاريني أن يؤلف منظومة في الاعتقاد، وعقب ذلك ألحَّ المذكور وأصحابه علىٰ السفاريني بأن يشرحها، وقد تحقق ذلك كله، فنظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الدرة في عقد الفرقة المرضية» ثم شرحها في الكتاب الشهير: «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية».

---

(١) يقول ابن رجب: «وللشيخ عبد القادر كلام حسن في التوحيد والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة» ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٦).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣٠٤).

كما جاء مبيَّنًا في خطبة السفاريني قائلًا: «قد كان في سنة ثلاثة وسبعين بعد المائة وألف، طلب مني بعض أصحابنا النجديين أن أنظم أمهات مسائل اعتقادات أهل الأثر ليسهل على المبتدئين حفظه، وذلك بعد قراءاتهم علينا من مختصرات العقائد جملة، كلمعة الإمام الموفق[1]، ومختصر نهاية المبتدئين لشيخ مشايخنا البدر البلباني[2]، والعين والأثر للشيخ عبد الباقي والد أبي المواهب[3]، فابتهج قلبه بما أوقفناه عليه من الفوائد، فتعللت باشتغال البال، فألحَّ بالسؤال والالتماس، فنظمت أمهات مسائل عقائد السلف، وسميتها: «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية»، وعدتها مائتا بيت وبضعة عشر، ثم بعد تمام نظمها، ألح المذكور وإخوانه على تصنيف شرح لهذا العقد، وقالوا: صاحب البيت بالذي فيه أدرى، فأجبتهم إنجاحًا لمطلوبهم، وطلبًا لشفاء صدروهم وصلاح قلوبهم، وسميته بـ«لوامع الأنوار البهية»...»[4].

ولم يتبيَّن -حسب اطلاعي- اسم هذا التلميذ النجدي، مع أن شيخه السفاريني قد احتفى به، وأنه قرأ عليه عدة متون في الاعتقاد، ثم إن التلميذ النجدي ألحَّ على شيخه أن يدوِّن منظومة في الاعتقاد، فاستجاب السفاريني، ثم أصرَّ النجدي على أن يشرحها، فتمَّ له ذلك.

فالسفاريني انتفع به خلق كثير من النجديين والشاميين -على حدِّ عبارة ابن حميد[5]- لكن لم أعثر على اسم هذا التلميذ ولا سائر النجديين.

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة، طبعت وشرحت مرارًا.

(٢) مختصر نهاية المبتدئين في أصول الدين للبلباني (ت ١٠٨٣هـ) طبع بتحقيق: فخر الدين المحسي.

(٣) العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي المواهبي (ت ١٠٧١هـ) طبع بتحقيق: عصام روَّاس قلعجي.

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢، ٣) باختصار.

(٥) انظر: السحب الوابلة (٢/ ٨٤٣).

كما أن السفاريني له رسالة بعنوان «الأجوبة النُجدية عن الأسئلة النجدية»[١].

وقد عُني علماء نجد بكتاب «لوامع الأنوار البهية» اختصارًا، وتعليقًا..[٢]، بل يقال إن «كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ قد أُرسِل إلىٰ الشيخ السفاريني فأمرَّه وأقرَّه[٣].

٧. هناك بعض المعلومات اليسيرة، والنتف القليلة التي تندرج في تقريرات علماء نجد لمذهب السلف الصالح منها: أن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان أبا بطين (ت ١١٢١هـ)[٤]، ألَّف «المجموع فيما هو كثير الوقوع»[٥]، وقرر فيه منع شدِّ الرحال لزيارة القبور[٦]، ومن شيوخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بالأحساء: الشيخ عبد الله بن محمد بن فيرز (ت ١١٧٥هـ)[٧]، «وقد وجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيِّم ما سرَّ به، وأثنىٰ علىٰ عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد[٨]»، كما أن الشيخ عبد العزيز

(١) انظر: النعت الأكمل للغزي (ص٣٠٣).

(٢) اختصره محمد بن علي بن سلوم بكتاب مطبوع، وكذا عثمان المزيد (انظر: علماء نجد للبسام ٥/ ١٥٩)، وتعقَّب السفاريني في مواطن الشيخُ عبد الله أبو بطين، والشيخُ سليمان بن سمحان، كما علَّق على الدرة المضية غير واحد من أهل العلم مثل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

(٣) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاَّق (ص١٩).

(٤) ولد في روضة سدير، وأخذ عن علماء سدير، وتوفي في بلده عام ١١٢١هـ.
انظر: علماء نجد للبسام (٣/ ٩٣).

(٥) مطبوع، ويرى الشيخ البسام أن قَدْر الكتاب أقل من شهرته.
انظر: علماء نجد (الحاشية) (٣/ ٩٣، ٩٤)، والحياة والعلمية لأحمد البسام (ص١٩٢، ٢٦٢).

(٦) انظر: الحياة العلمية لأحمد البسام (ص٢٦٢).

(٧) ولد سنة ١١٠٥هـ، وقرأ على مشايخ نجد ومهر في الفقه، له عدة أجوبة، وتتلمذ عليه خلق، ورحل إلى الأحساء، وتوفي بها. انظر: علماء نجد (٤/ ٤٨٧)، والسحب الوابلة (٢/ ٦٥٢).

(٨) المقامات للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ص٧) بتصرف يسير.

بن عدوان[1] (ت ١١٧٩هـ) قد نظم العقيدة الواسطية لابن تيمية. قال الشيخ البسام: «وهو نظم حسن، نهج فيه منهج السلف في الصفات[2]». وكتب فتيا لابن تيمية بشأن القدر وأفعال العباد[3]، عدا مؤلفاته الخطية»[4].

وأشار الشيخ عبد المحسن الشارخي[5] (ت ١١٨٧هـ) باختزال شديد إلىٰ أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم[6].

وقد يتساءل البعض عن سبب عداوة بعض هؤلاء لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع انتسابهم لمذهب السلف الصالح، فابن عدوان مثلًا يؤلف نظم الواسطية، ويصنف كتابًا في مناهضة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذا الشارخي له موافقات لمذهب السلف مع تأليفه رسالة ضد الدعوة الإصلاحية... ولهما نظائر.

---

(١) ولد ابن عدوان في قرية أثيثية، وقرأ في عدة علوم، وله نظم، وبعض الرسائل، وهو من المجاهرين بالعداوة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، توفي بعد رجوعه من المدينة عند واد يقال له النظيم. انظر: السحب الوابلة (٢/ ٥٤٠)، وعلماء نجد (٣/ ٤٠٦).

(٢) علماء نجد (٣/ ٤٠٨).

(٣) الحياة العلمية لأحمد البسام (ص٢٦٣)، وهذه الفتيا ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٣٧).

(٤) مثل: «رسالة في الوقف في الردِّ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (وهي مخطوطة لدى الشيخ البسام) ومنها «رسالة في الأجوبة عن أسئلة الشيخ محمد بن عبد الله الحوقاني العُماني»، حيث بعثها السائل إلى الشيخ محمد بن فيروز، فأحال الجواب إلى تلميذه عبد العزيز بن عدوان (وهي مخطوطة لدى مكتبة العنقري بدارة الملك عبد العزيز ٩١/ ٢١، ١٩ ق) ولديّ صورة منها، وغالبها مسائل فقهية، وقد أجاب عن بعضها، واستغرق «حكم شرب الدخان» غالب الرسالة. انظر: علماء نجد للبسام (٣/ ٤٠٨)، والسحب الوابلة (٢/ ٥٤٣).

(٥) ولد في قرية الفرعة بالوشم، وتتلمذ على علماء أشيقر، ثم انتقل إلى الأحساء، وله تأليف في الطعن بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتوفي بالطاعون في بلد الزبير. انظر: السحب الوابلة (٢/ ٦٦٨)، وعلماء نجد (٥/ ٢٨).

(٦) انظر: الحياة العلمية لأحمد البسام (ص٢٦٣).

وقد يجاب عن ذلك أن أولئك القوم قد وافقوا مذهب السلف في مسائل، وخالفوا في مسائل أخرىٰ، فربما وافقوا الشيخ في مسائل التوحيد والشرك، وخالفوا في التكفير والقتال -كما سبق الإشارة إليه في التمهيد-، إضافة إلىٰ أن موافقتهم لمذهب السلف قد تكون علىٰ سبيل الإجمال، فلم يكن عندهم من التفصيل والتحقيق لمسائل الاعتقاد كما هو حال أئمة الدعوة، وقد يظنون أنهم موافقون لمذهب السلف، وليس الأمر كذلك، فيتهمون الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمخالفته لابن تيمية وابن القيِّم -مثلًا- وعند التحرير يكون الحال علىٰ النقيض من ذلك[١].

وقد تكون المخالفة عن حسد، أو حبِّ رياسة ونحوها من حظوظ النفس وشهواتها.

(١) انظر: شبهة مخالفة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لابن تيمية وابن القيم في كتاب دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض (ص٢٦٧-٢٨٢).

الفصل الثاني

علم الكلام عند علماء نجد

أظهر الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهب السلف الصالح، ونصرة السنة، فاستبان مذهب السلف بدلائله النقلية والعقلية، ومسائله العلمية والعملية، «وجميع المتقدمين من أصحابه علىٰ مثل منهاجه، وإن كان بعض المتأخرين منهم من دخل في نوع من البدعة التي أنكرها أحمد، ولكن الرعيل الأول من أصحابه كلهم وجميع أئمة الحديث قولهم قوله[١]».

فالحنابلة الأوائل علىٰ طريقة الإمام أحمد كالخلال وأبي داود ونحوهما، وكذا من سلك طريقة المحدِّثين من أصحابه كالآجري وابن بطة وغيرهما، بخلاف المتأخرين من الحنابلة كالتميميين وأشباههم.

يقول شيخ الإسلام: «وأما التميميون كأبي الحسن وابنه أبي الفضل[٢]، وابنه رزق الله[٣]، فهم أبعد عن الإثبات، وأقرب إلىٰ موافقة غيرهم، وألين لهم، ولهذا تتبعهم الصوفية، ويميل إليهم فضلاء الأشعرية كالباقلاني والبيهقي...»[٤].

وقال في موضع آخر: «إن الإمام أحمد في أمره باتِّباع السنة، ومعرفته بها ولزومه لها، ونهيه عن البدع، وذمِّه لها ولأهلها بالحال التي لا تخفىٰ، ثم إن كثيرًا

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٢١٣).

(٢) المثبت في المجموع: وابن أبي الفضل وابن رزق الله، ولعل الصواب ما أُثبت، وكما جاء في الدرء (٣/ ٣٨٠).

(٣) المثبت في المجموع: وابن أبي الفضل وابن رزق الله، ولعل الصواب ما أُثبت، وكما جاء في الدرء (٣/ ٣٨٠).

(٤) مجمع الفتاوى (٦/ ٥٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٦٦-١٦٨).

مما نصَّ هو علىٰ أنه من البدع، صار بعض أتباعه يعتقد أن ذلك من السنة، وأن الذي يُذم من خالف ذلك.

وكذلك ما أثبته أحمد من الصفات التي جاءت بها الآثار، واتفق عليها السلف، كالصفات الفعلية من الاستواء والنزول والمجيء والتكلم إذا شاء وغير ذلك، فينكرون ذلك بزعم أن الحوادث لا تحل به، ويجعلون ذلك بدعة، ويحكمون علىٰ أصحابه بما حكم به أحمد في أهل البدع، وهم من أهل البدعة الذين ذمهم أحمد، لا أولئك، ونظائر هذا كثيرة.

بل قد يُحكىٰ عن واحد من أئمتهم إجماع المسلمين علىٰ أن الحوادث لا تحلُّ بذاته، لينفي بذلك ما نصَّ أحمد وسائر الأئمة عليه من أنه يتكلم إذا شاء، ومن هذه الأفعال المتعلقة بمشيئته»[1].

وقد حذر السجزي من الغلط علىٰ الإمام أحمد والتقوُّل عليه، وعقد فصلًا مستقلًّا بعنوان: «الحذر من الركون إلىٰ كل أحد، والأخذ من كل كتاب؛ لأن التلبيس قد كثر، والكذب علىٰ المذاهب قد انتشر»[2].

ومما قاله في هذا الفصل: «إن أحوال أهل الزمان قد اضطربت، والمعتمد فيهم قد عزَّ، والكذب علىٰ المذاهب قد انتشر، فالواجب علىٰ كل مسلم يحب الخلاص ألا يركن إلىٰ كل أحد، ولا يعتمد علىٰ كل كتاب، ولا يسلم عنانه إلىٰ من أظهر له الموافقة.

فلقد وقفت علىٰ رسالة عملها رجل من أهل أصبهان يعرف بابن اللبان[3]،

---

(١) الاستقامة (١/ ١٥، ١٦) باختصار، وانظر: الدرء (٨/ ٣، ٤).

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص٢٣١).

(٣) من علماء الشافعية، وتتلمذ على الباقلاني، توفي بأصبهان سنة ٤٤٦هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٠٧).

وسماها «شرح مقالة الإمام الأوحد أبي عبد الله أحمد بن حنبل»، وذكر فيها مذهب الأشعري المخالف لأحمد، وأعطىٰ نسخًا إلىٰ جماعة يطوفون بها في البلاد..»[١].

وأبدىٰ أبو العباس بن الحسين العراقي (ت ٥٨٨هـ) شكايته من تبدُّل أحوال قوم ينتسبون إلىٰ مذهب أحمد، وهم يناقضون معتقده، ويخالفون نهجه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما الشكوىٰ إلىٰ الله من قوم إلىٰ مذهب أحمد ينتمون، وبالسنة يتوسمون، ويدَّعون التمسك بقوله وفعله، وهم مع ذلك يخالفون نصوصه، ويطرحون عمومه وخصوصه، فكأنهم يدعون إليه ويبعدون منه، وجميع ما يرد عليهم من السنة الثابتة ينفرون عنها، ويسلِّطون علىٰ ما جاء في الصفات من الأخبار والآيات ما سلَّطه المتكلمون من التأويل، ويسلكون فيه مسالك أهل الإلحاد والتعطيل..»[٢].

والمقصود أن جملة من متأخري الحنابلة قد غشيتهم طرائق المتكلمين في الاعتقاد، وظهر موجب ذلك في مصنفاتهم وتقريراتهم، مع تفاوت بينهم في هذا الأثر والتأثير؛ إذ ليسوا سواءً، فإذا كان القاضي أبو يعلىٰ ليس كابن عقيل مثلًا، فكذا الإمام ابن قدامة ليس كابن حمدان، وهكذا، وعلماء نجد -قبل الدعوة الإصلاحية- هم امتداد لأولئك العلماء، فلا غرو أن يلحقهم أثر وموجب أسلافهم المتأخرين كابن حمدان والبلباني وعبد الباقي المواهبي ونحوهم، كما أنهم يتفاضلون في هذا الشأن، فالأثر الكلامي علىٰ ابن قائد -مثلًا- أظهر وأشدُّ من أثره علىٰ ابن عطوة.

وسنورد هذه التقريرات الكلامية عند علماء نجد مع تعليق عليها كما هو علىٰ النحو الآتي:

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص٢٣١) باختصار.

(٢) فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف لأبي العلاء الهمذاني (ص٢٩).

١. يلحظ أن الشيخ حسن البسام (ت ٩٤٥هـ) -في أسئلته إلىٰ معين الدين محمد الإيجي - قد أثبت صفة الاستواء لله تعالىٰ، لكنه أعقبه بقول «لا مجاز ولا معنىٰ»[1]، فنفي المعنىٰ يوهم مذهب التجهيل والتفويض، اللهم إن كان مقصوده نفي المعاني الفاسدة كتأويلات المعطلة ونحوها، لا سيما وأنه قرر معنىٰ الاستواء وأنه العلو والارتفاع، لكنه تردد في هذا الإثبات، وكذا تردد في إثبات الحرف والصوت فقال: «ثم قدح في خاطري بعد ذلك ريب أن يكون بخلاف ذلك مما رأيت من كلام العلماء في ذلك، واختلافهم فيه، وقدح لي أيضًا في الحرف والصوت مثل ذلك، لا أدري أمخلوقان أم منزلان»[2]، فابن بسام كان مثبتًا للصفات الإلهية، لكن عَرَض له تردد واضطراب وتوقف بشأن صفة الاستواء والحرف والصوت، ومن المعلوم أن التوقف والشك من طرائق المتكلمين، خاصة وأن المسؤول ليس علىٰ جادة أهل السنة المحضة.

٢. وأما رسالة «طُرَف الطَّرف في مسألة الصوت والحرف» لابن عطوة (٩٤٨هـ)، ففي مطلع السؤال أن أقوامًا من طلاب العلم في نجد يجاهرون بتمشعرهم، ويشهدون أن القرآن لا حرف ولا صوت، وأن من يقول هو حرف وصوت كافر[3]!

وفي ذلك ما يكشف عن واقع الأثر الكلامي الأشعري علىٰ طلاب علم في نجد.

وإن كانت هذه الرسالة أحسن حالًا، وأظهر في لزوم السنة المحضة من رسالة «نجاة الخلف في اعتقاد السلف» -كما سبق الإشارة إليه في الفصل الأول- إلا أن

(١) أسئلة حسن البسام لمعين الدين الإيجي ق ١.
(٢) المرجع السابق، ق ١.
(٣) انظر: طُرَف الطَّرف (ص٣١).

في الرسالة جملة من الهنات الكلامية، ومن ذلك: عدم تمييزه بين كتب الحنابلة في الاعتقاد، فيحيل علىٰ كتب أهل السنة المحضة مثل: «شرح الأصبهانية» لابن تيمية، و«الصواعق المرسلة» لابن القيِّم، وكذا كتب الحنابلة ذات المآخذ الكلامية، مثل: «المعتمد» للقاضي أبي يعلىٰ، و«الإيضاح» لابن الزاغوني، و«نهاية المبتدئين» لابن حمدان[1].

ونقل ابن عطوة أن الكلام يطلق علىٰ الحروف المسموعة حقيقةً، ويطلق علىٰ مدلولها ومعانيها مجازًا[2]، والتحقيق أن الكلام يطلق علىٰ مجموع اللفظ والمعنىٰ، والحرف والمعنىٰ حقيقة بشأن الله تعالىٰ، فالصفات الإلهية حقيقة في الربِّ عز وجل، وكذا هي حقيقة في العبد[3].

وكذا حكىٰ أن الكلام عند الأشاعرة مشترك بين الحروف المسموعة والمعنىٰ النفسي[4]، وإنما هو مذهب متأخري الأشاعرة، وأما الكلام عند الأشاعرة فهو اسم للمعنىٰ فقط[5].

وجاء في رسالة ابن عطوة أن الإمام أحمد وأصحابه والجمهور يقولون: إن الكلام هو الأصوات والحروف، والمعنىٰ النفسي قد يسمَّىٰ كلامًا أو يسمىٰ مجازًا[6].

---

(١) انظر: طُرَف الطَّرف (ص٣٦).
(٢) انظر: طُرَف الطَّرف (ص٤٠).
(٣) انظر: الدرء (٥/ ١٨٤)، ومجموع الفتاوى (٥/ ١٩٦)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيِّم (٢/ ٣٧)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٩٠).
(٤) انظر: طُرَف الطَّرف (ص٤٠).
(٥) انظر: التسعينية (٢/ ٦٧٥)، والدرء (١٠/ ٢٢٢)، والإيمان (ص١٦٢).
(٦) انظر: طُرَف الطَّرف (ص٤٨).

والتحقيق أن المعنىٰ النفسي يسمىٰ كلامًا بالقرينة، وأما عند الإطلاق فالكلام يتناول مجموع اللفظ والمعنىٰ، فلا يطلق علىٰ أحدهما إلا بقرينة[1]، وأما دعوىٰ أن الإمام أحمد قد سمَّىٰ المعنىٰ النفسي كلامًا من باب المجاز، فهذه دعوىٰ تحتاج إلىٰ بينة، لا سيما وأن معنىٰ المجاز عند الإمام أحمد هو ما يجوز في اللغة، ولم يُرد أحمد بالمجاز قسيم الحقيقة، ولم يعنِ بالمجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له -كما حرره ابن تيمية[2]-.

وأطال ابن عطوة في نقل كلام الطوفي، وفيه أن اللفظ إذا كان دائرًا بين الحقيقة والمجاز، فعند الإطلاق لا ينصرف إلىٰ أحدهما، بل يتوقف علىٰ القرينة[3].

والتحقيق أن الحقيقة هي اللفظ الذي يدلُّ بإطلاقه بلا قرينة، والمجاز إنما يدل بقرينة[4]، «وصرف نصوص الصفات عن ظاهرها، وحقيقتها المفهومة منها، إلىٰ باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافي الحقيقة، لا بد فيه من أربعة أشياء..»[5]. والمقصود أن الأصل في الكلام هو الحقيقة، فإذا أطلق الكلام فيراد به الحقيقة.

والمقصود أن رسالة «طَرف الطُرف» في أصلها موافقة لمذهب السلف الصالح، لكن قد فات علىٰ مؤلفها رَحِمَهُ اللَّهُ التمييز بين كتب الأصحاب التي علىٰ مذهب أهل السنة المحضة، وما ليس كذلك من آراء الحنابلة التي تلبَّست بشيء من الكلام لأبي يعلىٰ وابن الجوزي وابن الزاغوني والطوفي ونحوهم، فهو يورد بعض التقريرات الكلامية في مقام الاحتجاج -كما سبق آنفًا-.

---

(١) انظر: الدرء (٢/ ٣٢٩)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٣٥، ٧٦).
(٢) انظر: كتاب الإيمان (ص٨٤، ٨٥).
(٣) انظر: طُرَف الطَّرف (ص٤٩).
(٤) انظر: كتاب الإيمان لابن تيمية (ص١١٢).
(٥) الرسالة المدنية لابن تيمية بتصرف يسير (ص٣٩).

٣. وأما رسالة «نجاة الخلف في اعتقاد السلف» لعثمان بن قائد (ت ١٠٩٧هـ) فهي حافلة بالمآخذ الكلامية[١]، منها: أنه استهلَّ رسالته بإيجاب النظر، وجعله أول الواجبات، فقال: «تجب معرفة الله تعالىٰ شرعًا بالنظر.. وهو أول واجب له تعالىٰ»[٢].

والحق أن أول واجب علىٰ المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا المعرفة.

وابن قائد في إيجابه النظر قد سلك طريق الحنابلة المتأخرين والخائضين في الكلام؛ إذ بالنظر إلىٰ كتب القوم، يلحظ اشتراكهم في إيجاب النظر، فقد أوجبه أبو يعلىٰ في كتابه «المعتمد في أصول الدين»[٣].

وكذا تلميذه أبو الفرج المقدسي في «التبصرة في أصول الدين»[٤]، ثم ابن الزاغوني في كتابه «الإيضاح في أصول الدين»[٥]، ثم ابن حمدان في «نهاية المبتدئين في أصول الدين»[٦]، وأخيرًا عبد الباقي المواهبي في «العين والأثر في عقائد أهل الأثر»[٧].

لكنَّ الحنابلة الذين لهم دراية بالحديث، واشتغال بالآثار والسنن بعيدون عن هذه المزالق الكلامية، كالآجري في «الشريعة»، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ»،

---

(١) حقق هذه الرسالة د. أبو اليزيد العجمي، لكنه تحقيق ضعيف، فلم يذكر أي ملحوظة أو تعقيب على الكتاب، ثم حققها علي حسن عبد الحميد، وعلّق على مواطن يسيرة، ولم يعلّق أو يتعقب الكثير من الملحوظات الواردة على الكتاب.

(٢) نجاة الخلف (ص٧١، ٧٢).

(٣) انظر: مختصر المعتمد في أصول الدين (ص٢١).

(٤) انظر: الدرء (٨/ ٤، ٥).

(٥) انظر: الإيضاح (ص١٧٩).

(٦) انظر: نهاية المبتدئين (ص٢٢)، وانظر: مختصر نهاية المبتدئين للبلباني (ص٧٠).

(٧) انظر: العين والأثر (ص٢٩).

وعبد الغني المقدسي في «الاقتصاد في الاعتقاد»، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ونحوهم.

وقد علَّق ابن تيمية علىٰ مخالفة أصحاب الأئمة الأربعة لأئمتهم في هذه المسألة فقال: «فهذا الكلام[١] وأمثاله يقوله كثير من أصحاب الأئمة الأربعة، ومعلوم أن الأئمة الأربعة ما قالوا لا هذا القول[٢]، ولا هذا القول[٣]، وإنما قال ذلك من أتباعهم من سلك السبل المتقدمة[٤].

والنبي ﷺ لم يدعُ أحدًا من الخلق إلىٰ النظر ابتداءً، ولا إلىٰ مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه.

وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون علىٰ ما عُلِم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يُدعىٰ إلىٰ الشهادتين.

والقرآن العزيز ليس فيه أن النظر أول الواجبات، ولا فيه إيجاب النظر علىٰ كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس، وهذا موافق لقول من يقول: إنه واجب علىٰ من لم يحصل له الإيمان إلا به، بل هو واجب علىٰ كل من لا يؤدي واجبًا إلا به. وهذا أصح الأقوال»[٥].

-ومن التقريرات الكلامية -في رسالة نجاة الخلف- أن مؤلفها اقتصر -في مطلع الرسالة- علىٰ إثبات الصفات السبع[٦]، وبعبارة تحاكي تمامًا ما

(١) يعني قولهم بأن النظر أول واجب على المكلف، أو المعرفة أول واجب.

(٢) وهو القول بوجوب المعرفة، وأنها أول واجب.

(٣) وهو القول بوجوب النظر، وأنه أول الواجبات.

(٤) يعني سبل المتكلمين.

(٥) الدرء (٨/ ٦-٨) باختصار.

(٦) انظر: نجاة الخلف (ص٧٢).

سطَّره ابن حمدان في نهاية المبتدئين[١]، ومختصره للبلباني[٢]، والعين والأثر لعبد الباقي المواهبي[٣]، لكن ابن قائد قرر في آخرها ما ينقض ذلك، حيث نقل بالنصِّ الأصل الأول -في الأسماء والصفات- من الرسالة التدمرية: (القول في بعض الصفات كالقول في بعض)، ونقل أيضًا الاحتجاج بهذا الأصل علىٰ الأشاعرة[٤].

كما سلك ابن قائد سبيل المتكلمين، فاستعمل الألفاظ المجملة الموهمة، واستحوذ عليه النفي المفصَّل، فقال عفا الله عنه: «إنه سبحانه ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عَرَض، لا تحلُّه الحوادث.. والله تعالىٰ كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو علىٰ ما عليه قبل خلق المكان»[٥]. وهذا التقرير يتفق لفظًا ومعنىٰ مع الكتب المذكورة آنفًا، مثل «نهاية المبتدئين» لابن حمدان، إلخ.

ثم يتكرر اضطراب المؤلف وتناقضه، فعبارته «والله تعالىٰ كان ولا مكان...» من عبارات المتكلمين التي يراد بها نفي العلو والاستواء، ثم إنه قرر نقيض ذلك، حيث عقد فصلًا مستقلًّا في إثبات العلو وأدلته، والردِّ علىٰ منكريه[٦].

كما استعمل الألفاظ المجملة الموهمة في العبارة السالفة، فذكر أن الله ليس بجوهر ولا جسم ولا عَرض، إلا أنه خالف ذلك -في موضع آخر- فبيَّن أن السلف الصالح لم يقُل أحد منهم إن الله جسم ولا جوهر[٧].. كما بيَّن

---

(١) انظر: نهاية المبتدئين (ص٢٤-٢٦).
(٢) انظر: مختصر نهاية المبتدئين (ص٧٤، ٧٥).
(٣) العين والأثر (ص٣٠، ٣١).
(٤) انظر: نجاة الخلف (ص١١٩، ١٢٠).
(٥) نجاة الخلف (ص٧٢، ٧٣).
(٦) انظر: نجاة الخلف (ص٨١-٨٨).
(٧) انظر: نجاة الخلف (ص٩٠).

الواجب تجاه الألفاظ المجملة المحتملة، ونَقَل بالمسطرة كلام ابن تيمية في هذا الشأن[1].

ومن الأمثلة علىٰ تأثر ابن قائد -في رسالته نجاة الخلف- بطرائق المتكلمين أنه عوَّل علىٰ كلام للطوفي وفيه: «المعاني لا تقوم شاهدًا إلا بالأجسام»[2]. وهذه مقالة المعتزلة؛ إذ قرروا أن الصفات لا تقوم إلا بجسم، ومن ثم نفوا الصفات الإلهية.. وقد تأثر بمقالة المعتزلة كثير من الصفاتية[3]، مع أنها مقالة متهافتة، فليست المعاني من خصائص الأجسام، فإن «الأعراض توصف، فيقال: حركة سريعة وبطيئة، وبياض شديد وضعيف، ومحبة قوية وضعيفة»[4].

وادَّعىٰ ابن قائد موافقة الأشعري للإمام أحمد في مسألة الكلام الإلهي، واحتج علىٰ ذلك بمقالات الأشاعرة المتكلمة كصاحب المواقف عضد الدين، والجرجاني، والتاج السبكي![5]

وهذه الدعوة تكشف جانبًا من الغبش واللبس الذي اعترىٰ أولئك الحنابلة، فلم يميِّزوا بين مذهب السلف الصالح ومذهب الأشاعرة في هذه المسألة الكبيرة الجليلة، فظنوا اتفاق مذهب الإمام أحمد مع قول الأشعري، وهذا الحال يذكِّرنا بصنيع ابن اللبان لما صنف في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل، وإنما هي في الحقيقة عقيدة الأشعري -كما سبق نقله عن الإمام السجزي-

---

(١) انظر: نجاة الخلف (ص٩٠، ٩١).

(٢) نجاة الخلف (ص١١٢).

(٣) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص١١٩، ١٢٠).

(٤) شرح الأصبهانية لابن تيمية (٢/ ٣٩٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣٦، ٥٦٩).

(٥) انظر: نجاة الخلف (ص١١٣-١١٥).

والحق أن مفارقة الأشعري لمذهب أهل السنة ظاهرة جلية، لا سيما في مسألة الكلام الإلهي[١]، فانحرافات مذهب الأشاعرة متعددة، ومزالقه كثيرة، إضافة إلىٰ ما فيه من الاشتباه والمغالطة، حتىٰ جزم السجزي أن مذهب المعتزلة -مع سوء مذهبهم- أقل ضررًا علىٰ عوام أهل السنة من الأشاعرة[٢]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «كذلك كثير من مذهبه (يعني الأشعري) يقول في الظاهر بقول أهل السنة مجملًا، ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلىٰ قول المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يظهره، والعالِم يكشفه.. والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة، لإظهار أولئك ومجانبتهم أهل السنة، وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق»[٣].

وعقد السجزي فصلًا بعنوان: «بيان أن فرق اللفظية والأشعرية موافقون للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول، وزائدون عليهم في القبح وفساد القول في بعضها»[٤].

ووصف السجزي القول بأن لا خلاف بين أحمد والأشعري، بأنه «من رقة الدين، وقلة الحياء»[٥].

وقال ابن قدامة -عن مذهب الأشعري في الكلام الإلهي-: «ومدار القوم علىٰ القول بخلق القرآن ووفاق المعتزلة، ولكن أحبُّوا أن يُعلم بهم فارتكبوا مكابرة العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم...»[٦].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية عن الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٣/ ١٢٥٣ - ١٣٠٧).
(٢) انظر: رسالة السجزي لأهل زبيد (ص١٧٧).
(٣) رسالة السجزي لأهل زبيد (ص١٨١).
(٤) رسالة السجزي لأهل زبيد (ص١٣٧).
(٥) رسالة السجزي لأهل زبيد (ص٢٠١).
(٦) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة (ص٣٤).

وبغض النظر عن الجزم بما حرره السجزي وابن قدامة ههنا بشأن مذهب الأشاعرة، إلا أن المتيقن به هو البون الشاسع والفرق الظاهر بين مذهب الإمام أحمد ومذهب الأشاعرة، لكن ابن قائد -عفا الله عنه- جرىٰ علىٰ طريقة الحنابلة الخائضين في الكلام، وكذا غاب في رسالته التمييز في النقل بين ابن تيمية مثلًا، وبين الطوفي وابن حمدان ونحوهم، فلم يُفرِّق بينهما، باعتبار أن الجميع من الحنابلة، ومن ثم وقع تناقض واضطراب في هذه الرسالة -كما سبق بيانه-.

- وبالنظر في كتاب «هداية الراغب لشرح عمدة الطالب» لعثمان بن قائد، فيمكن الإشارة إلىٰ مأخذين كلاميين:

أحدهما: قول ابن قائد: «ورحمته تعالىٰ صفة قديمة قائمة بذاته، تقتضي التفضُّل والإنعام»[1]. فقد جرىٰ المؤلف علىٰ طريقة الأشاعرة المتكلمين الذين ينفون الصفات الاختيارية القائمة بالله تعالىٰ.

قال ابن تيمية: «الأمور التي يتصف بها الربُّ عز وجل، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل كلامه، وسمعه وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»[2]. فالأشاعرة يتأوَّلون صفة الرحمة إما بالإرادة، وإما بقولهم إنها أزلية[3]، وقد يفسِّرون الرحمة بما يخلق الله من النعمة[4].

(١) هداية الراغب (ص٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٧)، وانظر: الدرء (٢/ ٣- ٥).
(٣) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص٣١)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ١٢٢٣).
(٤) انظر: شرح الأصبهانية (١/ ٢٦، ٣٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم معقبًا علىٰ مقالة البهوتي في تفسير الرحمن بأن معناه المنعم الحقيقي: «وتأويله الرحمة بالنعمة مذهب الأشاعرة، أخذه عن غيره، ولم يتفطن له، ويقع كثيرًا في كلام غيره، يذكرون عبارات لم يتفطنوا لمعناها»[١].

والآخر: قوله: «ومن قال: أنا صائم غدًا إن شاء الله مترددًا فسدت نيته، لا متبركًا، كما لا يفسد إيمانه بقوله: أنا مؤمن إن شاء الله غير متردد في الحال[٢]»، وهذا نفس عبارة البهوتي في «كشاف القناع»[٣].

وقد تعقَّب الشيخ عبد الله العنقري هذه العبارة فقال: «قولهم: «غير متردد في الحال» مشىٰ علىٰ طريقة الأشاعرة؛ لأن الاستثناء عندهم لأجل الموافاة»[٤].

وقد بسط ابن تيمية الردَّ علىٰ مقالة الاستثناء في الإيمان باعتبار الموافاة في كتابه «الإيمان الكبير»[٥].

ويبدو أن تأثر ابن قائد بالبهوتي ظاهر بيِّن، لا سيما إذا علمنا أنه قد تلقىٰ عن كل من الخلوتي وابن ذهلان، وقد أخذا العلم عن البهوتي[٦].

٤. وأما مجموع ابن منقور، فهو وإن كان في مسائل الفقه والفروع، إلا أن فيه أكثر من عبارة لا تخلو من أثر كلامي، حيث قال ابن منقور -في مطلع كتاب

(١) حاشية ابن قاسم على الروض المربع شرح زاد المستقنع (١/ ٢٩)، وانظر: فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٢٠١).
(٢) هداية الراغب (ص٢٤٨).
(٣) (٥/ ٢٤٢).
(٤) حاشية العنقري على الروض المربع (١/ ٤٢٠)، وانظر: حاشية ابن قاسم على الروض (٣/ ٣٨٥).
(٥) انظر: (ص٤١٠ - ٤٦١).
(٦) انظر: عنوان المجد (٢/ ٣٢٣).

الصيد-: «الذبح لدفع أذىٰ الجن، وسمَّىٰ، أبيحت، وإن قصدهم بدمها حرم الفعل أي الذبح؛ لأنه إعانة علىٰ محرم»[1].

قال العلامة عبد الله بن عبد العزيز العنقري رَحِمَهُ اللهُ معقبًا: «أقول: لا يخفىٰ ما في ضمن هذا الكلام من المضادة لقوله تعالىٰ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، لأن هذا[2] استعاذة بالجن، والاستعاذة عبادة، فمن استعاذ بغير الله، فقد عبده مع الله، وتفريقه بين الذبح للجن لأجل الاستعانة بهم، وبين الذبح لهم لدفع شرهم، تفريق من غير فارق، فكما أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة، فكذلك الاستعاذة مثلها سواء، ولأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، فعلىٰ هذا تكون الذبيحة حرامًا؛ لأنها ذبيحة مشرك، والتسمية عبادة، وهي في هذا الموضع لا تؤثر؛ لأنها من مشرك، وعبادات المشرك حابطة، والعياذ بالله، والله أعلم»[3].

ونقل ابن منقور العبارة الآتية: «من «التحفة للشافعية»[4]: ومن ذبح تقربًا إلىٰ الله لدفع شرِّ الجنِّ عنه لم يحرم، ولقصدهم حَرُم، وكذلك للكعبة. انتهىٰ».

وقد تعقَّبها العلامة العنقري قائلًا: «قوله: ومن ذبح تقربًا إلىٰ الله لدفع شر الجن إلىٰ آخره». أقول: هذان ضدان لا يجتمعان، وهما التقرُّب إلىٰ الله، وقصد دفع شر الجن؛ لأن التقرُّب إلىٰ الله بالذبح عبادة تختص بالهدي، والأضاحي،

(١) مجموع ابن منقور (٢/ ٨٧، ٨٨).
(٢) يعني: الذبح لدفع أذى الجن.
(٣) مجموع ابن منقور (هامش) (٢/ ٨٧).
(٤) يعني: تحفة المحتاج لشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي. وقد عاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب على من عوَّل على «التحفة»، وأعرض عما أنزل الله على رسوله. انظر: تاريخ ابن غنام (٢/ ١٢).

ونحو ذلك، والذبح لقصد دفع شر الجن عبادة لهم، وهي شرك بالله عزَّ وجلَّ، فلا تجتمع عبادة الله وعبادة ما سواه علىٰ حدٍّ سواء، بل بينهما أعظم مباينة ومباعدة، كما يعلم ذلك من وقف علىٰ حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله، والله أعلم»[١].

ويظهر أن هذا الغلط في مجموع ابن منقور هو تأثر بمتأخري الحنابلة، وامتداد لمقالتهم بتحريم الذبح باسم غير الله، وإباحة ما ذبح لغير الله تعالىٰ، كما في تعقيب ابن تيمية لهذه المقولة، حيث ردَّ عليهم قائلًا: «إذا حُرِّم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك أولىٰ، وهذا يبيِّن لك ضعف قول من حرَّم ما ذبح باسم غير الله، ولم يحرِّم ما ذبح لغير الله، كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم، بل لو قيل بالعكس لكان أوجه، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله، وعلىٰ هذا فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه باسم الله...»[٢].

وعبارة ابن منقور هي نظير عبارة سليمان ابن سحيم، عندما شنَّع علىٰ الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ لأنه كفَّر من ذبح لغير الله تعالىٰ، يقول ابن سحيم: «ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمِّي عليها، ويجعلها لله، لكن يدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر واللحم حرام»[٣].

كما أن ابن عفالق وسليمان بن عبد الوهاب ينكران أن الذبح لغير الله كفر وردَّة عن الإسلام[٤].

---

(١) مجموع ابن منقور (هامش) (٢/ ٨٨).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٦٣).
(٣) نقلاً عن: فصل الخطاب لأحمد القباني ق ٢١١.
(٤) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٢٥٥).

ولا تخلو عبارة ابن منقور ونظائرها من أثر كلامي؛ إذ إن أهل الكلام لا يلتفتون إلىٰ توحيد الألوهية، وتحقيق إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، وإنما يفسرون الألوهية بالخلق أو القدرة علىٰ الاختراع، ومن ثم فإن الذبح لغير الله ليس شركًا، وليست الاستغاثة بالأموات شركًا، ما دام أن مرتكبها يعتقد أن الله هو الخالق أو القادر علىٰ الاختراع.

وقد احتفىٰ ابن تيمية بالردِّ علىٰ هذه المغالطة واللبس عند المتكلمين، فكان مما قاله: «والإله هو المستحق للعبادة، فأما من اعتقد في الله أنه ربُّ كل شيء وخالقه، وهو مع هذا يعبد غيره، فإنه مشرك بربه متخذ من دونه إلهًا آخر، ليست الإلهية هي الخلق، أو القدرة علىٰ الخلق، كما يفسرها هؤلاء المبتدعون في التوحيد من أهل الكلام، فهذا موضع عظيم جدًّا ينبغي معرفته، لما قد لبَّس علىٰ طوائف من الناس أهل الإسلام، حتىٰ صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركًا...»[(١)].

- وأورد ابن منقور في نهاية مجموعة إجازة الحجاوي لتلميذه محمد بن إبراهيم بن أبي حميدان[(٢)]، وجاء في خاتمة الإجازة: «وأخذ رسول الله ﷺ عن جبريل، وأخذ جبريل عن الله سبحانه وتعالىٰ»[(٣)].

ويبدو أن عبارة «أخذ جبريل عن الله» لا تخلو من إيهام وإجمال، إذ تحتمل حقًّا وصوابًا، وهو أن جبريل عليه السلام سمع من الله تعالىٰ، ونزل به منه[(٤)].

---

(١) التسعينية (٣/ ٨٠٠، ٨٠١) باختصار.

(٢) انظر: ترجمته في علماء نجد للبسام (٥/ ٤١٨).

(٣) مجموع ابن منقور (٢/ ٣٩١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٤، ١٧٢، ١٩٩، ٥٦٦).

وقد تحتمل معنىٰ فاسدًا، وهو أن جبريل عليه السلام أخذه من اللوح المحفوظ، ولم يسمعه من الله تعالىٰ[١].

وقد سطَّر العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ (١٣٨٩هـ) رسالة بعنوان «الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم»[٢]، وموضوعها: نقد قول السيوطي في الإتقان: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، وجاء به إلىٰ محمد ﷺ، وبيَّن رَحِمَهُ اللهُ أن هذه المقالة مبنية علىٰ أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وأن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالىٰ لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء، وأن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالىٰ، وبلغه إلىٰ محمد ﷺ[٣].

٥. وأما محمد بن عبد الرحمن بن عفالق[٤] (ت ١١٦٤هـ) فهو ابتداءً خصم لدود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وله رسالة بعنوان «تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين»[٥]، وقد تضمنت هذه الرسالة أسئلة تهكمية، وبأسلوب يحمل طابع التعالم والغرور[٦]، كما وجَّه ابنُ عفالق لعثمان بن معمر أكثر من رسالة[٧]، يشككه في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٧- ١٣٨، ٥٥٤).
(٢) انظر: مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٢١٤- ٢٣٩).
(٣) انظر: مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٢١٥).
(٤) انظر: ترجمته في علماء نجد (٦/ ٣٨).
(٥) وهي مخطوطة في مكتبة الجامعة الملكية في تبونجين بألمانيا، ولديَّ صورة منها.
(٦) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٥٢، ٥٣).
(٧) توجد مخطوطة في مكتبة الدولة في برلين بألمانيا، وحصلت على صورة منها.

في رسائل ابن عفالق لابن معمر يلحظ المسلك الكلامي في غير موطن، ومن ذلك قوله: «التوحيد إفراد القديم من المحدث، وإفراده بالربوبية والوحدانية»[١].

ويقول عن العوام: «فإن فطرتهم جبلت علىٰ توحيد الصانع وقدمه، وحدوث ما سواه من الموجودات»[٢].

ولما كان مجرد الإقرار بالربوبية عند ابن عفالق هو التوحيد وغايته، فإنه هوَّن شرك العبادة، فتارة يزعم أن الشرك في العبادة شرك أصغر[٣]، فالذبح لغير الله والنذر لغير الله تعالىٰ شرك أصغر[٤]، وتارة يدَّعي أن شرك الشفاعة جائز، فطلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد وفاته، كطلبها منه في حياته[٥].

ويظهر في هذه الرسالة اضطراب ابن عفالق، وتذبذبه، فإن كلامه ينقض بعضه بعضًا، فتارة يقلد المتكلمين في تقرير التوحيد، -كما سبق آنفًا-، وتارة ينقض ذلك، ويحكي كلام ابن القيم ويقرره بأن توحيد أهل الباطل البحث والخوض في الأعراض[٦].

وهذه العبارة جاءت عن الإمام ابن سريج (ت ٣٠٦هـ) لما سئل عن التوحيد فقال: «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث محمد ﷺ بإنكار ذلك»[٧].

---

(١) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر ق ٦٥.
(٢) المرجع السابق ق ٥٧، وانظر: ق٦١.
(٣) انظر: المرجع السابق ق ٦٨.
(٤) انظر: المرجع السابق ق ٥٣، ق ٥٩.
(٥) انظر: المرجع السابق ق ٤٤.
(٦) انظر: المرجع السابق ق ٦٣.
(٧) أخرجه قوام السنة الأصفهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٩٦).

٦. وأما عبد الله بن عيسىٰ المويس[١] (١١٧٥هـ) وهو أشد الخصوم عداوةً لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيلحظ عليه التشبث بالمسلك الكلامي، والانتصار له؛ إذ كانت العبارات الكلامية الموهمة والمجملة يخطب بها علىٰ المنابر في نجد[٢].

ومن ذلك أن خطيب الجمعة بالوشم قال: إن الله ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عرض، فأنكر عليه تلاميذ للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأهل الوشم هذا التقرير، ثم إن المويس أنكر علىٰ هؤلاء إنكارهم علىٰ من قال إن الله ليس بجوهر...[٣].

كما أن المويس ادَّعىٰ أن مذهب أهل السنة إثبات من غير تجسيم ولا أين...[٤].

وزعم المويس أيضًا أن مذهب أهل السنة هو إثبات الصفات السبع[٥].

ومما يؤكد النزعة الكلامية الجامحة لدىٰ المويس، وحنقه علىٰ الدعوة الإصلاحية، أنه أعرض عن توحيد العبادة، فلم يرفع بذلك رأسًا، بل كان يتهكم بهذا التوحيد، كما عبَّر عن ذلك الشيخ الإمام بقوله: «يقول شيطانكم المويس إن بنيَّات حرمة وعيالهم[٦] يعرفون التوحيد فضلًا عن رجالهم، وأن تعلم معنىٰ لا إله إلا الله بدعة...»[٧].

---

(١) ولد في حرمة، وقرأ على علماء نجد، ورحل إلى الشام، وأخذ عن علمائها، واتهم بسرقة كتب وقفية بالشام، توفي بحرمة سنة ١١٧٥هـ. انظر: علماء نجد للبسام (٤/ ٣٦٤)، السحب الوابلة لابن حميد (الحاشية) (٢/ ٦٣٩).

(٢) انظر: علماء نجد للبسام (٤/ ٣٦٨).

(٣) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٩٧).

(٤) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٩٩).

(٥) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٩٩).

(٦) يعني أن صغار الأطفال من بنات بلدة حرمة وصبيانهم يعرفون التوحيد! و«حرمة» بلدة قريبة من المجمعة.

(٧) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١٧٣).

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إحدىٰ رسائله أن المويس «كتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسبُّ دين الله ورسوله»[1].

وزعم المويس أن المطلوب من الكفار هو مجرد كلمة لا إله إلا الله، وأن الصحابة لم يعرِّفوهم بمعناها[2].

كما وصف الشيخ الإمام هذا المويس بقوله: «وشاميكم لا يعرف معنىٰ لا إله إلا الله ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد»[3].

فلم يكن المويس جاهلًا بكلمة الإخلاص، ومعرضًا عن توحيد العبادة فحسب، بل عمد إلىٰ الصدِّ عن سبيل الله تعالىٰ، والاعتراض علىٰ توحيد المرسلين عليهم السلام، فجعل توحيد العبادة والاتباع محل تهكم وابتداع![4].

وقد حفلت رسائل الإمام بالحجج القوية والردود المتينة علىٰ دعاوىٰ المويس ومزالقه، فكشف الشيخ عن تناقض المويس وجهله، وأن كلامه يكذب بعضه بعضًا، فبيَّن -رحمه الله- أن هذه الألفاظ المجملة، كالجوهر والعرض لا يصح إثباتها ولا نفيها بإطلاق، والمويس يردد هذه الألفاظ، ثم يحتج بكلام الإمام أحمد، وهو ينقض دعواه[5].

---

(١) تاريخ بن غنام (١/ ١١٦).
(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٢).
(٣) تاريخ ابن غنام (١/ ١٢١).
(٤) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١١٦).
(٥) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٩٨).

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وصاحبكم[١] يدَّعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتىٰ يتبع أبا علي وأبا هاشم[٢] بنفي الجوهر والعرض»[٣].

وتعقَّب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقولة المويس بنفي الأين عن الله، فقال: «وهذا من أبين الأدلة علىٰ أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة، ولم يميِّز بينها وبين عقيدة المبتدعة، وذلك أن إنكار الأين من عقائد أهل الباطل، وأهل السنة يثبتونه اتباعًا لرسول الله ﷺ، كما في الصحيح أنه قال للجارية: أين الله؟ فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة»[٤].

وأما دعوىٰ المويس أن الصحابة لم يطلبوا من العجم إلا مجرد كلمة التوحيد، فأجاب عنها الشيخ: «هذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها من غير فهم لمعناها، ولا عمل بمقتضاها...»[٥].

والمقصود أن المويس علىٰ جادة المتكلمين، إذ يستعمل عبارات المتكلمين، ويقتصر علىٰ إثبات الصفات السبع، ولا يفقه من التوحيد إلا توحيد الربوبية الذي أقرَّ به مشركو العرب، وجعله المتكلمون هو التوحيد المطلوب.

بل إن المويس ممن كاد لهذه الدعوة الإصلاحية، وسخر منها، ولبَّس علىٰ أقوام، «وكاتب أهل الأحساء يعاونهم علىٰ سبِّ دين الله ورسوله»[٦].

---

(١) يعني: المويس.
(٢) أبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم من رؤوس المعتـزلة.
(٣) تاريخ ابن غنام (١/ ٩٨، ٩٩).
(٤) تاريخ ابن غنام (١/ ٩٩).
(٥) تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٢).
(٦) تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٣).

ولذا تنوَّعت عبارات الشيخ الإمام في الردِّ عليه، وتعددت أساليبه، فاستعمل معه الملاطفة ابتداءً، وصبر علىٰ الكثير من أذاه[1]، كما بيَّن تناقضه واضطرابه -كما سبق آنفًا- وقد يورد الشيخ الإمام جملة من العبارات الموجعة، والجمل اللاذعة في حق المويس، فالمويس يسوِّد الصحائف، ويرسلها إلىٰ البلدان ولسان حاله «اعرفوني اعرفوني تراني جاي من الشام»[2].

ولما حكىٰ الشيخ الإمام تناقض مقولات المويس وجهله، قال: «وهذا القول كما في أمثال العامة: «لا وجه سمح ولا بنت رجال»[3].

وإذا كان محسن الحسني[4] (ت ١٢٦٦هـ) في كتابه المخطوط «لفحات الوجد من فعلات أهل نجد» ينقل -في ذم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- عن شخص اسمه عبد الله بن عيسىٰ، وإنه من المحتمل -ابتداء- أن المراد به عبد الله بن عيسىٰ الكوكباني اليماني (ت ١٢٢٤هـ)[5]. ومن المحتمل أن يكون المويس؛ إذا ثمة اتفاق في الاسم وفحوىٰ الكلام، فالمويس هو عبد الله بن عيسىٰ، وأما فحوىٰ الكلام، فقد نقل محسنُ الحسني مقالة عبد الله بن عيسىٰ في إنكار توحيد الألوهية: «ثم إن المخالف -يعني ابن عبد الوهاب- جعل التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، فقال: إن الأول اعترف به المشركون، وأما الثاني فلم

(١) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٣).
(٢) انظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٠).
(٣) تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٢).
(٤) هو محسن بن عبد الكريم الحسني، ولد في صنعاء اليمن سنة ١١٩١هـ، له عدة مؤلفات وأشعار. انظر: البدر الطالع (٢/ ٧٨) ونيل الوطر (٢/ ١٠٢).
(٥) ولد الكوكباني سنة ١١٧٥هـ، وتعلَّم بحصن كوكبان، وبرز في علوم عديدة، وله عدة مؤلفات. انظر: نيل الوطر (٢/ ٩٢).

يعترفوا به، ولا نعلم سلفًا له في هذا... ولم يكن مشركو العرب مقرِّين بالأحدية والربوبية كما زعم»[١].

فلو ثبت هذا الاحتمال، فإنه يعني أن ما سوَّده المويس ضد الدعوة الإصلاحية قد سرىٰ إلىٰ بلدان بعيدة كاليمن، وهذا الصنيع يحاكي ما كتبه ابن سحيم ضد الدعوة، وبعثه إلىٰ أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني، وحرَّض فيه ابن سحيم علىٰ الشيخ الإمام، وتكرر طلبه من القباني[٢] سنة ١١٥٧هـ، فعندئذ كتب القباني مجلدًا ضخمًا سماه «فصل الخطاب في ردِّ ضلالات ابن عبد الوهاب» يزيد علىٰ مائتي ورقة[٣]، وكان لهذا الكتاب رواج عند خصوم الدعوة المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤].

وكذا ما فعله مِربد بن أحمد التميمي[٥] (ت ١١٧١هـ) لما قدم اليمن سنة ١١٧٠هـ، فلقي الأمير الصنعاني، وافترىٰ مربد علىٰ الدعوة، وشوَّه حقيقتها، وكان قد سبقه عالم نجدي يقال له: «عبد الرحمن النجدي» قدم إلىٰ الصنعاني، وطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فبقي الصنعاني مترددًا، حتىٰ جاء مربد... ويقال إن الصنعاني رجع عقب ذلك عن مدح الشيخ ونظم أبياتًا مطلعها:

رجعتُ عن النظم الذي قلت في النجدي

فقد صحَّ لي عنه خلاف الـذي عندي

---

(١) لفحات الوجد ق ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر: فصل الخطاب ق ١٢٤.

(٣) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٥٥).

(٤) انظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٠، ٢٠٦).

(٥) انظر: ترجمته في علماء نجد للبسام (٦/ ٤١٦).

وقـد جاءنا من أرضـه الشيخ مربد
فحقق من أحواله كل ما يبدي[1].

وأيضًا فعثمان بن معمر قد تكالبت عليه شبهات ابن عفالق، وتتابعت عليه إشكالات واعتراضات شغب بها ابن عفالق في أكثر من رسالة[2]، خصوصًا وأن ابن معمر ليس عالمًا كما قال لابن عفالق: «كثرة الكلام ما أفهمه ولا لي فهم بابن القيِّم وابن تيمية ولا عمرو ولا زيد»[3].

والمقصود أن من خلال هذه الأمثلة ونظائرها يمكن القول بأن ثمة مؤامرة راتبة، وكيدًا منظَّمًا، ونشاطًا متلاحقًا ضد هذه الدعوة المباركة... وفي مختلف الأصقاع، إلا أن الله عز وجل قد نصر هذه الدعوة فصار لها القبول الحسن والأثر الظاهر، وأما المعارضون فقد أضحوا أثرًا بعد عين.

٧. ومن علماء نجد الذين تأثروا بعلم الكلام: الشيخ محمد بن عبَّاد[4] (١١٧٥هـ)، وقد بعث إلىٰ الشيخ الإمام رسالة فيها كلام حسن في تقرير التوحيد، وطَلَب من الشيخ الإمام أن يبيِّن له ما قد يشبه عليه[5].

فمن محاكاة ابن عبَّاد للمتكلمين قوله: «أول واجب علىٰ كل ذكر وأنثىٰ النظر في الوجود...»[6]، وقد تعقبه الشيخ الإمام بقوله: «وهذا خطأ وهو من علم الكلام

---

(١) انظر: ديوان الصنعاني، وعلماء نجد للبسام (٦/ ٤١٧، ٤١٨).

(٢) انظر: موقف عثمان بن معمر من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. بحث للكاتب في مجلة الدارة ع ٣، س ٣٣. وهو في (ص ٧٥) من هذا الكتاب.

(٣) انظر: رسالتي عفالق لابن معمر، ق ٦٤.

(٤) انظر: ترجمته في علماء نجد للبسام (٥/ ٥١٦).

(٥) انظر: روضة الأفكار لابن غنام (١/ ١٠٤)، وعلماء نجد (٥/ ٥١٧).

(٦) انظر: روضة الأفكار لابن غنام (١/ ١٠٤).

الذي أجمع السلف علىٰ ذمه، وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد، ليس النظر في الوجود...»[١].

وكذا حصر ابن عبَّاد الإيمان في التصديق، حيث قال: «الإيمان هو التصديق الجازم بما أتىٰ به الرسول»[٢]. وانتقد الشيخ الإمام ذلك قائلًا: «ليس كذلك، وأبو طالب عمُّه جازم بصدقه، والذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة»[٣].

ومما يجلي هذه المسألة ما حرَّره ابن القيم بقوله: «كل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبُّه، وذلك عمل بل هو أصل العمل، وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فإن كثيرًا من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي ﷺ، غير شاكين فيه، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب من حبِّ ما جاء به والرضا وإرادته، والموالاة والمعاداة عليه، فلا تهمل هذا الموضوع فإنه مهم جدًّا، به تعرف حقيقة الإيمان»[٤].

وفي موطن ثالث نلحظ أن ابن عبَّاد سوَّىٰ بين القدر والشرع، حيث قال في معنىٰ الإيمان بالقدر: «الإيمان بألَّا يكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته، وأن يفعل المأمورات ويترك المنهيات»[٥].

---

(١) انظر: روضة الأفكار لابن غنام (١/ ١٠٤).
(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٣) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٠)، وانظر: زاد المعاد (٣/ ٦٣٨).
(٥) روضة الأفكار (١/ ١٠٥).

وغلّط الشيخ الإمام ذلك فقال: «وهذا غلط لأن الله سبحانه له الخلق والأمر والمشيئة والإرادة، وله الشرع والدين، إذا ثبت هذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر، وهو الإيمان بالشرع والدين، ولا يذكر في حد الإيمان بالقدر»[١].

وهذا التقرير من حذق الشيخ الإمام، وحدَّة فهمه، إذ التسوية بين الشرع والقدر هو منشأ الضلال في باب القدر[٢]، والتفريق بين المشيئة والمحبة هو سبيل أهل السنة، وأبو الحسن الأشعري هو أول من سوَّىٰ بين المحبة والمشيئة[٣].

٨. ويلحظ الأثر الكلامي عند سليمان بن سحيم[٤] (ت ١١٨١هـ) في رسالته -المتداولة- والتي بعثها إلىٰ الأمصار من أجل مكايدة هذه الدعوة السلفية، ومن ذلك أنه أرسلها إلىٰ أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني (كان حيًّا سنة ١١٥٧هـ)، وألحَّ ابن سحيم علي القباني، وتكرر طلبه -كما حكىٰ القباني[٥]- فعندئذ كتب القباني مجلدًا كبيرًا سمي بـ«فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب»[٦]. وغالب هذه الرسالة من الإفك والبهتان -كما بيَّن الشيخ الإمام[٧]- ومنها ما هو حق وصواب وكما قرر الشيخ الإمام أيضًا[٨]، حيث قال رحمه الله: «وأما المسائل

(١) روضة الأفكار (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٥١)، وشرح الطحاوية (١/ ٣٢٤)، منهاج السنة (٣/ ١٥).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٢٨٧).

(٤) هو سليمان بن أحمد بن سحيم العنزي، وهو من الخصوم الألداء لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ١١٣٠هـ وتوفي في الزبير. انظر: علماء نجد للبسام (٢/ ٣٨١).

(٥) ينظر: فصل الخطاب ق ١٢٤.

(٦) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٥٥).

(٧) انظر: روضة الأفكار (١/ ١١٤).

(٨) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٥).

الأخرىٰ، وهي أني أقول لا يتم إسلام الإنسان حتىٰ يعرف معنىٰ لا إله إلا الله، ومنها أني أعرِّف من يأتيني بمعناها، ومنها أني أقول الإله هو الذي فيه السرُّ، ومنه تكفير الناذر إذا أراد به التقرُّب لغير الله وأخذ النذر كذلك، ومنها أن الذبح للجن، فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها»[١].

والمقصود أن هذه اللوثة الكلامية -فضلًا عن المفتريات- قد بعثها ابن سحيم في وقت مبكر إلىٰ العراق، وأرسلها أيضًا إلىٰ مكة والمدينة[٢]، وقد أطنب الشيخ الإمام في الردِّ علىٰ دعاوىٰ ابن سحيم، وإقامة الحجج القوية والبراهين المفحمة في نقض دعاويه، وكشف تناقضه وتلونه[٣].

والذي يهمنا في هذا الصدد أن هذه المسائل الخمس لا تنفك عن مشرب كلامي، ومسلك خَلَفي، فغاية التوحيد عند المتكلمين أن الله واحد في أفعاله لا شريك له، وأن التوحيد المطلوب هو مجرد اعتقاد أن الله هو الرب المالك الخالق... فالإله هو القادر علىٰ الاختراع والخلق، ولذا فإن ابن سحيم وأضرابه يستنكرون الحديث عن معنىٰ لا إله إلا الله، ويتهمون الشيخ الإمام بالتكفير ومذهب الخوارج، لما قرر أن النذر لغير الله شرك أكبر، وكذا الذبح لغير الله كالجنِّ ونحوهم، فيكفي الاعتقاد بأن الله هو الخالق المدبِّر...

ومن ثم فإن من ذبح أو نذر لغير الله فليس شركًا، مادام أنَّه يعتقد أن الله خالقه ورازقه! -كما سبق بيانه في موضعه-.

(١) روضة الأفكار (١/ ١١٥).

(٢) انظر: روضة الأفكار (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: روضة الأفكار (١/ ١١٥- ١٢٤، ١٣٨- ١٤٥)، وانظر: موقف ابن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد الله العثيمين (ضمن بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة).

وربما استوقف القارئ عبارة الشيخ الإمام «الإله هو الذي فيه السرُّ»، وقد كفانا الشيخ الإمام مؤنة التعليق عليها فقال:

«وأما قولي: إن الإله الذي فيه السرُّ، فمعلوم أن اللغات تختلف، فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامنا «السيد» و«الشيخ» و«الذي فيه السرُّ»؛ والعرب الأولون يسمُّون الألوهية ما يسميه عوامنا «السر»؛ لأن السرَّ عندهم هو القدرة علىٰ النفع والضرِّ، وكونه يصلح أن يُدعىٰ ويرجىٰ ويخاف ويتوكل عليه»[1].

وقال -في موطن آخر-: «فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا: السر والوَلاية، والإله معناه الذي فيه السرُّ، وهو الذي يسمونه الفقراءُ[2] الشيخَ، ويسمونه العامة السيِّد وأشباه ذلك، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضىٰ أن الإنسان يلتجئ إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله»[3].

والمقصود أن الشيخ الإمام أراد بهذه العبارة بيان معنىٰ توحيد العبادة، والمراد بالألوهية، وتقريبه للمخاطبين حسب واقعهم، ومراعاة لأفهامهم، وأن العبرة بالحقائق، فالأسماء لا تغيِّر من الحقائق شيئًا، فالألوهية قد تسمىٰ السر والولاية، أو السيِّد، أو الشيخ، فمن عبَّد شيئًا وتألَّهه فهو مشرك، فالعبرة بالمعاني، إذ اللغات تتنوع، والاصطلاحات تتغيَّر[4].

---

(١) روضة الأفكار (٢/ ١٠٦).

(٢) الفقراء ههنا: الصوفية.

(٣) روضة الأفكار (٢/ ٢٦٤).

(٤) انظر: منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ص٢٤٢، ٢٤٣).

- ومن التقريرات الكلامية التي يرددها ابن سحيم قوله: «إن التوحيد في ثلاث كلمات: أن الله ليس علىٰ شيء، وليس في شيء، ولا من شيء»[١].

وقد أجمل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- الحكم علىٰ هذه العبارة بأنها نفي للصفات[٢]، فقوله: «ليس علىٰ شيء» إنكارٌ للعلو والاستواء علىٰ العرش. وكذا قوله: «ليس في شيء» من الألفاظ المجملة؛ إذ تحتمل أيضًا نفي العلو؛ فإن الله في السماء، أي في العلو، فهو سبحانه موصوف بفوقية الذات، كما هو موصوف بفوقية القدر والقهر.

- وأخيرًا فإن الشيخ الإمام قد أشار إلىٰ بعض العوائد المحدثة التي كان عليها بعض أهالي نجد، ومن ذلك «أن الولد إذا بلغ عشر سنين غسلوا له أهله، وعلموه ألفاظ الصلاة، وحيي علىٰ ذلك ومات عليه»[٣].

ويبدو أن هذه العوائد وثيقة التأثر بما يقرره المتكلمون من إيجاب تجديد التكاليف علىٰ الصبي إذا بلغ[٤].

«وقد اتفق الفقهاء علىٰ أن الصبي إذا تطهَّر قبل البلوغ لم يجب عليه إعادة الوضوء إذا بلغ، وكذلك لو كان عليه ديون فقضاها، أو قضاها وليُّه، لم يجب عليه إعادة القضاء بعد البلوغ»[٥].

ومع وجود هذه الأقوال السالفة، لكن لم تكن مقالات المتكلمين ظاهرة

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٩٠).

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٩٠).

(٣) الدرر السنية (١/ ٧١). (نقلاً عن الحياة العلمية للبسام).

(٤) انظر: الدرء لابن تيمية (٨/ ٨ - ١٠، ١٣).

(٥) الدرء لابن تيمية (٨/ ١١).

بالجملة، كما يفهم من مقالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ونحن بحمد الله قد خلت ديارنا من المبتدعة أهل هذه المقالات»[١].

- ومما يحسن الإشارة إليه في ختام هذا الفصل أن بعض علماء نجد آنذاك قد اشتغلوا بالمنطق -وهو من العلوم التي احتفىٰ بها المتكلمون[٢]- فالشيخ عبد الله بن عضيب (ت ١١٦١هـ)[٣] كتب «شرح التهذيب في المنطق» وكتب عليه هوامش، وكذا الشيخ عبد الوهاب بن فيروز[٤] (ت ١٢٠٥هـ) درس المنطق علىٰ أبيه.

والمنطق من العلوم التي ذمَّها جملة من محققي مذهب السلف الصالح، وقد أشار الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -عند دخولهم مكة سنة ١٢١٨هـ- أنهم لا يأمرون بإتلاف شيء من المؤلفات إلا ما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق الذي حرَّمه جمع من العلماء[٥].

---

(١) الدرر السنية (٩/ ١٦٤).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين (ص١٩٤)، ونقض المنطق (ص١٥٦، ١٦٢).

(٣) انظر: ترجمته في السحب الوابلة (٢/ ٣٠٦).

(٤) انظر: ترجمته في السحب الوابلة (٢/ ٦٨١).

(٥) انظر: الدرر السنية (١/ ٢٢٨)، وانظر: (١/ ٣٣٨).

الفصل الثالث

التصوف عند علماء نجد

مع أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة الأولىٰ[١]، كما أن «التصوف» محدث -كما في تقريرات العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ[٢]- إلا أن لفظ التصوف في حدِّ ذاته لفظ مجمل مشترك، فله عدة إطلاقات؛ إذ قد يطلق علىٰ التعبُّد المشروع، وأيضًا يشتهر التصوف أنه الأوراد البدعية، والعبادات المحدثة[٣]، كما يتناول التصوف مقالات الزندقة والإلحاد مثل الحلول والاتحاد.

والقول بأن التصوف لفظ فيه إجمال واشتراك هو اختيار جمع من المحققين كابن تيمية والشاطبي وغيرهم[٤]، ولكن المراد به ههنا هو التصوُّف المحدث والتعبُّد بما لا يشرع[٥]، واتخاذ عبادات وشرائع لم يأذن بها الله تعالىٰ، ولا يخفىٰ

(١) انظر: فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٢٦١).

(٢) انظر: مختصر الفتاوى المصرية (ص٥٦٧).

(٣) وإذا تقرر هذا الإجمال في مفهوم التصوف، فلا تعارض بين أقوال أئمة الدعوة الأوائل في موقفهم من التصوف، فمثلًا مقالة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله-: «لا ننكر الطريقة الصوفية، وتنـزيه الباطن من رذائل المعاصي، ما استقام صاحبها على القانون الشرعي...» الدرر السنية (١/ ٢٤١)، فمراده ظاهر، وهو التعبُّد المشروع، وتزكية النفوس وفق ما ثبت في السنة والأثر، وأما مقالة الشيخ حمد بن معمر عن فعل الفقراء (الصوفية) وأنه بدعة.. فإنه يحمل على التصوف المحدث المبتدع. انظر: الدرر السنة (١/ ٢٥٧).

(٤) انظر: الصفدية (١/ ٢٠٧)، والردّ على حزب الشاذلي لابن تيمية (ص٦١، ٩٠)، والاعتصام (١/ ٣٤٨)، وفتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٢٦١).

(٥) انظر: الاستقامة لابن تيمية (١/ ٣).

سعة مفهوم التصوف المحدث بهذا المعنىٰ؛ إذ يستوعب شتىٰ البدع العملية والاعتقادية، والإضافية والحقيقية، والمكفِّرة وما دونها...

إضافة إلىٰ ما سبق فإن التصوف وإن كان يقابل الكلام، فالمتصوفة ضد المتكلمة، إلا أنه قد يجتمع الأمران؛ فهناك متصوفة كلامية كالقشيري ونحوه[1]، وأيضًا فالتصوف والكلام خرجا من موطن واحد وهو البصرة بالعراق[2].

ولذا لا غرابة أن يجتمع التصوف والكلام في نجد، فالأثر الكلامي ظاهر بيِّن -كما في الفصل السابق- وكذا التصوف المحدث -كما سيأتي بيانه إن شاء الله-.

وقبل أن نتحدث عن واقع نجد ومدىٰ تأثره بالتصوف، يجدر بنا أن نشير إلىٰ أن تأثر بعض علماء نجد بالتصوف قد يكون امتدادًا لتأثر متأخري الحنابلة بالتصوف، فإن القارئ لتراجم الحنابلة في كتاب السحب الوابلة -علىٰ سبيل المثال- ليجد أعدادًا كبيرة من الحنابلة الذين تلبَّسوا بالطرق الصوفية المحدثة[3].

وأحسب أن التصوف لدىٰ علماء نجد -قبل الدعوة الإصلاحية- أقل ظهورًا وتأثيرًا من تصوف الحنابلة في مصر والشام ونحوها، فأولئك الحنابلة ينتسبون إلىٰ طرق صوفية، مع احتفاء بلبس الخرقة، والتعبُّد بالعزلة والخلوة، وغير ذلك من شطحات الصوفية ومخاريقهم[4]، وهذا ما لم يكن ظاهرًا لدىٰ أولئك النجديين، ولذا جزم بعض الباحثين أن الصوفية لم تكن ذات جذور في نجد[5].

---

(١) انظر: الاستقامة (١/ ١٠٢)، والردُّ على حزب الشاذلي (ص٦١).

(٢) انظر: التدمرية (ص٢٣٥)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٨).

(٣) انظر: السحب الوابلة (١/ ٢٢)، (٢/ ٤٤٤، ٧٥٣، ٧٥٩، ٨٠٦، ٨٥٠، ٨٦٣، ٨٦٥، ٨٦٨، ٨٩٧)، (٣/ ٩٧٩، ١٠٢٠، ١٠٣٦، ١١١٩).

(٤) انظر: الإحالات السابقة، وانظر تعليق المحقق -العثيمين- (١/ ٢٢، ٢٣).

(٥) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد الله العثيمين (ص٢١).

وعلىٰ كلٍّ فإن جملة من هذا التعبُّد مما ليس مشروعًا، قد يلحظ في ثنايا كتب الفقه عند متأخري الحنابلة، فكتاب «كشاف القناع عن الإقناع» للبهوتي -رحمه الله- يحوي أمثلة متعددة علىٰ ذلك، مثل الذكر الجماعي، والتوسل بذوات الصالحين، والدعاء وقراءة القرآن عند القبور، وشدِّ الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ[1].

والبهوتي ومؤلفاته لها مكانتها ومنزلتها عند علماء نجد آنذاك، مع أن جملة من المسائل التي أباحها في كشاف القناع، قد منعها في «شرح منتهىٰ الإرادات»، وقد أشار -رحمه الله- في خطبة شرح منتهىٰ الإرادات إلىٰ أنه استفاد من كشاف القناع، فالكشاف متقدِّم علىٰ شرح منتهىٰ الإرادات.

ومهما يكن فإن التصوف المحدث، وما يشتمله من عبادات مبتدعة، وأذكار غير مشروعة، وغلو في الأولياء ونحوهم، والافتتان بالقبور، وسائر البدع المتنوعة... إن ذلك ليظهر علىٰ عموم الناس، بخلاف الأثر الكلامي النظري، فقد لا يظهر إلا علىٰ خاصة الناس من العلماء وأشباههم.

وهذا ما نلمسه في واقع نجد، فإن رسوم التصوف وشطحاته تلحظ من خلال معلومات متفرقة سواء في رسائل العلماء وتقريراتهم، أو كتب التراجم والتاريخ، والأشعار والمنظومات.

ومن ذلك أن رسالة الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي -والد الشيخ الإمام- تكشف شيئًا من مخاريق المتصوفة ودجلهم «وأخذهم النار، وضربهم أنفسهم بالحديد ونطوطهم من السطوح، ولعبهم بذكر الله، حتىٰ إنهم يفعلونه كالنبح...»[2].

(١) انظر: «المسائل العقدية التي خالف فيها بعض فقهاء الحنابلة إمام المذهب -كتاب كشاف القناع نموذجًا-» لحمود السلامة.

(٢) مجموعة الرسائل النجدية (١/ ٥٢٣).

وهذه الرسالة المهمة تجلي واقعًا مترديًا؛ فالأحوال الشيطانية للمتصوفة كانت ظاهرة مشاهدة عند أهل حرمة، بل بلغ الانحراف إلىٰ كثرة من اتبع هؤلاء الشياطين من أهالي حرمة، والمجادلة عنهم... كما في قول الشيخ عبد الوهاب: «واعلموا أن أهل حرمة وأضرابهم الذين اتبعوا هذا الشيطان، أتباع كل ناعق، وأن من حضرهم منهم، أو جادل عنهم، أو قال لهم أشياء مستحسنة فلا يصلىٰ خلفه، ولا تقبل شهادته...»[1].

وتغليظ الشيخ عبد الوهاب زجره وتحذيره من هذه الخوارق الشيطانية يعطي أيضًا دلالة علىٰ ظهورها واستفحالها، كما أن سؤال الشيخ عبد الله بن سحيم للشيخ عبد الوهاب عن ذلك ليكشف أن هذا الواقع قد أورث لبسًا واشتباهًا، فاحتيج إلىٰ بيان الشيخ عبد الوهاب وجوابه.

وفي رسائل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب مواطن متعددة وإشارات مهمة تحكي أن نجدًا قد غشيتها محدثات الصوفية وشطحهم.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أعظم الناس ضلالًا متصوفة في معكال[2] وغيره، مثل ولد موسىٰ بن جوعان، وسلامة بن مانع وغيرهما، يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفرًا من اليهود والنصارىٰ...»[3].

فعبارة الشيخ: «متصوفة في معكال» قد يعطي دلالة علىٰ أنهم طائفة لها وجودها، وأشخاصها كابن جوعان وسلامة بن مانع... بل وصل الانحدار إلىٰ

---

(١) المرجع السابق (ص٥٢٤).

(٢) معكال: بلدة معروف في الرياض. انظر: تاريخ ابن بشر (١/ ١١٦) وهي الآن أحد الأحياء الشعبية في وسط مدينة الرياض.

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ «الرسائل الشخصية» (٥/ ١٨٩).

الدعوة إلىٰ هذا المذهب الرديء، كما قال الشيخ الإمام -في موطن آخر-: «ومنهم من ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض، ويدعون إليه»[(١)].

ولم يكن الشيخ الإمام وحده الذي يغلِّظ ويحذِّر من سبيل ابن عربي وابن الفارض، فالشيخ عبد الله بن عيسىٰ[(٢)] قد أنذر من ذلك فقال:

«وأما الاتحادي ابن عربي صاحب الفصوص المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب، وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلًا، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، فإن ابن عربي وابن الفارض ينتحلان نحلًا تكفرهما، وقد كفَّرهم كثير من العلماء العاملين»[(٣)].

ومما يؤكد الاحتفاء بهذين الزنديقين، ما جاء في رسالة ابن سحيم الشهيرة، والتي تضمنت مفتريات وشبهات علىٰ دعوة الشيخ الإمام، وأنه يكفِّر ابن الفارض وابن عربي[(٤)].

وكان جواب الشيخ الإمام عن هذه المسألة ونظائرها: «سبحانك هذا بهتان عظيم»[(٥)]. ولا شك أن هذه الدعوة وكذا جوابها تعطي دلالة جليَّة علىٰ فداحة الانحراف سواء في نجد أو خارجه، وتكشف شدة التلبيس والمغالطة في شأن هذين الملحدين، فابن سحيم يهوِّل من هذا الاتهام، ويرسل إلىٰ الآفاق أن الشيخ الإمام يكفِّرهما.. والشيخ الإمام ينفي هذا الاتهام، ويجعله بهتانًا عظيمًا.

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ «مختصر السيرة والفتاوى» (٣/ ٢٤).

(٢) كان ابن عيسى قاضيَ الدرعية لما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة، وقد أثنى عليه الشيخ قائلًا: «إن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلَّ منه...» مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١٨٦، ١٨٧).

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ «الرسائل الشخصية». (٥/ ١٩٢)

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ «الرسائل الشخصية» (٥/ ١٢).

(٥) مجموعة مؤلفات الشيخ «الرسائل الشخصية» (٥/ ١٢).

مع أن كفرهما ظاهر بيِّن، حتىٰ قال الإمام الذهبي عن ابن عربي: «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله»[1]، والإمام البقاعي إنما جعل كتابه تنبيهًا للغبيِّ فحسب! فسمَّاه «تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي».

كما قال الذهبي -عن تائية ابن الفارض-: «فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلالة...»[2].

وأما نفي الشيخ الإمام عن نفسه دعوىٰ تكفير ابن عربي وابن الفارض؛ فلأنه لم يقرر تكفيرهما ولم يتحدث عنهما أو يشتغل بهما، لا سيما وأن الشيخ الإمام في مستهل دعوته، وابتداء تعليمه وتبليغه، ويحتاج إلىٰ الترفق بالناس وتأليفهم[3]. خاصة وأن فئامًا من الناس يعظِّمون ابن عربي، وينخدعون بكتابه «الفتوحات المكية»، وكذا ابن الفارض، حتىٰ قال ابن تيمية: «ولهذا تجد كثيرًا من عوام أهل الدين والخير ينشد قصيدة ابن الفارض، ويتواجد عليها، ويعظِّمها ظانًّا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة، وهو لا يفهمها، ولا يفهم مراد قائلها...»[4].

ومما يجلي أثر التصوف في نجد ما قرره الشيخ الإمام -في عدة مواطن- بشأن معنىٰ الإله، فقال: «والإله الذي يسمونه عوامنا «السيِّد» و«الشيخ» و«الذي فيه السرُّ»...»[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: مجموعة التوحيد النجدية (ص٣٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧٩).

(٥) تاريخ ابن غنام (٢/ ١٠٦).

وقال في موطن آخر: «فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا: السرَّ والولاية، والإله معناه الذي فيه السرُّ، وهو الذي يسمونه الفقراء[1] الشيخَ، ويسمونه العامة السيِّد وأشباه ذلك»[2].

ومن المعلوم أن تعظيم السادة، والشيوخ، ووصفهم بالوَلاية... مما يتوارد ويكثر عند المتصوفة، والشيخ الإمام ههنا يخاطب العامة وأشباههم بما يعرفون.

وذلك يصوِّر جانبًا مهمًّا من تغلغل التصوف في واقع نجد؛ إذ كانت هذه المصطلحات الصوفية ونحوها معلومة عند العامة.

إضافة إلىٰ ذلك ففي عبارة للشيخ الإمام يُعرِّض بأهل القصيم قائلًا: «وأهل القصيم غارهم أن ما عندهم قبب ولا سادات»[3].

فالمقالة تشير إلىٰ ظهور القباب، والافتتان بالسادة في نجد، إلا أن القصيم كانوا في عافية من ذلك، وأن تلبَّسوا بمخالفات أخرىٰ للتوحيد.

وقد سبق -في تمهيد هذا البحث- الإشارة إلىٰ افتتان أهل نجد بأدعياء الوَلاية، مثل: تاج، وشمسان وأولاده، ويوسف، وإدريس، إلخ. وذلك يعطي دلالة أخرىٰ علىٰ مقارفة هؤلاء النجديين لمظاهر التصوف وأحواله.

وقد حكىٰ محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان -وهما من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب- تراكم البدع وظهورها في نجد، وتحدثا عن حالهما قبل ظهور هذه الدعوة المباركة، فقالا: «لا نفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولا نفرق بين السنة والبدعة، فنجتمع ليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم ينزل بها

---

(١) الفقراء هم الصوفية.

(٢) تاريخ ابن غنام (٢/ ٢٦٤)، وانظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٥٢).

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ «الرسائل الشخصية» (٥/ ٢٢٣).

من سلطان، ونضيع الفريضة، ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يخطب به علىٰ منابرهم، ومن ذلك: اللهم صلِّ علىٰ سيدنا وولينا، ملجأنا منجانا، معاذنا ملاذنا[1].

هذه السطور تزيح الستار عن واقع قاتم لحال نجد، إذ ظهرت البدع وغلظت، والتبس الحق بالباطل، فلا يفرق بين الصدِّيق والزنديق، ولا السنة والبدعة، بل يجاهر بعبارات الشرك علىٰ رؤوس المنابر.

كما تمثَّل هذا التصوف -وما يحويه من غلو وابتداع وتعبُّد محدث- في قصائد الشعراء قبل ظهور الدعوة[2]، ونقتصر علىٰ مثال واحد، كما في قصيدة للشاعر راشد الخلاوي، إذ يقول:

«وأصـلي صـلاة تملأ الأرض والسما
صـلاة وتسـليم مـن الله واجبـة
على المصطفى سرِّ الوجود الذي سرى
إلى حـضرة مـا نـالهـا كـود جانبه
هو الشافع المقبول في كل ما جرى
وإن شبَّـت الـنيرات عنها يـلاذ به
خـذ في يـدي أقـولها في وغـى الحشر
وفي يـد منيع صاحبي هـو وأقـاربـه
على ذاتـك العلي صـلاة مـدى الدهر
مـا كـرر الله الجـديـدين دايبـه

(١) علماء نجد للبسام (٤/ ٣٦٨) باختصار.

(٢) انظر: الحياة الاجتماعية عند حضر نجد للعريني (ص٥٤ - ٦٠).

تغشاك يـا خـير الـورى كـل مـا ذرى

هبوب ومـا سحَت بـالأنـوا سحايبه

عـلى القبة الخـضراء تـروى وتنثنى

على الآل والصحب الكرام الأطايبه[١]».

ولا يخفىٰ ما في هذه الأبيات من غلو في مقام النبي محمد ﷺ، كما في قول الخلاوي: «خذ في يدي...»، وكذا استعماله ألفاظ دارجة عند المتصوفة كقوله: «المصطفىٰ سر الوجود»، و: «الحضرة».

بل إن صاحب «السحب الوابلة» يعدِّد مناقب ابن فيروز فيقول: «ذو مشرب من منهج الصوفية»[٢].

وبالجملة فإن للتصوف -وما يندرج تحته من تعبد محدث وغلو وابتداع ونحوه- وجودًا وأثرًا في تقريرات علماء نجد وحالهم، كما هو مبيَّن في السطور الآتية:

١- أطلق الشيخُ عثمانُ بن قائد علىٰ الشيخ أحمد بن عطوة هذه الأوصاف الآتية: «ذي الكرامات الظاهرة، والآيات الباهرة، الذي فتح الله بن مقفَلات القلوب، وكَشَف به معضلات الكروب»[٣].

ومع كون الشيخ عثمان بن قائد فقيهًا، إلا أن هذه الألقاب ذات نَفَس صوفي: «العارف بالله»، وكذا قوله: «الذي فتح الله به، إلخ». فهذا من الغلو والإفراط في الأولياء والصالحين كما هو مشهور عند أرباب الطرق الصوفية.

(١) ديوان راشد الخلاوي (ص١٧٠، ١٧١).

(٢) السحب الوابلة (٣/ ٩٧٩).

(٣) السحب الوابلة (١/ ٢٧٥).

وقرر عثمان بن قائد استحباب زيارة قبر النبي ﷺ، واحتج بحديث: «من حج فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حياتي» أخرجه الدارقطني[1]. وهو حديث ضعيف لا يعوَّل عليه.

يقول ابن تيمية: «فإن أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة، لا يعتمد علىٰ شيء منها في الدين، ولهذا لم يروِ أهل الصحاح والسنن شيئًا منها، وإنما يرويها من يروي الضعاف كالدارقطني والبزار وغيرهما.

وأجود حديث فيها ما رواه عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف، والكذب ظاهر عليه، مثل قوله: «من زارني بعد مماتي فإنما زارني في حياتي»، فإن هذا كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين، فإن من زاره في حياته، وكان مؤمنًا به، كان من أصحابه، لا سيما إن كان من المهاجرين إليه، المجاهدين معه»[2].

٢- وأما الشيخ ابن منقور صاحب المجموع، فهو وإن أنكر جملة من البدع والمحدثات -كما سبق بيانه في الفصل الأول- لكنه في المقابل قد وقع في بعض الهنات.

ومن ذلك أنه نقل عمن جعل التسبيح بالسبحة مستحبًا حسنًا، محتجًّا بفعل المتصوفة: «وما زال أكابر المشايخ من أهل التصوف والعلم يفعلون ذلك»[3].

ومهما يكن الاختلاف في التسبيح بالمسبحة سواء من قال بشرعية ذلك، أو بدعيته، أو إباحته، لكن الاحتجاج عليها بمجرد صنيع الصوفية هو محل تعقيب ونظر، وهذا الاحتجاج يكشف أثرًا للتصوف علىٰ الشيخ ابن منقور.

---

(١) انظر: هداية الراغب لشرح عمدة الطالب لعثمان بن قائد (ص٢٩٣).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٣٣، ١٣٤) ت: ربيع مدخلي، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨٥)، والرد على الأخنائي (بهامش الردِّ على البكري) (ص١٤٤).

(٣) مجموع ابن منقور (١/ ٧٧).

ومثال آخر أن ابن منقور نقل أورادًا وأدعية تقال عند دخول مكة، وأدعية مخصصة تقال عند الطواف، فدعاء يقال عند الملتزم، وآخر عند المقام، وثالث عند الميزاب، إلخ[1].

ولا يخفىٰ أن العبادات مبنية علىٰ التوقيف، والتخصيص بهذه الأدعية وهيئاتها يحتاج إلىٰ دليل، وإلا كان أمرًا محدثًا.

وكذا جاء في المجموع: «فإذا شاهد المدينة المشرفة، وحجرته العالية، ترجَّل، وخلع النعلين، ونكس الرأس، وتواضع في نفسه، وتمسكن، ومشىٰ رويدًا»[2].

ففي هذه العبارات ما لم يشرعه الله علىٰ لسان نبيه ﷺ، كما أن فيها غلوًّا وإطراءً محذورًا، وقد نهىٰ النبي ﷺ عن الغلو فيه، وحمىٰ جناب التوحيد، وسدَّ كل طريق يفضي إلىٰ الشرك.

- ومما يجدر ذكره أن ابن منقور نقل سؤالًا وجوابه لابن تيمية بشأن هذا الذكر: «بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا...»[3].

وإيراد هذا السؤال وجوابه يضيف معلومة أخرىٰ عن حضور للتصوف؛ فإن هذا الذكر من حزب أبي الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية، وقد أفرد ابن تيمية مصنَّفًا مستقلًا في الردِّ علىٰ الشاذلي في حزبه، وقد طبع أخيرًا[4].

ومما حرره ابن تيمية في هذا الشأن قوله: «قول القائل: «بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، دعاء ليس مأمورًا به، ولا من جنس المأمور، وهو مما تنكره

(١) انظر: مجموع ابن منقور (١/ ١٧٣ -١٧٥).
(٢) انظر: مجموع ابن منقور (١/ ١٧٩)، وقرر ذلك في كتابه جامع المناسك الثلاثة (ص١٣٦).
(٣) انظر: مجموع ابن منقور (١/ ٦٢، ٦٣).
(٤) طبع أولاً بتحقيق د. سمية علي أحمد، ثم حققه علي العمران.

القلوب، فإن جعل كلام الله بمنزلة الباب والسقف والحيطان يحتاج مثله إلىٰ أثر وإلا فهو بدعة، وقد يُفهم من ذلك انتقاص حرمته»[1].

وفي كتابه «جامع المناسك الثلاثة الحنبلية»[2]، قال: «إذا نَدَّتْ منه [دابته] قال: يا عباد الله احبسوا»[3].

وهذا الحديث قد يحتج به من يجوِّز دعاء الغائبين، ومع أن الحديث ضعيف، وجزم بعضهم بأنه موضوع، وعلىٰ فرض صحته فهذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه، كما في رواية: «فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم»[4].

ومما أورده بشأن زيارة قبر النبي ﷺ: «وينبغي للزائر أن يسأل لأهله وإخوانه الشفاعة، ويقول: اللهم أتيتُ قبر نبيك محمد، متقربًا إليك بزيارته، وأنت قلتَ وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾...» [النساء: ٦٤]»[5].

وهذا الصنيع ليس مشروعًا، ولا مأثورًا عن سلف الأمة؛ إذ طلب الشفاعة منه ﷺ، والاحتجاج بالآية إنما هو في حياته، «فإن أحدًا منهم [أي السلف الأوائل] لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئًا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء»[6].

---

(١) الردُّ على الشاذلي ت: العمران (ص٤٦)، وهو بتحقيق د. سمية علي (ص٦٦).

(٢) يعني: البهوتي، والخلوتي، وابن بلبان.

(٣) جامع المناسك الثلاثة (ص١٧).

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٢٤٣، ٢٤٤).

(٥) جامع المناسك الثلاثة (ص١٤٢).

(٦) قاعدة جليلة في التوسل لابن تيمية (ص٢٥)، وانظر: جامع الرسائل (٢/ ٣٧٧)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٥٨)، والصارم المنكي لابن عبد الهادي (ص٣٣٨).

٣- وفي الرسالة الخطية الموسومة بـ«النقل المختار من كلام الأخيار» لمنيع العوسجي، إذ يقول رحمه الله: «فلعمر الله إنه لا يبعد في الذهن الوهن أن في العالم البشري من لا يضيق وسعه، ويتفرَّق جمعه عند نزول واقعات المكاره، بل يصبر ويرضىٰ، ولا يتألم بموت ولده، أو عاهة تصيبه في ماله أو جسده، أو هذا الخطب يضعف عن حمله جَلَد الرجال، وإن قال باللزوم من قال، اللهم إلا أن يكون من المعصومين، أو من أفراد الناس ممن وصل إلىٰ أعلىٰ درجات الفناء، وقليل ما هم»[1].

فأطلق «الفناء» وهو من المصطلحات المتداولة والألفاظ الشائعة عند المتصوفة، وقد بيَّن المحققون من أهل العلم -كابن تيمية وابن القيِّم- ما في هذا اللفظ من الإجمال والاشتراك[2]، وإن كان الغالب في إطلاقه عند الصوفية هو الفناء عن شهود السوىٰ، وهو الفناء عن العلم بالغير والنظر إليه، فيعتريه الغيبة عن شعوره بنفسه وبما سوىٰ الله، وهذا الفناء لا يوجب مدحًا؛ إذ لم يعرض للنبي ﷺ والسابقين الأولين.

٤- وأما ابن فيروز ذو المشرب الصوفي -كما وصفه صاحب السحب الوابلة- فقد صنَّف مصنفًا أرسله إلىٰ الشيخ الإمام قرر فيه أن هذا الذي يفعل عند القبور من دعاء الأولياء وطلب الشفاعة منهم هو الدين الصحيح، واحتج بقول النابغة:

---

(١) النقل المختار ق ٤.

(٢) انظر: التدمرية (ص٢٢١)، منهاج السنة (٥/ ٣٥٦)، والرد على المنطقيين (ص٥١٦)، وطريق الهجرتين لابن القيم (ص٢٦٠).

(٣) انظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٠٦).

أيا قبر النبي وصاحبيه ووامصيبتنا لو تعلمونا

٥- وأما المويس فلم يكن متلبسًا بشكوك الكلام فحسب، بل اعتراه شطح الصوفية أيضًا، وقد أشار الشيخ الإمام إلىٰ إجازات المويس من عند مشايخه، «وأن شيخ مشايخه عبد الغني[١]، ويثنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله، وهذا اشتُهر عنه أنه علىٰ دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون».

والمويس عدو لدود لهذه الدعوة المباركة كما هو معلوم، ومن كيده أنه يذبُّ عن الوثنية وينصرها، فقد حكىٰ الشيخ الإمام أن المويس وأصحابه رحلوا وتركوا أموالهم وأهليهم لأجل الذود عن قباب الشرك وأضرحة الوثنية، والتحريض علىٰ دعاة التوحيد، واستحلال دمائهم وأموالهم[٢].

٦- وأما سليمان بن سحيم فهو أشد عداوة وكيدًا لهذه الدعوة من سابقه (المويس)؛ إذ هو صاحب تلوُّنٍ ومراوغة، فيقول ما لا يفعل، ويقارف ما نهىٰ عنه، وقد خاطبه الشيخ الإمام بعبارة موجعة فقال: «إنك رجل معاند ضال علىٰ علم مختار الكفر علىٰ الإسلام»[٣].

وقد تلبَّس بجمل من البدع المغلظة والمحدثات الشنيعة منها:

- خاطب الشيخ الإمام ابن سحيم قائلًا: «إنك تقول إني أعرف التوحيد، وتقرُّ أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد، وتقرؤه لهم، وتحضرهم وهو ينخون ويندبون مشايخهم، ويطلبون منهم

---

(١) لعله عبد الغني النابلسي والمتوفى سنة ١١٤٣هـ.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٧، ٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٢٨).

الغوث والمدد، وتأكل من الطعام المعد لذلك، فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم؟»[١].

وهذا النص المهم يعطي دلالة ظاهرة عما وقع في نجد آنذاك من الاحتفال بالمولد، وما يصحبه من استغاثة ودعاء للأموات.

- جوَّز ابن سحيم التذكير ليلة الجمعة، وقال: «التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه»[٢]. وزعم ابن سحيم أنه بدعة حسنة[٣].

وقد ردَّ عليه الشيخ الإمام فقال: «وأما مسألة التذكير فكلامك فيها من أعجب العجاب، أنت تقول بدعة حسنة، والنبي ﷺ يقول: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، ولم يستثنِ شيئًا»[٤].

ويبدو من خلال رسائل الشيخ الإمام أن بدعة التذكير كان لها ظهور في نجد، مع أن الشيخ الإمام قرر أنها بدعة محدثة، وأن أول ما حدث التذكير ليوم الجمعة، لتهيُّؤ الناس لصلاتها بعد السبعمائة -من الهجرة- زمن الناصر بن قلاوون[٥].

بل إن بعض المتأثرين بهذه الدعوة المباركة -كالقاضي عبد الله بن عيسىٰ وابنه عبد الوهاب- لم يغادروا هذه البدعة، وقد راسلهم الشيخ وبيَّن ظهور الأدلة علىٰ إنكار بدعة التذكير[٦].

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٢٧).
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٣١).
(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٣٤).
(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٣٤).
(٥) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٣٥).
(٦) انظر: المرجع السابق (٥/ ٣١٤).

وجاء في رسالة ثالثة ما يُشعر بتمكن هذه البدعة واعتيادها، حتىٰ ربما ثقل تركها علىٰ بعض الأتباع.

كما في قول الشيخ -رحمه الله-: «إن ابن صالح[1] سألني عن التذكير، فقلت إنه بدعة، فذكر أن عنده مَن لا يعرف الجمعة إلا به، وذكرتُ له أن رسول الله ﷺ أعلم منَّا بمصالح أمته، وهو سنَّ الأذان ونهىٰ عن الزيادة، فلما فتح الله لكم بابًا من اتباع نبيكم ﷺ، فلا تتثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله»[2].

وهذه البدعة اندرست وانطمرت، وأضحت أثرًا بعد عين، فالحمد لله علىٰ الإسلام والسنة.

- من الأعمال البدعية التي ارتكبها ابن سحيم أنه يكتب الحجب والعزائم المحرمة، ويأخذ علىٰ ذلك أجرة، وأسوأ من ذلك أنه يكتب الطلاسم... ثم يزعم أنه يفقه التوحيد! يقول الشيخ الإمام -رحمه الله-: «إن تعليق التمائم من الشرك بنص رسول الله ﷺ... وأنت تكتب الحُجُب، وتأخذ عليها شرطًا، حتىٰ إنك كتبتَ لامرأة حجابًا لعلها تحبل، شرطتَ لك أحمرين[3]، وطالبتها تريدُ الأحمرين، فكيف تقول إني أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا.

وتكتب في حجبك الطلاسم، وقد ذكر في «الإقناع» أنها من السحر، والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم؟ وإن جحدتَ فهذا خط يدك موجود»[4].

---

(١) ابن صالح من أنصار الدعوة والمنافحين عنها ضد ابن سحيم. انظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٢٨)، بحث «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب للعثيمين» (ضمن بحوث أسبوع الشيخ) (١/ ١١١).

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ «الفتاوى» (٣/ ٨٦).

(٣) الأحمر من العملات النقدية المتداولة آنذاك.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٢٧).

وإذا كان ابن سحيم مطوع الرياض بهذا الحال المشين، لا سيما وأن هذه الأحوال البدعية التي ارتكبها قد صارت ظاهرة مكشوفة، فالناس يشهدون بأن مطوعهم يكتب الحُجُب الشركية ويأكل السحت عليها، فما بالك بالعوام!

خصوصًا وأن مطاوعة بلدان نجد لهم أثر بالغ علىٰ العامة، حتىٰ قال الشيخ الإمام: «وإذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها ما منهم أحد يتوقف»[(١)].

ولما كان ثمة تلازم بين الشهوة والشبهة كما هو عند الصوفية، فالمويس - مثلًا- قد جمع بين بدعة تعظيم الأضرحة وتضييع الصلوات والتهاون في صلاة الجماعة[(٢)]، وكذا ابن سحيم تلبَّس بالبدع والشبهات السابقة، كما جوَّز أكل الرشوة والسحت وقارف ذلك، كما بيَّنه الشيخ الإمام في غير رسالة، وردَّ علىٰ شبهاته ودحضها[(٣)].

٧- وأما راشد بن خنين الحنفي[(٤)] (ت ١٢٢٠هـ) فقد نظم أبياتًا تحوي غلوًّا في حق النبي ﷺ، وتعريضًا وطعنًا بإمام الدعوة، فقال راشد:

«وكن قاصدًا بالسير منك زيارة ... لمن حلَّها رغمًا لأنف المماذق

فمن قال لا تشد رحالك نحوه ... علىٰ القصد بل في ضمن شيء مطابق

فقد خالف الإجماع فيه ضلالة ... فسحقًا لمن يتبع ضلالة مارق

فزر قبره إن الزيارة سنة ... علىٰ كل مشتاق إليه وشائق

ونافس بها أيام عمرك كلها ... تفقها وفاقًا عند أهل التوافق

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٠٧).
(٢) انظر: علماء نجد (٤/ ٣٦٨)، (١/ ٥٠٤- ٥٠٦).
(٣) مجموع مؤلفات الشيخ (٥/ ٦٣)، (٣/ ١٦-٢٦).
(٤) انظر: ترجمته في علماء نجد (٢/ ١٨٢).

توجـه إلـىٰ وجـه الوجيـه مقابـلًا   وشـاهد لأنـوار الحبيـب البـوارق

وقـف مـن بعيـد مطرقًـا متأدبًـا   ولا تتفكـر في نقـوش السـرادق

وسلِّم بلا صوت رفيع علىٰ الذي   تلـوذ بـه مـن كل خطـب مضايـق

محمـد الجالـي عـن القلـب رينـه   ومن فاق حقًّا في العلىٰ كل فائق»[1]

هذه الأبيات تنضح بالإفراط والغلو، فأدناها تجويزه شدَّ الرحال إلىٰ زيارة القبر النبوي، وأشنعها زعمه أن محمدًا ﷺ يجلو عن القلب الرين والذنوب، إضافة إلىٰ تلك الدعاوىٰ العريضة التي لا دليل عليها ولا برهان، كدعواه الإجماع علىٰ مشروعية شد الرحال إلىٰ زيارة القبر النبوي، وزعمه أن هذه الزيارة من أفضل الأعمال.

(١) مصباح الأنام لعلوي الحداد (ص٧٢)، وتوجد نسخة خطية لهذه القصيدة -في دار الملك عبد العزيز، مكتبة سامي السلمان رقم ٥٣- لكن دون هذه الأبيات.

الخاتمة

نخلص في خاتمة هذا البحث إلىٰ النتائج الآتية:

- أن واقع نجد حافل بأنواع الضلالات والانحرافات، كما أثبته العلماء والمؤرخون والشعراء، ومن خلال حقائق علمية، وأمثلة واقعية، فليست حكاية هذا الواقع المتردي لنجد مقصورة علىٰ ما سطره ابن غنام أو ابن بشر.

- أن ظهور مذهب أحمد في نجد كان سببًا رئيسًا في تحقق تقريرات سلفية من قبل علماء نجد، سواء كان في إثبات الصفات الإلهية، أو أصول أهل السنة في باب الصفات، ومجانبة مخاريق الصوفية والتحذير منها، ولزوم السنة وذم البدع ونحوها.

- أن الانتساب لمذهب أحمد مع معارضة دعوة الشيخ الإمام عند أولئك المناوئين، قد يكون باعث هذا الاعتراض أنهم وافقوا مذهب الإمام أحمد في مسائل، وخالفوه في مسائل أخرىٰ، فلو كانت موافقتهم لمذهب أحمد بإطلاق لما وقعوا في هذا الاعتراض والشغب علىٰ الدعوة الإصلاحية، كما يحتمل أن تكون موافقتهم لمذهب أحمد علىٰ سبيل الإجمال، وقد تكون المعارضة عن حسد أو شهوة أو حبِّ رياسة ونحوها.

- أن تأثر بعض علماء نجد بالكلام والتصوف واقع ومتحقق -كما سبق بيانه-، وأن هذا التأثر هو امتداد لما كان عليه متأخرو الحنابلة من شوائب كلامية ومشارب صوفية... مع أن الأثر الكلامي أو الصوفية علىٰ حنابلة نجد ليس بارزًا

ولا قويًا كما في سائر البلدان، وقد يكون الانتساب لمذهب الإمام أحمد دوره الإيجابي في التخفف من بدع الكلام والتصوف.

- أن المسلك الكلامي والصوفي الذي تلبَّس به بعض علماء نجد وطلاب العلم آنذاك كان سببًا رئيسًا في موقف العداء والخصومة للدعوة الإصلاحية، وأظهر مثال علىٰ ذلك، الأصلان الكبيران: ألا نعبد إلا الله، وألا نعبده إلا بما شرعه ﷺ، فالكلام أفسد الأصل الأول، فجعل الإلهية هي الخلق والقدرة علىٰ الاختراع، والتصوف أفسد الأصل الثاني، فجعل التعبد وفق العوائد والأذواق، ومن أهم وأجل أصول هذه الدعوة الإصلاحية تحقيق هذين الأصلين الجليلين، ومدافعة الشبهات والاعتراضات عليهما.

هذا ما تيسر جمعه وإعداده والله المستعان وعليه التكلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثانيًا: المقالات

(١) التكفير والقتال لدى خصوم الدعوة[١]

منذ ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وخصومها الأقربون والأبعدون يرمونها بالكفر والضلال، ويستحلون منهم الدماء والأموال، وقد أشار الشيخ الإمام إلىٰ فتاوىٰ سطَّرها أعداء ملة التوحيد آنذاك، وما فيها من تكفير من دان بالتوحيد وتضليل من دعا إلىٰ عبادة الله وحده، وحلِّ دماء وأموال الدعاة إلىٰ الملة الحنيفية[٢].

وحكىٰ الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب طرفًا من هذا البغي فقال: «هذا الدين الذي ندعو إليه قد ظهر أمره وشاع وذاع، وملأ الأسماع، من مدة طويلة، وأكثر الناس بدَّعونا، وخرَّجونا، وعادونا عنده، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، ولم يكن لنا ذنب سوىٰ تجريد التوحيد، والنهي عن دعوة غير الله، وما أحدث من البدع والمنكرات»[٣].

والرزية أن يقع الشغب والطعن في هذه الدعوة وتتهم بالتكفير والقتال بإطلاق، مع أن تكفيرهم وقتالهم مبني علىٰ علم ودليل، ونص موثَّق وبحث محقق -كما سيأتي في المقال التالي- وأن يخيِّم الصمت عن مسائل التكفير والقتال لدىٰ مخالفيهم مع أنها تفتقد الدليل والبرهان، وتستحوذ عليها جهالات وأهواء، ومصالح سياسية.

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣٦٥)، ذو الحجة، (١٤٣٨هـ).

(٢) ينظر: الدرر السنية (١/ ١٢١).

(٣) ينظر: الدرر السنية (١٠/ ٢٧٤).

ولن يكون الحديث عن التكفير عند الرافضة الذين يكفِّرون كل من لا يعترف بولاية الأئمة الاثني عشر، ويكفرون الصحابة ﷺ وخلفاء المسلمين وقضاتهم، ويحكمون علىٰ أمصار الإسلام بأنها ديار كفر، ويعدُّون أئمة المذاهب الأربعة كملل أهل الشرك[1]!

ولن يكون الحديث عن قتال الرافضة لأهل الإسلام والسنة، فهم يقررون أن قتل الناصبي «السني» دين وقربان! ومذابحهم الحاضرة في الشام والعراق ملء السمع والبصر تغني عن الدليل والبرهان.

بل لن يكون الحديث عن التكفير عند الأشاعرة، مع أنهم أقرب الطوائف إلىٰ أهل السنة المحضة، لكنهم جعلوا أول واجب علىٰ المكلف: «النظر»، وهو العلم بحدوث العالم وإثبات الصانع، وحكموا علىٰ عوام أهل الإسلام الذين لا يعرفون هذه النظريات بأنهم كفار، أو فساق، أو ليسوا مؤمنين ولا كافرين[2]!

لن يكون الحديث عن أولئك جميعًا فهذا مبسوط في موضعه، وإنما نقتصر هنا علىٰ مشاهد عملية، ووقائع تاريخية لخصوم الدعوة المعاصرين لها، الذين باشروا العداء والبغي بالتكفير والقتال، كما في هذه النماذج الآتية:

- حكىٰ أحمد زيني دحلان أنه في سنة ١١٦٥هـ أَمَر شريفُ مكة قاضيَ الشرع أن يكتب حجة بكفر علماء الدعوة الوهابية، الذين حضروا لمناظرة علماء الحرمين[3]، ثم قال دحلان: «وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال، ووضعهم في السلاسل والأغلال، فقبض منهم جماعة وسجنهم، وفرَّ الباقون»[4].

---

(١) ينظر: أصول مذهب الشيعة، للقفاري (٢/ ٤٣٧-٤٤٠، ٥٧٣، ٧١٦).

(٢) ينظر: الأشاعرة عرض ونقض، لسفر الحوالي (ص٢٢-٣٢).

(٣) ينظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية، لدحلان (ص٤٧).

(٤) ينظر: الدرر السنية في الرد على الوهابية، لدحلان (ص٤٧).

- وذكر دحلان في موضع آخر ما وقع في سنة ١١٨٤هـ فقال: «أمر الشريف أحمد بن سعيد العلماء أن يختبروا علماء الوهابية القادمين من الدرعية، فوجدوهم لا يتدينون إلا بدين الزنادقة»[١].

وبغض النظر عن مدىٰ صحة ما سوَّده دحلان من تلك المقولات إلا أن الذي يعنينا ههنا هذا الحنق الشديد والبغي المكشوف ضد الدعوة وعلمائها، حتىٰ دوَّن «قاضي الشرع» محضرًا بتكفير علماء الدعوة! فضلًا عن فداحة نبز علماء الدعوة بالإلحاد والزندقة!

- وفي سنة ١١٧٨هـ قُتل من أتباع الدعوة خمسمئة رجل في وقعة الحاير، التي انهزم فيها أتباع الدعوة علىٰ يد المكرمي الإسماعيلي الباطني[٢]. ولما استولىٰ أولئك الباطنية علىٰ زبيد سنة ١٢٣٧هـ جمعوا النساء الشريفات والعربيات في المسجد الجامع، ثم حملوهن إلىٰ نجران، وباعوهن كما تباع الإماء[٣]!

- وهذا محمد بن عبد الله بن فيروز (ت ١٢١٦هـ) مع أنه من المشتغلين بالفقه، وقد تصدر للفتيا والتدريس وله قرابة نسب بالشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، لكن الفجور في الخصومة أذهب ذلك كله، فنقل عنه أنه قال: إن الشيطان ربما واقع أمَّ محمد بن عبد الوهاب فكان الشيطان أبًا لمحمد بن عبد الوهاب[٤]!

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية، لدحلان (ص٤٧).

(٢) ينظر: تاريخ ابن غنام (٢/ ٦٥)، تاريخ ابن بشر (١/ ٩٣،٩٤).

(٣) ينظر: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأدب والفكر، لعبد الله أبي داهش (ص١٣٣).

(٤) ينظر: الصواعق والرعود، لعبد الله بن داود، (مخطوط) الورقة الأولى.

وكاتب ابن فيروز الدولة العثمانية محرِّضًا لها علىٰ قتال أتباع الدعوة[1]، ونظم قصيدة في ذلك[2]، وكتب رسالة في الرد علىٰ دعوة الشيخ قال فيها: «والحاصل أن أمر طغاة نجد لا يُشكل إلا علىٰ من تُشكل عليه الشمس، ولا يتَوقف في تكفيرهم وحل دمائهم وأموالهم من له مسكة من الدين، ولا يتوقف في كون من قتلوه شهيدًا، ومن قتلهم مثابًا»[3].

- وهاك واقعة «ذبحة المطاوعة» كما سمَّاهم بعض مؤرخي نجد[4]، حيث تمالأ بعض أمصار نجد علىٰ الغدر ونقض العهد سنة ١١٩٦هـ، واتفقوا علىٰ قتل طلبة العلم -من أتباع الدعوة- الذين كانوا يعلمونهم دين الله، ونفذوا ذلك في يوم معلوم، فقتلوا من عندهم من معلمين وأئمة مساجد[5].

- ودوَّن المؤرخ الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٨هـ أن مرسومًا عثمانيًّا وصل إلىٰ مصر، وفيه أمر الخطباء يوم الجمعة بالدعاء للسلطان لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وغزت الخوارج -يقصدون أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- وأخرجتهم منها، ولأن المفتي أفتاهم بأنهم كفار، وأن من قاتلهم شهيد إذا قتل[6].

- ومن البلية والتضليل أيضًا أن حملات محمد علي باشا علىٰ قلب جزيرة العرب، قد صاحبها علماء من المذاهب الفقهية الأربعة من أجل نصح الناس وتلك الجيوش الغازية، والتحذير من الوهابية المبتدعة[7]!

(١) ينظر: السحب الوابلة، لابن حميد (٣/ ٩٧٣).
(٢) ينظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٢٠٦-٢١٨).
(٣) الرد على ابن فيروز لعبد الله آل محمود (ص٣٦).
(٤) ينظر: تاريخ ابن ضويان (ص٥٠)، والأخبار النجدية للفاخري (ص١٢٠).
(٥) ينظر: تاريخ ابن غنام (٢/ ١١٢- ١١٣)، وتاريخ ابن بشر (١/ ١٤٦- ١٤٧).
(٦) ينظر: من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي (ص١٤٥).
(٧) ينظر: تاريخ الدولة السعودية الأولى، لمانجان، ترجمة البقاعي (ص٣٦، ٣٧).

- ولما استولىٰ «رسول الحضارة الغربية» إبراهيم باشا علىٰ الدرعية سنة ١٢٣٣هـ ارتكب جرائم ومذابح تفوق الوصف! فقد قتل جماعة من العلماء والأعيان صبرًا بالبنادق، وجعل بعضهم في فوهة المدافع فتمزقت أجسادهم إربًا[١]! ثم جاء الأمر من الطاغية محمد علي باشا سنة ١٢٣٤هـ بهدم الدرعية وتدميرها، وقطع نخيلها وأشجارها، وألَّا يرحموا صغيرها ولا كبيرها، ثم أشعلوا النيران في بيوتها[٢]، «فتركوها خالية المساكن، كأن لم يكن فيها من قديم ساكن، وتفرَّق أهلها في النواحي والبلدان»[٣].

لكنَّ سعار القتل والطغيان ظل ساريًا ونافذًا في تلك العساكر المستبدة، فأقدموا -وبتدبير من إبراهيم باشا- علىٰ قتل فئام من رؤساء وأعيان نجد سنة ١٢٣٤هـ[٤]، وأما أهل الدرعية الأحياء والمنكوبون بفقد قراباتهم وتدمير بلادهم فقد هرب فئام منهم إلىٰ ثرمداء، فخدعهم الأتراك سنة ١٢٣٦هـ، فنادىٰ أولئك الترك بأنهم سينقلونهم إلىٰ البلاد التي يرغبون في الرحيل إليها، فلما اجتمعوا أعمل الأتراك فيهم القتل والاستئصال، حتىٰ أفنوهم جميعًا، وهم نحو مئتين وثلاثين رجلًا[٥].

وعقب هذه المذابح والاستئصال للرجال، والهدم والتحريق للمساكن والزروع، هنأت الحكومة البريطانية -بواسطة سادلير- إبراهيم باشا علىٰ هذا

---

(١) ينظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٤٢١، ٤٢٤).

(٢) ينظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٤٢٦-٤٣٦)، (٢/ ٩،١٠)، وتاريخ الدولة السعودية الأولى، لمانجان (ص١٩٤،١٩٥).

(٣) تاريخ ابن بشر (١/ ٤٣٤).

(٤) ينظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٤٣٧).

(٥) ينظر: تاريخ ابن بشر (١/ ٤٥٣،٤٥٤).

النجاح، وأظهرت رغبتها في إقامة اتفاق مع إبراهيم باشا من أجل سحق نفوذ الوهابيين سحقًا كاملًا[1].

وحكىٰ الشيخ محمد رشيد رضا أن جريدة «القبلة» -لسان الملك حسين آنذاك- كانت تكيل الأكاذيب علىٰ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن الملك حسين أصدر عدة منشورات في جريدة القبلة سنة ١٣٣٦هـ، وسنة ١٣٣٧هـ رمىٰ الوهابيين بالكفر، وقام بعض المنتفعين في دمشق وبيروت والقاهرة بطبع الرسائل في تكفير الوهابيين، ورميهم بالأكاذيب[2].

وأما ابنه فيصل بن الحسين ملك العراق، فقد كان أسوأ من أبيه؛ إذ كتب إلىٰ الإنجليز سنة ١٣٣٧هـ بأن «الوهابية مرتبطة بالشيوعية، وأن الوهابيين يجب قتلهم، فهذه هي الوسيلة الفعالة»[3].

وأما عبد الله بن الحسين فقد كان شر الثلاثة! فإنه لما دخل تربة سنة ١٣٣٧هـ أسر بعض الإخوان -إخوان من أطاع الله- وأهان بعضهم، وقال: أنتم تكفروننا، فقالوا: لا نكفِّر إلا من كفَّره القرآن والسنة، ثم أمرهم بتكفير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأبوا ذلك.. فوضعهم علىٰ فم المدفع ثم أطلق قنابل المدفع التي نثرت أشلاءهم[4].

وأخيرًا فإن هذا التكفير الواقع من خصوم الدعوة -وما لحقه من الإبادة ووحشية القتل والقتال- لا دليل عليه ولا برهان، بل هو فجور في الخصومة، حتىٰ أفضىٰ بهم إلىٰ اتهام أتباع الدعوة بأنهم زنادقة ملاحدة شيوعيون!

---

(١) ينظر: رحلة عبر الجزيرة العربية، لسادلير (ص١٥٦،٧، ١٥٧).

(٢) ينظر: مجلة المنار، م٢٤، ج٨، (ص٥٨٤).

(٣) السعوديون والحل الإسلامي، لجلال كشك (ص٧٠٢).

(٤) ينظر: صفحات مطوية من تاريخ الجزيرة العربية، لإبراهيم الدميجي (ص٢٥٠).

فعلام السكوت المطبق عن أفاعيل خصوم الدعوة من تكفيرٍ وقتالٍ، والتشهي والتشفي باتهام الدعوة بالتكفير الغالي والقتال الباغي؟!

لكن لما كان البغي لا ينفك عن لازمه من سقوط الباغي وظهور المبغي عليه كما هو مشاهد، فإن أولئك الخصوم قد هلكوا وزالت دولهم، وظلَّت هذه الدعوة الإصلاحية تسري في العالم كله سريان الماء في الورد.

وقد أشار العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته الرائعة «المقامات»، إلىٰ أن كل من عادىٰ هذه الدعوة من الحاضرة والبادية قد أهلكهم الله، وأن الخونة الذين أعانوا إبراهيم باشا ونصروه قد أفناهم الله، وكذا الدول التي حاربت هذه الدعوة لم تبقَ منها اليوم عين تطرف[1].

(١) ينظر: الدرر السنية (١٢/ ٢٢، ٣٧، ٣٩).

(٢) التكفير والقتال لدى أئمة الدعوة[١]

لما بيَّن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب مسألتي التوحيد والشرك صدَّقه علماء آنذاك، لكن كذبوه وأنكروا عليه مسألتين: التكفير لمن بان له التوحيد ثم أبغضه وحاربه، وقتال هؤلاء المعارضين المحاربين[٢].

وقد أجاب الشيخ عن هذا التفريق فقال: «فإذا قيل: التوحيد زينٌ والدين حقٌّ إلا التكفير والقتال، قيل: اعملوا بالتوحيد ودين الرسل، ويرتفع حكم التكفير والقتال، فإذا كان حق التوحيد الإقرار به، والإعراض عن أحكامه، فضلًا عن بغضه ومعاداته؛ فهذا والله عين الكفر وصريحه»[٣].

وقرر الشيخ بالأدلة الشرعية والشواهد التاريخية وقوعَ الشرك في هذه الأمة، كالذين حرَّقهم علي بن أبي طالب ﷺ بالنار، وكالعبيديين، وبني حنيفة المرتدين[٤].

وجزم الشيخ بأن مشركي عصره أشنع من المشركين الأولين، فالمشركون قديمًا يشركون في عبادة الله رجالًا صالحين، وفي الرخاء دون الشدة؛ وأما مشركو هذا الزمان، فيشركون فُجَّارًا ضُلالًا! وشركهم في كل حال من شدة ورخاء!

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣٦٤)، ذو القعدة، (١٤٣٨هـ).

(٢) ينظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٢٤- ٢٦، ٢٧٢).

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ١٨٢، ١٨٣).

(٤) ينظر كشف الشبهات (ص٨٩، ٩٢، ٩٣)، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٤١-٤٧)، وتاريخ ابن غنام (٢/ ١٩٨، ٢٤٧، ٢٧٦).

ومن ذلك ما كان يفعله بعض أهل نجد آنذاك عند قبة أبي طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعدٍّ غاصب، حيث كان يخرج إلىٰ بلدان نجد ويضع علىٰ أهلها خراجًا من مال، فإن أعطي ما أراد انصرف، وإلا حاربهم، فلما مات صاروا يأتون قبره، ويستغيثون به عند حلول المصائب[١].

وهذا دهَّام بن دوَّاس، حارب هذه الدعوة الإصلاحية مدة سبع وعشرين سنة، وأظهر العداوة لدين الله، وفي ثنايا حروبه ومعاركه كان ينذر ويذبح الجزور لتاج وشمسان[٢]، وهما من الطواغيت التي تُعبد في نجد آنذاك!

ويمكن أن نوجز موقف الشيخ تجاه التكفير بقوله في رسالة عامة للمسلمين: «ما ذكر لكم عني أنِّي أكفِّر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء... لكن من نكفِّر من أقرَّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدَّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنها دين للمشركين، وزيَّنه للناس»[٣].

وأما القتال، وهذا الذي يهمنا في هذه السطور. فقد أشار الشيخ إلىٰ أنهم في أول الأمر لم يقاتلوا إلا دفاعًا عن النفس، فقال: «وأما القتال فلم نقاتل أحدًا إلىٰ اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنًا، ولكن قد نقاتل بعضهم علىٰ سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها»[٤].

ولما أقام الشيخ الإمام علىٰ المخالفين الحجة، وأظهر المحجة، وبلغهم رسالات الله، فأبوا إلا الإصرار علىٰ الشرك ومنابذة التوحيد، عندئذ قاتلهم ليكون الدين كله لله.

---

(١) ينظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٣).

(٢) ينظر: تاريخ ابن غنام (٢/ ٧).

(٣) مؤلفات الشيخ (٥/ ٥٨).

(٤) مؤلفات الشيخ (٥/ ١٥٨) باختصار.

قال رحمه الله: «ما جئنا بشيء يخالف النقل، ولا ينكره العقل، ولكنهم يقولون ما لا يفعلون، ونحن نقول ونفعل ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، نقاتل عبَّاد الأوثان كما قاتلهم ﷺ، ونقاتلهم علىٰ ترك الصلاة، ومنع الزكاة، كما قاتل مانعَها صدِّيقُ هذه الأمة أبو بكر الصديق ﷺ»[١].

وهذه المسألة المشتبهة عند كثير من المعاصرين قد جلَّاها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب قبل أكثر من مئتي عام! كما جاء في رسالته لأهل مكة سنة ١٢١٨هـ حيث قال: «ولا نكفِّر إلا من بلغه دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصرَّ مستكبرًا معاندًا، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرُّون علىٰ ذلك الإشراك، ويمتنعون عن فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات، وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته من هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذُكر، والتأليب معه، فله حينئذ حكمه في حلِّ قتاله»[٢].

وهذا التقرير أكده مفتي الديار النجدية آنذاك: عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، حيث قال: «والشيخ محمد بن عبد الوهاب قاتل من قاتله، ليس لكونهم بغاة، وإنما قاتلهم علىٰ ترك الشرك وإزالة المنكرات، وعلىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة»[٣].

والحاصل أن قتال أتباع الدعوة لأعدائهم، سواء كانوا في نجد أو في غيرها، إنما هو جهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وإظهار التوحيد وإزهاق الشرك، فلا مسوِّغ للتشغيب واللمز للشيخين المؤرخين ابن غنام وابن بشر رحمهما الله حين يذكران قتال المسلمين -أتباع الدعوة- لخصومهم المرتدين، فهما علىٰ جادة علماء الدعوة، كما في النقول السابقة.

---

(١) مؤلفات الشيخ (٥/ ٩٨).

(٢) رسالة في حكاية المباحثة مع علماء مكة لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص٩٠، ٩١).

(٣) الدرر السنية (٩/ ٩)، وينظر: الدرر السنية (٩/ ٢٦٣)، (١٠/ ٤٥١)، (١١/ ٤٥٠).

ومما يؤكد ذلك أن الشيخ الإمام وصف حال المتنكسين عن دين الله من بلدان نجد بالردة والخروج عن الملة، فقال في رسالته لأهل شقراء: «لا تظنوا أن الضيق مع دين الإسلام، لا والله بل الضيق والحاجة مع الباطل والإعراض عن دين الإسلام، مع أن مصداق قولي فيما ترونه فيمن ارتد من البلدان أولهن «ضرما» وآخرهن «حريملاء» هم حصلوا سعة فيما يزعمون، وما زادوا إلا ضيقًا وخوفًا علىٰ ما هم قبل أن يرتدوا»[1].

ومما يجلي ذلك أنه لما وقعت الهزيمة علىٰ أهل حريملاء في إحدىٰ المعارك، وصارت البلدة فيئًا من الله تعالىٰ، حصل توقف وتردد في حكم أموال هذه البلد، فكشف الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا الالتباس، وبيَّن حلَّ هذه الغنائم[2].

فأتباع هذه الدعوة حققوا التوحيد، ولزموا الحنيفية ملة إبراهيم، وأشربوا محبة الله تعالىٰ، فأقبلوا علىٰ عبادة الله وحده قلبًا وقالبًا، وجانبوا الشرك وأهله، وكرهوا أن يعودوا إلىٰ الكفر بعد أن أنقذهم الله منه، كما يكرهون أن يقذفوا في النار، ولذا بادروا إلىٰ الجهاد، فهو لازم التوحيد، ومقتضىٰ محبة الله وحده، وعند وجود المرتدين يظهر المحبون الصادقون، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]، إذًا الجهاد هو استفراغ الوسع والطاقة في تحصيل محبوبات الله[3].

ثم إن هذا الجهاد لا ينفك عن إزالة الأوثان التي تُعبد من دون الله، وهدم القباب والمشاهد علىٰ قبور الأولياء، وإقامة شعائر الدين، ورغد العيش وظهور

---

(١) مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٩٢)، وينظر: (٥/ ٣١٩).

(٢) ينظر: تاريخ ابن غنام (٢/ ٤٥، ٤٦)، (٩/ ٢٨١) (ط ١٣٦٨هـ)، والدرر السنية (٩/ ٢٨١).

(٣) ينظر: جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢٨٠)، التحفة العراقية (ص٦٥).

الأمن، ويقابل ذلك أنه في زمن الفتن، وحلول الهزيمة بأتباع الدعوة تظهر الردة، كالكراهية لما أنزل الله في كتابه من شرائع الدين، والاستهزاء بالله وآياته ورسوله، كما وقع في معركة «بسل» سنة ١٢٣٠هـ[١].

والمقصود أن هؤلاء الخصوم قد نقضوا العهود، ونصروا من حارب التوحيد وعبد الأوثان، فموجب قتالهم وعلته هو تلبسهم بالردة والخروج عن ملة الإسلام، فليست الردة ههنا مخالفة سياسة الدرعية وتحالفاتها -كما ظنه بعض المعاصرين[٢]-، إذ الردة حكم شرعي، وحق لله ورسوله، وليست تعبيرًا سياسيًا، فالوصف المؤثر في ذلك هو وقوعهم في الشرك الأكبر كدعاء الأموات، والذبح والنذر لغير الله ونحو ذلك، بعد أن قامت عليهم الحجة.

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في هذا المقام: «والشيخ محمد [بن عبد الوهاب] من أعظم الناس توقفًا وإحجامًا عن إطلاق الكفر، حتىٰ إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم، إذا لم يتيسَّر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها»[٣].

وليس أهل جزيرة العرب ولا غيرهم معصومين من التلبُّس بالشرك، والبلدان لا تقدِّس أحدًا، وإنما يقدس المرء عمله، والعبرة بالحال لا بالمحل، وأئمة الدعوة في منأىٰ عن التكفير الغالي، إذ التكفير في حد ذاته ليس مأخذًا ولا مطعنًا، إذ لا تكاد تجد كتابًا في الفقه إلا وقد عقد مؤلفه بابًا في حكم المرتد، فتكفيرهم للأعيان قائم علىٰ علم وعدل، ودليل وإنصاف، فأئمة الدعوة علىٰ طريقة أهل السنة في مسائل الأسماء والأحكام، وكذا بقية مسائل أصول الدين.

---

(١) ينظر: تاريخ ابن بشر(١/ ٣٧٠)، والدرر السنية (٨/ ٢٥٧).

(٢) ينظر: الأخبار النجدية للفاخري، ت: عبد الله الشبل (ص١٠٨).

(٣) منهاج التأسيس (ص٦٥- ٦٦).

فليس تكفيرهم الأشخاص عن هوىٰ وتشهٍ، بل علة التكفير لديهم الوقوع في الشرك الصريح الذي لا يغفره الله، وأما مسألة العذر بالجهل فهي مسألة اجتهادية يكتنفها تفاوت أنظار العلماء وأفهامهم للأحوال والأزمان والأشخاص، والمسائل والدلائل. ومهما يكن فقد يجتهد العالم ويتحرىٰ الإصابة، ولكن قد يغلط، فيقع الخطأ في تنزيل تلك الأحكام «التكفير والقتال» علىٰ الوقائع والأعيان، فهذا من تحقيق المناط الذي تتفاوت فيه الاجتهادات، وكما قال ابن القيم: «إن الرجل إذا نسب المسلم إلىٰ النفاق والكفر متأولًا وغضبًا لله ورسوله لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا يأثم به، بل يُثاب علىٰ نيته وقصده»[1].

وأخيرًا فإن شبهة التكفير والقتال هي أشد الشبهات المثارة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجملة أسباب وملابسات، منها: أن النَفَس الكلامي الإرجائي كان مؤثرًا في الواقع، وكذا غلبة الجهل بدين الله تعالىٰ، والإنسان عدو ما جهل، وكذا الافتراء علىٰ الدعوة بأنها تكفِّر عموم المسلمين، وانتشار هذه الفرية، قد أوقع الكثيرين في هذه الظنون الخاطئة[2].

وربما أن بعض تجاوزات العامة والأعراب -من المنتسبين لهذه الدعوة- ساعدت علىٰ ترويج هذه الشبهة، مع أن أئمة الدعوة أنكروا هذه الأفاعيل، وأخذوا علىٰ أيدي أولئك الجهال، ثم إن هذه الدعوة ذات منهج عملي ناصع ومسلك جهادي واضح، والجهاد وتبعاته الثقال لا يتلاءم مع طبيعة النفوس البشرية التي تؤثر التثاقل إلىٰ الأرض، والاسترواح إلىٰ العاجلة. والله المستعان.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٢٣).

(٢) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٢٠٦- ٢٠٧).

(٣) واقع نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١]

قد يتساءل بعضهم قائلًا: ما جدوىٰ الحديث عن هذه القضية الجزئية؟! وما موجب الكتابة عن حال قلب الجزيرة قبل ظهور الدعوة الإصلاحية؟!

والجواب عن ذلك: لما كان الحكم علىٰ الشيء فرعًا عن تصوره، فإن تصور الواقع النجدي قبل الدعوة الوهابية، والكشف عن أحوال نجد الدينية ينبني عليه الموقف الصحيح من تلك الأوضاع، ويحقق الحكم الشرعي الملائم لتلك الوقائع والأحوال، لا سيما وأنه قد نبتت مقالة معاصرة تتهم مؤرخي نجد -كابن غنام وابن بشر- بالمبالغة والتهويل في توصيف الانحراف الديني في نجد، وأن باعث هذه المبالغة هو الحماس للدعوة الإصلاحية[٢].

ومهما يكن فإن التقليل من شناعة الانحراف الديني في نجد، قد أفضىٰ إلىٰ لمز هذه الدعوة، والتهوين من آثارها ومنافعها، كما آل ببعضهم إلىٰ تزكية واقع نجد قبل الدعوة، والاعتذار لهذه الموبقات والطوام الحاصلة في نجد! حتىٰ اتهموا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالمبالغة في التكفير والقتال.

ويمكن أن يقال -ابتداءً- إن جمهور الباحثين متفقون علىٰ ندرة المعلومات المدونة عن تاريخ نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومع ذلك الشح

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣٦٢)، شوال، (١٤٣٨هـ).

(٢) هذا ما كتبه د. عبد الله العثيمين في كتابه «محمد بن عبد الوهاب» (ص١٩-٢١)، وفي مجلة الدارة ع ٣، س٤، شوال ١٣٩٨هـ ود. أحمد البسام في الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية (ص٦٦، ٢٦٤، ٣٨٩).

إلا أن في «السوابق» لابن بشر أخبارًا مهمة وجيزة عن أحوال نجد آنذاك، وأن نجدًا محل فتن وحروب بين القبائل والبلدان، وخوف في الأوطان، ونقص في المعايش والأرزاق، وقد أوجز المؤرخ ابن بشر هذه الأوضاع بقوله: «وأما السنون التي سبقت قيامهم[1]، فغلب فيها الضلال والجهل والظلم، وفتن كقطع الليل المظلم، وقتال بين أهل كل بلد عدوانًا وحمية جاهلية، وتحالف وتفازع وعصبية، وكل بلد فيها رئيس فأكثر لا يزال يقع بينهم الشرُّ، تارةً يتقاتلون، وتارةً يتسالمون، فلا يسافر ذو الحاجة فرسخًا أو ميلًا إلا كان أن يرجع مسلوبًا أو قتيلًا»[2].

والذي يهمنا في هذه المقالة أن نورد خلاصة وجيزة عن الواقع الديني في نجد قبل الدعوة وفق ما يأتي:

- تحدث الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن هذا الوضع المتردي في كثير من رسائله، وكشف عن تلك الأحوال القاتمة والجاثمة علىٰ بلدان نجد، وساق شواهد واقعة في تلك الديار، كما في حديثه عن غلوهم في أدعياء الولاية، وافتتانهم بالطواغيت، مثل: تاج، وشمسان وأولاده، ويوسف، وإدريس، وحطاب، وحسين، وعثمان، وعباس، وأبي حديدة. كما جاء مبسوطًا في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب[3].

وحكىٰ أيضًا ما عليه أعراب نجد من التكذيب بالبعث والنشور، وإنكار الشرائع! وأن أولئك البوادي يزعمون أن القرآن عند الحضر، وأنهم لا يرغبون

---

(١) يعني: قبل قيام وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
(٢) عنوان المجد (٢/ ٣٧٧).
(٣) ينظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٨، ٢١٧، ٢٢٥)، ومؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب (٤/ ١٦)، (٥/ ٥٤، ٨٩، ١٧٢، ١٨٨، ٢١٦).

في القرآن ويأنفون من التحاكم إليه، ويفضِّلون حكم الطاغوت علىٰ حكم الله تعالىٰ[1].

بل جزم الشيخ الإمام أن علماء نجد -آنذاك- لا يعرفون معنىٰ لا إله إلا الله[2]. فإذا كان علماؤهم لا يفقهون كلمة التوحيد فما بالك بالعامة والدهماء؟!

ونصير إلىٰ الإمام عبد العزيز الأول (ت ١٢١٨هـ) حيث عاين هذا الواقع القاتم، فحكىٰ أحوالهم قبل هذه الدعوة، فقال: «إنَّا والناس فيما مضىٰ، علىٰ دين واحد، ونذبح لغيره، ونتوكل عليه ونتوكل علىٰ غيره، ونخاف منه ونخاف غيره، ونقرُّ بالشرائع، من صلاة وزكاة وصوم وحج، والذي يعمل بهذا عندنا قليل»[3].

وأما الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فقد أفصح عن غلبة الشرك علىٰ جميع بلدان نجد قبل ظهور هذه الدعوة، حيث قال: «وكان قبل ذلك في كل أرض وبلد من أرض نجد أوثان وأشجار تعبد من دون الله، ويُنذر لها ويذبح لها القربان، ويعظمونها أعظم من تعظيم الله، كقبر زيد بن الخطاب ﷺ في الجبيلة، وكشجرة في قريوة بالدرعية، وشجرة أخرىٰ لأهل الطرفين، وقبر يقال له قبر المغربي»[4].

ثم إن المؤرخ ابن غنام لما أظهر واقع نجد قبل الدعوة، إنما ساقه بدلائل ظاهرة، وشواهد محسوسة، كاتخاذ القبور مساجد، والغلو فيها، وعبادتها من دون الله، مثل قبر زيد بن الخطاب، وضرار بن الأزور، والتعلُّق بالأشجار والتبرك

---

(١) ينظر: مؤلفات الشيخ (٣/ ٣٩)، (٣/ ١٤-٤٩)، (٥/ ٢٥، ٤١)، وتاريخ ابن غنام (١/ ١٠٨، ١٦٣، ١٦٤).

(٢) ينظر: مؤلفات الشيخ (٥/ ١٨٧)، والدرر السنية (١٠/ ٥١).

(٣) الدرر السنية (١/ ٢٧٩).

(٤) الدرر السنية (١٠/ ١٩٣) باختصار.

بها كشجرة الفحَّال وشجرة الذيب وشجرة أبي دجانة، والتبرك بغار بنت الأمير بالدرعية[1].

وهذا الشاعر الفلكي راشد الخلاوي -الذي عاش قبل ظهور الدعوة- يصوِّر الأحوال الشركية التي استفحلت بنجد، كما في هذه الأبيات:

فإن سلت قومي يا منيع فلا تسل	أحجار وأشجار يعبدون خايبه
عصاة قساة من حديد قلوبهم	فلو أنهم من صمّ الأحجار ذايبه
فلا عندهم إلا إبليس عقيدهم	فالبعض ابن له والبعض شايبه
تخليت عن قومي محا الله دارهم	واهمي عليهم من نوامي نوايبه
تخليت عنهم يومهم غار دينهم	ومن غار عنه الدين غارت مشاربه[2]

أفيقال بعد هذه الدلائل والوقائع أن نجدًا في عافية من ظهور الشرك وأن ابن غنام وابن بشر ونحوهما بالغوا في تصوير هذا الانحراف؟!

بل إن خصوم الدعوة النجديين المعاصرين لظهور الدعوة يشهدون بهذا الواقع القاتم، فهذا جاسر الحسيني ممن شَرِق بهذا الدعوة، فترك نجدًا وانحاز إلىٰ بغداد، يعترف بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام بنجد وهم في أسوأ حال من الفساد والظلم والضلال، فجمعهم الله تعالىٰ به بعد التفرق والاختلاف[3].

ومما يزيد هذه الأوضاع انحدارًا أن النَفَس الكلامي البدعي كان حاضرًا ومستحوذًا علىٰ طوائف من المنتسبين للعلم آنذاك، فأحدهم يقرر مذهب

---

(١) ينظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٧)، والحياة الاجتماعية عند حضر نجد للعريني (ص٣٢-٣٤) (رسالة علمية غير منشورة).

(٢) ديوان الخلاوي (ص٢٣٧).

(٣) ينظر: الدرر السنية (١٢/ ٢٤).

التجهيل في الصفات[١]، وآخرون يجاهرون بالتمشعر، ويشهدون أن القرآن لا حرف ولا صوت، ويكفِّرون القائلين بقول السلف الصالح![٢] وطائفة من علماء نجد وطلاب العلم يقررون وجوب النظر[٣]، وطائفة أخرىٰ لا تعرف من التوحيد إلا توحيد المتكلمين -توحيد الربوبية-[٤]، ومن ثم فإن من ذبح أو نذر لغير الله فليس شركًا، ما دام أنه يعتقد أن الله خالقه![٥] فضلًا عن أقوام من نجد ينكرون غالب الصفات الإلهية[٦].

والحاصل أن نجدًا لم تسلم من شكوك المتكلمة، كما لم تسلم من شطحات الصوفية، ومن الشواهد علىٰ ذلك ما جاء في رسالة مهمة سطرها الشيخ عبد الوهاب بن سليمان -والد الشيخ الإمام- والتي كشفت عن مخاريق التصوف في بلدة حرمة، وكثرة الأشخاص الذين يقارفون دجل التصوف من الضرب بالحديد والقفز من السطوح![٧]

كما أن الشيخ تحدث عن متصوفة في معكال[٨] يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض[٩]، وطال التصوف فقهاء نجد آنذاك، حتىٰ إن ابن منقور (ت١١٢٥هـ) حكىٰ في «مجموعه» مشروعية التسبيح بالمسبحة محتجًا بأن ذلك صنيع أكابر الصوفية[١٠].

(١) ينظر: مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية (ص٤٨).
(٢) ينظر: المرجع السابق (ص٤٩).
(٣) ينظر: المرجع السابق (ص٥٢)، ومؤلفات الشيخ (٥/ ١٦).
(٤) ينظر: المرجع السابق (ص٦٥).
(٥) ينظر: المرجع السابق (ص٧٥-٧٧).
(٦) ينظر: المرجع السابق (ص٥٨، ٦٧، ٧٨).
(٧) ينظر: مجموعة الرسائل النجدية (١/ ٥٢٣).
(٨) معكال اليوم أحد الأحياء القديمة بوسط مدينة الرياض.
(٩) ينظر: مؤلفات الشيخ (٥/ ١٨٩)، (٣/ ٢٤).
(١٠) ينظر: مجموع ابن منقور (١/ ٧٧).

وهذا ابن سحيم مطوع الرياض آنذاك، قد شهد الناس أنه يحضر المولد ويقرأ عليهم، ويسمع ما فيه من استغاثات شركية[١].

والوقائع والشواهد علىٰ ظهور التصوف ومحدثاته في نجد مبسوطة في موضعها[٢].

وقد يتعلل الراغبون في تزكية واقع نجد قبل الدعوة، بوجود العلماء وطلاب العلم في حواضر العلم بنجد كالعيينة وأشيقر ونحوها، مع أن أولئك المشتغلين بالعلم يجهلون معنىٰ لا إله إلا الله! وفيهم العاجز عن إظهار العلم وتبليغ رسالات الله؛ إذ إن من أظهر هذا الدين ونصره فإنه متعرِّض لسطوة الحكام، كما أشار إليه الشيخ في بعض رسائله[٣].

وأخيرًا فإن الأماكن الفاضلة لا تقدِّس أحدًا، فماذا عما ليس كذلك؟! فالأرض عمومًا لا تقدِّس أحدًا، وإنما يقدس المرء عمله، ثم إن العبرة بالحال وليس بالمحل، لكن الغارقين في تعظيم نجد وأجدادهم الأقدمين إنما يعولون علىٰ مقررات ومقدمات وهمية، دون نقل مصدق ولا بحث محقق، وإنما هي انطباعات نفسانية تستوحش أن تتهم ديار نجد بظهور الشرك والضلال، وتتوجس من التعرض لجناب أجدادهم الغابرين، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه، والله تعالىٰ يداول بين خلقه، حتىٰ في البقاع، فإن محل المعصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر، وكذا العكس[٤]. والله المستعان.

---

(١) ينظر: مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: هذا الفصل «التصوف عند علماء نجد قبل الدعوة من كتاب مسائل الاعتقاد وعند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية» للكاتب.

(٣) ينظر: مؤلفات الشيخ (٥/ ٣٢، ٣٣).

(٤) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٥٧٨).

(٤) الوهابية في مواجهة غلاة التكفير[١]

طالما افتروا الكذب علىٰ دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، فاتهموا دعوته بتكفير عموم المسلمين، فلا يكاد يحصىٰ عدد الذين سوَّدوا هذا البهتان في مراسلات ومؤلفات![٢] والرزية أن هذه الكذبة الصلعاء تولىٰ كبرها بعض المعاصرين للشيخ الإمام من المنتسبين إلىٰ العلم في نجد، كابن سحيم مثلًا، والذي كان مصدقًا بهذه الدعوة، ومقررًا صحتها ثم سرعان ما انقلب علىٰ عقبه! فاتهم الدعوة الوهابية بتكفير المسلمين، ثم بَعَث إلىٰ علماء الأحساء والحجاز والعراق بهذه الفرية، وزيَّن لهم الرد والتكذيب علىٰ الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم إن هذه الكذبة ظهرت واستفحلت والدعوة في بداياتها في العيينة[٣]، حتىٰ إن أحمد البصري الشهير بالقباني كتب مجلدًا ضخمًا بعنوان: «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب»، يزيد علىٰ مئتي ورقة، وهي جواب عن رسالة ابن سحيم التي تكرر فيها طلبه الرد علىٰ الشيخ الإمام سنة ١١٥٧هـ[٤].

وقد تعددت أجوبة الشيخ عن تلك الدعوىٰ، وخلاصتها في قوله: «سبحانك هذا بهتان عظيم»[٥]. وربما قال: «الذي نكفِّر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣٦٠)، شعبان، (١٤٣٨هـ).

(٢) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز آل عبد اللطيف (٢١٠ - ٢١٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٥٥- ٢١٩)، وبحوث وتعليقات في تاريخ السعودية لعبد الله العثيمين (٩١- ١١٣).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٥٥- ٢١٩)، وبحوث وتعليقات في تاريخ السعودية لعبد الله العثيمين (٩١- ١١٣).

(٥) ينظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١١، ١٢، ٤٨، ١٠٠).

رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يُكفِّر أهل التوحيد»[1]. وخاطب أحدَ علماء العراق فقال: «ما ذكرتم أني أكفِّر جميع الناس إلا من تبعني... يا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟»[2].

ومهما يكن فإن شبهة التكفير ههنا لا تنفك عن ملابسات مهمة لا بد من استصحابها، فمن خلال تتبع آراء علماء نجد قبل الدعوة فإن نجدًا قد اعتراها شطحات المتصوفة وشكوك المتكلمة[3]، والصوفية وأهل الكلام يجمعهم أن غاية التوحيد عندهم هو إثبات أن الله هو الصانع، وشهود الحقيقة الكونية، والإقرار بربوبية الله وحده[4]، فلم يرفعوا بتوحيد العبادة رأسًا، مع أنه غاية دعوة المرسلين وأول واجب على كل مكلف، بل جزم الشيخ الإمام أن علماء العارض -بمن فيهم الشيخ نفسه- لا يعرفون معنى لا إله إلا الله، قبل ظهور هذا الخير، وقبول هذه الدعوة![5]

حتى إن الشيخ الإمام ساق رسالة للشيخ عبد الله بن عيسى -وهو أجلُّ علماء نجد- يعترف فيها بجهله بتوحيد العبادة كما في مقالته: «عباد الله لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطَّخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم»[6].

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٤٨).

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٣٦).

(٣) ينظر: فصل: علم الكلام عند علماء نجد، وفصل: التصوف عند علماء نجد من كتاب «مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية» للكاتب (ص٤٥، ١٠٣).

(٤) ينظر: التدمرية لابن تيمية (ص١٤٢- ١٤٣).

(٥) ينظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١٨٦، ١٨٧).

(٦) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١٩٣).

وإذا استبان أن القوم لا يفقهون من التوحيد إلا توحيد الربوبية، فبطبيعة الحال سيغيب عنهم إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، ويظهر فيهم الشرك في توحيد العبادة، فإن الذي يذبح لغير الله، أو يستغيث بالأموات لا يعدُّ صنيعه شركًا مخرجًا من الملة عند أولئك القوم ما دام أنه يعتقد أن النفع والضر بيد الله تعالىٰ![1] ومثال ذلك أن داود بن جرجيس يزعم أن دعاء الأموات والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك![2]

ومن ثم فلا يُستغرب أن يتهم أولئك الخصوم هذه الدعوة بالتكفير لا سيما أن هذه الدعوة المباركة ذات سلطة شرعية، ولها شوكة وقوة وجهاد، فأجرت أحكام الشرع المنزل علىٰ الواقع الملائم، وحكمت علىٰ أشخاص وبلدان بالشرك بعد بيان المحجة وإقامة الحجة.

بينما خصوم الدعوة لم يستوعبوا توحيد العبادة وما يضاده في الأذهان، فضلًا عن تحقيقه في عالم الواقع والأعيان!

والحاصل أن من طالع تراث هذه الدعوة بعلم وعدل أيقن بتهافت هذه الفرية، وكما قال العلامة السهسواني (ت ١٣٢٦هـ): «إن الشيخ وأتباعه لم يكفروا أحدًا من المسلمين، ولقد لقيتُ غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيرًا من كتبهم، فما وجدتُ لهذه الأمور أصلًا وأثرًا، بل كل هذا بهتان وافتراء»[3].

---

(١) ينظر: تفاصيل أقوال خصوم الدعوة في كتاب «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ» (ص٢٥١ – ٢٥٧).

(٢) ينظر: تفاصيل أقوال خصوم الدعوة في كتاب «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ» (ص٢٥١ – ٢٥٧).

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان (ص٥١٨).

وعلق الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) علىٰ كلام السهسواني فقال: «بل في هذه الكتب خلاف ما ذكر وضده، ففيها أنهم لا يكفِّرون إلا من أتىٰ بما هو كفر بإجماع المسلمين»[١].

ثم إن لعلماء الدعوة مواقف حازمة واحتسابًا صارمًا تجاه الغلاة في التكفير، كما في الشواهد الآتية:

- حذَّر الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥هـ) من بعض الأفغان القادمين علىٰ نجد، من أنهم يرون رأي الخوارج، ومعهم غلو في التكفير[٢].

واحتسب علىٰ رجل يغلو في التكفير، ويكفِّر بأشياء لم يكفِّر بها أحد من أهل العلم[٣]، وغلَّظ الشيخ عبد الرحمن بن حسن علىٰ أحد المنتسبين إلىٰ العلم، ممن تلبس بمذهب الخوارج من حيث لا يشعر، فقال: «والمقصود بيان حال صاحب الورقة، وأنه قال بقول الخوارج، المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، فكفَّر المسلمين بدعوىٰ ادَّعاها، لعلة اختلقها، أو تلقاها ممن لا يعتمد عليه»[٤].

- وأما العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٩٣هـ) فقد ابتلي بمخاطبة ومحاورة غلاة التكفير، كما وقع سنة ١٢٦٤هـ، حيث شاهد العلامةُ عبد اللطيف رجلين فارسيين بالأحساء قد اعتزلا الجمعة والجماعة، وكفَّرا أهل الأحساء، فأحضرهما العلامة عبد اللطيف، وأغلظ لهما القول، وكشف شبهتهما، ودحض ضلالاتهما، فأظهرا التوبة، ثم عادا إلىٰ تكفير عموم المسلمين[٥].

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان (ص٥١٨).
(٢) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٦٨)، والدرر السنية (٣/ ٢٢١، ٢٢٥).
(٣) ينظر: الدرر السنية (١١/ ٣٠٩).
(٤) الدرر السنية (٨/ ٢٧١).
(٥) ينظر: الدرر السنية (١/ ٤٦٧- ٤٦٨).

وفي مشهد آخر: سطَّر العلامة عبد اللطيف رسالة طويلة إلىٰ أحد غلاة التكفير[1]، حيث تأوّل المخاطب آية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] علىٰ ما يقع من أمراء ذلك الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض ملوك الشرك، فتوهم المذكور أن مجرد مصالحة أو مكاتبة الكفار تعد ردة عن الملة، ومظاهرة للكفرة، فتعقبه العلامة عبد اللطيف بأن عليه أن ينظر في سياق الآية وأولها، حيث قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ [محمد: ٢٥][2]، فليست كل مكاتبة موالاة للكفار، وليس مطلق الطاعة لهم ردة عن الملة.

- ولما حصل لبس وغلط في المراد من الناقض العاشر[3] من نواقض الإسلام التي ذكرها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، بيَّن الشيخ ابن سحمان (ت ١٣٤٩هـ) أن المراد بالإعراض ههنا هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، لا ترك الواجبات والمستحبات[4].

وقال -رحمه الله-: «هذا المعرض هو الذي لا إرادة له في تعلم الدين ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، بل هو راضٍ بما هو عليه من الكفر بالله والإشراك به، لا يؤثر غيره، ولا تطلب نفسه سواه»[5].

- ولما وقع من بعض الإخوان في عهد الملك عبد العزيز نوع لبس وغلط فظنوا أن مطلق مصالحة الكفار يعد موالاة محرمة؛ عندئذ راسلهم العلامة الفقيه

(١) ينظر: الدرر السنية (١/ ٤٦٦ – ٤٥٨).

(٢) ينظر: الدرر السنية (١/ ٤٧٦).

(٣) هو الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به.

(٤) ينظر: الدرر السنية (١٠/ ٤٣٧)، ومنهاج أهل الحق والاتباع لابن سحمان (ص٦٣-٦٤).

(٥) إرشاد الطالب لابن سحمان (ص١١).

عبد الله العنقري (ت ١٣٧٣هـ)، فكان مما سطَّره: «بلغنا أن الذي أشكل عليكم أن مجرد مخالطة الكفار ومعاملتهم بمصالحة ونحوها، وقدومهم علىٰ ولي الأمر لأجل ذلك، أنها هي موالاة المشركين المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتهم ذلك من «الدلائل» التي صنَّفها الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ، ومن «سبيل النجاة» للشيخ حمد بن عتيق». إلىٰ أن قال: «معرفة سبب التصنيف مما يعين علىٰ فهم كلام العلماء، فالمراد به موافقة الكفار علىٰ كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم علىٰ المسلمين، والإمام وفقه الله -الملك عبد العزيز- لم يقع في شيء مما ذكر، فإنه إمام المسلمين، والناظر في مصالحهم، ولا بد له من التحفظ علىٰ رعاياه وولايته من الدول الأجانب»[1].

والملاحظ في أكثر الوقائع السابقة أن هؤلاء الذين تلبَّسوا بالغلو إنما كان ناشئًا عن سوء الفهم لكلام أئمة الدعوة، وهذا واقع يتكرر في هذه الأيام، فإن القوم لم يعقلوا تقريرات الشيخ الإمام في هذه المسائل، ولم يفهموا مراد صاحب رسالة «الدلائل» و«النجاة والفكاك» وملابسات تأليفها، كما أن بعضهم يحتج بـ«مجموعة التوحيد» وهو لا يعرف مقصودها[2].

ثم إن النَفَس الغالي لا ينفك عن مغالطة وتسوية بين المختلفات، فالقوم خلطوا وسوَّوا بين موالاة الكفار المحرمة وبين التعامل معهم الجائز بمصالحة أو هدنة ونحوها.

وأخيرًا فإن مواقف وردود علماء الدعوة علىٰ غلاة التكفير، لم تشغلهم عن الردِّ علىٰ من أعرض عن التوحيد، وعكف علىٰ الشرك، فهم ينزِّلون المسائل

---

(١) الدرر السنية (٩/ ١٥٧ - ١٥٨) باختصار.

(٢) ينظر: رسالة الشيخ عمر بن سليم، الدرر السنية (٩/ ١٦٨).

منازلها، ويراعون مراتب الشرور، فإن غاية من غلا في التكفير أن يكون خارجيًّا مارقًا، لكن من غلا في المخلوقين فعبدهم من دون الله فإنه يصير مرتدًّا كافرًا.

ثم إن ما كان مشتبهًا موهمًا من عبارات بعضهم، فإنه يرد إلىٰ ما كان محكمًا بيِّنًا كما هو سبيل المحققين والمنصفين.

ومن ذلك أن بعض المعاصرين اتهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن بتكفير الأشاعرة، واحتج بعبارة موهمة، وعند التحقيق فإن عبارة الشيخ في تكفير الذين جوَّزوا عبادة غير الله تعالىٰ، وأما متكلمة الأشاعرة فقد نصَّ علىٰ أنهم ليسوا من أهل السنة -في موضع آخر[1]- فلم يكفرهم كما ظنه المتخرصون، ولما ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن عقيدة ابن حجر الهيثمي قال: «عقيدته عقيدة الأشاعرة النفاة للصفات، وفي كلامه حق وباطل»[2]، بل إن من شيوخ الشيخ عبد الرحمن بن حسن: الشيخ حسين بن غنام الأحسائي، ولديه تمشعر في الكلام الإلهي، وقد تعقبه تلميذه عبد الرحمن بن حسن[3]، واحتفىٰ بسائر تقريراته وأشعاره في مواطن عديدة.

(١) ينظر: الدرر السنية (١١/ ٢٩٣).
(٢) الدرر السنية (٣/ ٢٢٥).
(٣) ينظر: الدرر السنية (٣/ ٢٢٧).

(٥) الوهابية في مواجهة الغلاة[١]

يبدو أن «الغلو في التكفير» هو المهيمن علىٰ تفكير غالب الناس، فليس في مخزونهم الإدراكي أن الغلو قد يكون فيما هو أشد وأشنع من التكفير، فلقد عمد إعلام اليوم إلىٰ هندسة عقول كثير من الآدميين، فصاغ الخريطة الإدراكية، وحصرها في الإرهاب والتكفير، فانمحىٰ الحديث عن أصل حقيقة الغلو وسائر أنواعه[٢].

لقد أقبلت دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لتصوغ الحياة كلها -فضلًا عن الإعلام- وفق عقيدة التوحيد، وتنقل المجتمعات من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد، ولذا حاربت الغلو بشتىٰ صوره وأنواعه، بما في ذلك الغلو في التكفير، ونسوق هذه الحرب وفق السطور الآتية:

واجهت هذه الدعوة الغلو في المعظَّمين من البشر: الصالحين والعلماء والأمراء، والتي حكاها الإمام عبد الله بن مبارك في قوله:

وهــل أفســد الديــن إلا الملــوك　　　وأحبـــار ســـــوء ورهبانهـــا

فأما الغلو في الصالحين فطالما نهىٰ أئمة الدعوة عن الغلو في الصالحين، وبيَّنوا بالأدلة والبراهين أن سبب كفر بني آدم هو الغلو في الصالحين، وأن أول شرك وقع في الأرض ناشئ عن الإفراط في تعظيم الصالحين، ومجاوزة الحد في محبتهم[٤].

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣٥٩)، رجب، (١٤٣٨هـ).

(٢) «هندسة الجمهور» لأحمد فهمي (٧٤- ٨٤).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٦٤).

(٤) ينظر: كتاب التوحيد وشروحه لِباب «ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين».

ومن الأدلة التي احتفىٰ بها أئمة الدعوة النجدية في ذم الغلو والتحذير منه قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله»[1].

حكىٰ بعض تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب طرفًا من هذا الغلو في نجد قبل الدعوة فقالوا: «ويكفيك من التطويل أن الشرك بالله يخطب به علىٰ منابرهم، ومن ذلك: اللهم صلِّ علىٰ سيدنا ولينا، ملجأنا منجانا، معاذنا ملاذنا»[2].

لكن هذا الشرك والغلو صار أثرًا بعد عين بعد ظهور هذه الدعوة المباركة، فالحمد لله علىٰ الإسلام والسنة.

لقد حاربت الدعوة الوهابية هذا الغلو الجائم علىٰ أمة الإسلام، وكشفت عن حقيقة أدعياء الولاية، وقررت توحيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام بأن الله هو الإله المعبود المقصود المعتمد عليه[3]، وبيَّن علماء الدعوة أن معنىٰ «الإله» هو الذي يسميه العامة: السيد أو الشيخ، حيث يظن الدهماء أن السيد والشيخ يُستغاث بهما، ويُلجأ إليهما، فالغلو في السادة أو الأشراف مما يتوارد لدىٰ العامة وأشباه العامة، فأبطلت الدعوة هذا الغلو، وسدَّت كل طريق وذريعة تفضي إليه، وأظهروا أن العبادة حق محض لله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلًا عن سادة أو مشايخ.

يقول العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: «إن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يُدعىٰ ويُستغاث به في الشدائد، ويرجىٰ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥)، ومسلم (١٦٩١).

(٢) علماء نجد للبسام (٤/ ٣٦٨).

(٣) ينظر: الدرر السنية (٢/ ٢١)، مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ٣٦٥)، تاريخ ابن غنام (٢/ ٥٢).

للنوازل ويحلف باسمه، وينحر له علىٰ وجه التعظيم والقربة، وبعضهم يطلق علىٰ ذلك اسم الولي كما هو في اصطلاح كثير من أهل مصر»[١].

بل تضاعف الغلو في نجد قبيل الدعوة فظهر متصوفة غلاة في معكال[٢] يتبعون ابن عربي وابن الفارض، وينصرون مذهب الاتحادية![٣]

والرزية أن هؤلاء الذين يُدَّعىٰ لهم الولاية والصلاح هم من أفجر الناس وأفسقهم، بل إن أولئك الغلاة فيهم يشهدون عليهم بالفجور والسرقة وترك الصلوات[٤]!

كان الشيخ الإمام صارمًا تجاه هذا الغلو الشنيع، حازمًا في مدافعة هذا الظلم العظيم، فبينما كان العامة يقدِّسون أولئك المتظاهرين بالصلاح في نجد، نجد أن الشيخ يصفهم بالكلاب والشياطين، كما في قوله:

«إذا كان من اعتقد في عيسىٰ ابن مريم مع أنه نبيٌّ وندبه فقد كفر، فكيف بمن يعتقدون في الشياطين كالكلب أبي حديدة، وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الأخر في الخرج، وغيرهم في سائر البلدان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله»[٥].

والحاصل أن الغلو في الصالحين قد انمحىٰ واندرس، وأظهر الله تعالىٰ الحق بعد خفائه بسبب هذه الدعوة الإصلاحية المباركة.

---

(١) منهاج التأسيس (٢٤٢-٢٤٣).

(٢) معكال: محلة أو بلدة في الرياض، وهي اليوم من أحيائها القديمة، ينظر: عنوان المجد (١/ ١١٦).

(٣) ينظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/ ٢٤)، (٥/ ١٨٩).

(٤) ينظر: كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب (ص٨٣).

(٥) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٥٤).

ومما يحسن التنبيه عليه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما كان إمامًا ربانيًا، فإنه لم يردَّ البدعة بالبدعة، بل حارب الغلو في السادة والأشراف، وحذَّر في الوقت نفسه من التفريط والجفاء تجاههم، فقد عاتب الشيخُ بعضَ طلابه علىٰ إنكارهم علىٰ أحد الأشراف لما كان يلبس الأخضر، وتُقبَّل يده، فبيَّن أن الإنكار لا يكون إلا بعلم ودليل، وأن تقبيل اليد مسألة اجتهادية لا توجب إنكارًا، وكذا لباس الأخضر سائغ؛ لئلا يقصَّر في حقهم[1]، ثم قال: «وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله ﷺ علىٰ الناس حقوقًا، فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم، ويظن أنه من التوحيد، بل هو من الغلو[2]، ونحن ما أنكرنا إلا إكرامهم لأجل ادِّعاء الألوهية فيهم»[3].

وحاربت الدعوة الغلو في العلماء والأمراء، كما في هذا الباب الذي عقده الشيخ الإمام في كتاب التوحيد بعنوان «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله».

وحذَّر الشيخ الإمام من الغلو في التمذهب والتقليد، فقال مخاطبًا أحد مخالفيه: «وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس أن من سلك هذا المسلك -يعني اتباع السنة النبوية- فقد نسب نفسه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم، وزخرفه بأنواع الزخارف فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه».

إلىٰ أن قال: «لا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا هل يجب عليَّ أن أقبل الحق ممن جاء به وأردَّ المسألة إلىٰ الله والرسول مقتديًا بأهل العلم، أو أنتحل بعضهم من غير حجة، وأزعم أن

---

(١) ينظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٨٤).

(٢) لعل مقصوده بالغلو ههنا مجاوزة الحد في الذم، والزيادة في الانتقاص.

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٨٤).

الصواب في قوله؟! فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسمَّاه شركًا، وهو اتخاذ العلماء أربابًا، وأنا على الأول أدعو إليه»[1].

وفصَّل بعض أئمة الدعوة هذه المسألة فقالوا: «إذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة، ثم رأى حديثًا يخالف مذهبه، فاتبع الدليل، وترك مذهبه، كان هذا واجبًا عليه إذا تبيَّن له الدليل، ولا يكون مخالفًا لإمامه الذي اتبعه، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل.

وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة، يخالف القول الذي نصَّ عليه العلماء، أصحاب المذاهب، فنرجو أن يجوز العمل به، لكن لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله، حتى يتبيَّن الدليل الذي لا معارض له في المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها، والذي ننكر هو التعصب، وترك اتباع الدليل»[2].

لقد كان علماء نجد قبل الدعوة يقتصرون على المشهور من مذهب أحمد دون التفات إلى الدليل كما هو في مجموع ابن منقور (ت ١١٢٥هـ)[3]، ولما ظهرت الدعوة أقبلوا على متابعة الدليل ولزوم السبيل، يقول الشيخ عبد الله البسام: «أما في الدرر السنية فترى الفتاوى مستقاة من مذهب أحمد، إلا أنها مقرونة بأدلتها الشرعية، كما تجد أنها قد تخالف المشهور من المذهب حينما يكون الدليل الصحيح خلاف المذهب... وكذلك تجد الكتابة في التفسير والحديث»[4].

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٥٧- ٢٥٨) باختصار، وينظر: (٥/ ١٤٠).

(٢) الدرر السنية (١/ ٢٢٠، ٢٢١) باختصار.

(٣) ينظر: علماء نجد للبسام (١/ ١٧).

(٤) ينظر: علماء نجد (١/ ١٧).

وكما قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «فمن أراد تحقيق ما نحن عليه فليقدم علينا الدرعية فسيرىٰ ما يسر خاطره، ويقر ناظره، من الدروس في فنون العلم، خصوصًا التفسير والحديث»[1].

ثم إن هذه الدعوة جابهت طغيان الأمراء، والغلو في السلاطين، ومن هذا الصنيع أن الشيخ الإمام أشار إلىٰ تهافت مقالة أنه لا يصح شيء من الأحكام إلا بالإمام فقال: «لا يعرف أن أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم، لكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في ردِّ ما لا يقدرون علىٰ جحده، كما أني لما أمرت برجم الزانية قالوا: لا بد من إذن الإمام، فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء، ولا الإمامة ولا غيرها»[2].

كما فنَّد حفيده العلامة عبد الرحمن بن حسن مقالة ابن نبهان: لا جهاد إلا مع الإمام، فإذا لم يوجد إمام فلا جهاد![3] فقال رحمه الله: «بأي كتاب، أم بأي حجة أن الجهاد لا يجب إلا مع إمام متبع؟! هذا من الفرية في الدين، والعدول عن سبيل المؤمنين، والأدلة علىٰ إبطال هذا القول أشهر من أن تذكر»[4].

ثم إن هذه الدعوة الإصلاحية التجديدية، وما فيها من تحرر وإبطال للوثنيات بشتىٰ صورها -قبورية أو سياسية- لا بد أن تصطدم مع أنظمة ودول، وهذا أمر طبعي أدركه العلماء آنذاك -زمن ظهور الدعوة- كما صرَّح به الشيخ الإمام في رسالته لفاضل آل مزيد رئيس بادية الشام قائلًا: «هذا الأمر الذي أنكروا عليَّ -يعني عبادة الله وحده واتباع الرسول ﷺ- وأبغضوني، وعادوني من أجله، إذا

---

(١) رسالة في حقيقة دعوة الشيخ لأهل مكة (ص١١١).

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٣/ ٦٧).

(٣) ينظر: الدرر السنية (٨/ ١٦٧).

(٤) الدرر السنية (٨/ ١٩٩).

سألوا عنه كل عالم في الشام، واليمن، أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني، لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره، لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه».

إلىٰ أن قال: «حتىٰ من علماء الشام من يقول: هذا هو الحق، ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة»[1].

والحاصل أن هذه الدعوة كانت في منأىٰ عن الغلو، بل كانت حربًا علىٰ الغلو وأصله -كما سبق-، ومما يؤكد ذلك أن الخوارج الغلاة وسائر أهل الأهواء تجمعهم ثلاث علامات إجمالية: الفرقة والتنازع، واتباع المتشابهات، واتباع الهوىٰ، كما بسطها الشاطبي في الاعتصام[2]، والناظر في تراث علماء الدعوة إنما يجد الاجتماع والاتفاق، والتأكيد علىٰ الالتزام بالمحكمات والكشف عن المتشابهات، وردِّها إلىٰ المحكمات، ثم إن القوم في عافية من اتباع الأهواء، فهم معرضون عن الهوىٰ، ومقبلون علىٰ الهدىٰ.

وبالجملة فإن هذه الدعوة تكالب عليها النصارىٰ والضالون، والغلاة من روافض وصوفية، وأئمة مضلين، وسلاطين جائرين، وانحاز إليهم في السنوات الأخيرة المنتكسة والمتهوكون والمنهزمون من متسننة هذا العصر! ومع ذلك فلا تزال هذه الدعوة المباركة تعمُّ أنحاء الأرض؛ إذ ما كان لله فإنه ينفع ويدوم، ولا يزال العقلاء من أهل الإسلام والملل يشهدون بصدق وينطقون بعلم وعدل تجاه هذه الدعوة، كما في شهادة آية الله البرقعي: «من حيث العقيدة هم -يعني أهل جزيرة العرب- علىٰ عقائد العالم محمد بن عبد الوهاب، ولكنه لم يأتِ بمذهب

(١) الدرر السنية (١/ ٩٠- ٩١) باختصار. وينظر كلام الشيخ ابن سحمان عن طواغيت الحكم في «الدرر السنية» (١٠/ ٥٠٢-٥١١).

(٢) ينظر: الاعتصام [ت: مشهور] (٣/ ٢٣٢-٢٥٠).

جديد، وإنما هي آراء ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وهذان أيضًا لم يفعلا شيئًا سوىٰ محاربة الخرافات والبدع ودعوة الناس إلىٰ الإسلام الأصيل»[1].

وأخيرًا فإن المتأمل في مناهج هذه الدعوة العلمية ومواقفها العملية يجد لزوم الوسط والعدل، ومجانبة الغلو والجفاء، وقد مضىٰ الكلام عن مواجهتهم الغلو في التكفير والقتال، والله المستعان.

---

(١) سوانح الإمام (٣٠٨).

(٦) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مرارة الحال وحلاوة المآل[١]

«إذا كان محمد بن عبد الوهاب من ناحية العقيدة ليس بمبتدع، فهو من ناحية السياسة مجدد مبدع؛ لقد استطاع أن يوقف حركة التاريخ، ويلوي عنق الأحداث التي كانت تدفع العالم الإسلامي دفعًا إلىٰ التغريب»[٢].

قبل ثلاثة عقود فأكثر كانت الدراسات والبحوث والندوات عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ملء السمع والبصر، وكانت لوفرتها وكثرتها تبلغ حدَّ التشابه والتكرار:

ما أرانا نقول إلا معارًا أو معادًا من لفظنا مكرورًا

ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر تزايد المكر الكبَّار تجاه هذه الدعوة، وتضاعف الكيد والنقمة لأصولها وقواعدها، ولحق فئام من المنتسبين للسنة الخذلان لهذه الدعوة؛ فآثروا الصمت، وتواروا خجلًا عن المجالدة والمجادلة، واستروح بعضهم «تهذيب» الدعوة وتطويعها بما لا يقلق غربًا، ولا يزعج شرقًا!

وغُيِّب أكثر تراث هذه الدعوة! وَوُوري عن مدارسته وتدريسه في المعاهد والمساجد والمحاضن التربوية، ونبزوا «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» بالغلو والإفراط، وتقاعس علماء وطلاب علم عن الذبِّ عن هذا التراث النفيس؛ إما وهنًا وهلعًا، وإما عجزًا وضعفًا.

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣١٨)، صفر (١٤٣٥هـ).

(٢) السعوديون والحل الإسلامي لجلال كشك (ص١٠٩).

وأضحت مؤلفات الدعوة الواضحة النقية وتاريخها المجيد، طلسمًا مجهولًا، ولغزًا مغلقًا، لا يحلُّه ولا يفقهه إلا ضلَّال النصارىٰ وأشباههم من المنتكسين والمتهوكين!

بل صارت محاسن الدعوة محل طعن وانتقاد، فانتقصوها لأجل محاربتها الوثنيات، وإقامتها شعيرة الجهاد في سبيل الله.

إذا محاسني اللائي أدلُّ بها ... كانت عيوبًا فقل لي كيف أعتذر

بل حكموا علىٰ واقع قلب جزيرة العرب «نجد» بخلوِّها من الشرك والانحرافات، لأجل تحجيم أثر الدعوة الوهابية وتقليص إنجازاتها!

وفي هذه السطور إشارة عابرة لواقع نجد قبيل الدعوة، وإلىٰ فلاح الدعوة وسببه:

(١) كان الواقع النجدي حافلًا بركام هائل من الانحرافات الدينية، كما أثبته علماء مؤرخون وشعراء؛ كتعظيم الأضرحة، والتبرك بالأشجار، والافتتان بالطواغيت، والغلو في أدعياء الوَلاية كتاج وشمسان وأولاده، ويوسف وإدريس، وأبي حديدة[١].

وقد وصف الشيخ الإمام هذا الواقع القائم في مواطن متعددة من رسائله، فقال: «ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرُّ به، وأن الذي يعرف الدين أقلُّ ممن لا يعرفه»[٢].

---

(١) ينظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٧، ٢٧١، ٢٢٥)، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٥٤، ٨٩، ١٨٨).

(٢) مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٣٥).

وحكىٰ -رحمه الله- أن في بعض قبائل الأعراب أكثر من مائة ناقض من نواقض الإسلام[١]، وأنهم يفضلون حكم الطاغوت علىٰ حكم الله[٢]، ويسبُّون الشرع المنزل، وهذا معلوم حتىٰ عند خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٣].

بل تحدَّث الشيخ الإمام عن حيرته -في هذا الواقع المريج- قبل أن يمنَّ الله عليه بالهداية، فقال: «وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم وأعتقد أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنىٰ لا إله إلا الله، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منَّ الله به.. فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنىٰ لا إله إلا الله، أو عرف معنىٰ الإسلام قبل هذا، فقد كذب وافترىٰ، ولبَّس علىٰ الناس»[٤].

ومما يجدر بيانه عن هذا الواقع المتردي لنجد، أن نشير إلىٰ تأثير الآراء الكلامية، والأذواق الصوفية؛ فالناظر إلىٰ آراء علماء نجد ومطاوعتهم -قبيل الدعوة- يلحظ النَفَس الكلامي في مقولاتهم وتقريراتهم، كالتجهيل في الصفات الإلهية، ومجاهرة بعضهم بالتمشعر، وإيجاب النظر، والاقتصار علىٰ تقرير توحيد الربوبية، وتجويز الذبح للجن إذا سمَّىٰ![٥]

كما أن لنجد حظًّا لا بأس به من شطحات الصوفية وأحوالهم، فهناك أحوال شيطانية تقارف في نجد! وهناك أشخاص يتَّبعون ابن عربي وابن الفارض،

(١) تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٨).
(٢) ينظر: مؤلفات الشيخ (٣/ ٣٩)
(٣) ينظر: تاريخ ابن غنام (١/ ١٠٨).
(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ١٨٦، ١٨٧) باختصار.
(٥) ينظر: مبحث علم الكلام عند علماء نجد قبل الدعوة في كتاب مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة للكاتب (ص٤٥-٨٠).

وتُدُوْوِلت مصطلحات «السرِّ والوَلاية والفناء»! والافتتان بأدعياء الوَلاية كتاج وشمسان وأضرابهم، والاحتفال بالمولد النبوي، واتخاذ الحُجُب كما هو مبسوط في موضعه[1].

إن ذلك المسلك الكلامي والصوفي سبب ظاهر في موقف الخصومة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبيان ذلك أن دين الله تعالىٰ قائم علىٰ أصلين كبيرين: ألا نعبد إلا الله وحده، وألا نعبده إلا بما شرعه المصطفىٰ ﷺ. فآراء الكلام أفسدت الأصل الأول، إذ جعلت الإلهية هي الخلق والقدرة علىٰ الاختراع، وأذواق الصوفية أفسدت الأصل الثاني، فجعلت التعبد وفق المواجيد والعادات، وهذه الدعوة الإصلاحية إنما جاءت بتحقيق هذين الأصلين الجليلين.

(٢) شكوك المتكلمة وشحطات المتصوفة يستحيل أن تتفق مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكان ذلك المكر الكبَّار الذي تكاد تزول منه الجبال، فعندما تطالع رسائل الشيخ ومخاطباته تلمس كثرة الخصوم وشراستهم، وشدة المعارضة للدعوة، وتنوع كيدها، وتلوُّن الخصوم ومراوغتهم، كما وصفها الشيخ بقوله: «ولبَّسوا علىٰ العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورَجله...»[2].

ويصوِّر تلميذه ابن غنام هذا الخصومة الشرسة، فيقول: «فأخذوا في ردِّه والإنكار عليه، وأتوا بأعظم الأسباب... وأشر الناس والعلماء إنكارًا عليه: سليمان بن سحيم وأبوه محمد، فقد اهتم في ذلك وأنجد وجدَّ في التحريش عليه، وأرسل

(١) ينظر: مبحث التصوف في كتاب مسائل الاعتقاد عند علماء نجد (ص٨١-١٠٨).
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٣٦).

بذلك إلىٰ الأحساء والحرمين والبصرة... وأفتىٰ علماء السوء بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي، وصنفوا المصنفات في تضليله وتجهيله، وسطروا فيها الجزم بكفره»[1].

ومن ذلك أن أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني، صنَّف كتابًا ضخمًا يزيد علىٰ مائتي ورقة، بناءً علىٰ رسالة تحريضية من سليمان بن سحيم مطوَّع الرياض، وكان هذا العداء السافر منذ كانت الدعوة في بدايتها سنة ١١٥٧هـ[2]، ولهذا المصنف رواج عند خصوم الدعوة بنجد[3].

وبالجملة، فلا تكاد تحصىٰ المؤلفات التي سوَّدها أصحابها في النيل من هذه الدعوة... لكنها اندرست وصارت أثرًا بعد عين... فأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

(٣) مع هذا العداء الراتب، والكيد المتناهي، والذي يؤزُّه علماء ومطاوعة، ويحميه حكام وسلاطين؛ إلا أن الشيخ الإمام كان مستصحبًا أن هذا العداء لا بد أن يصيب أتباع الرسل، فلم يبعث الله نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج[4].

يقول -رحمه الله-: «والذي قلب الناس علينا الذي قلبهم علىٰ سيد ولد آدم ﷺ، وقلبهم علىٰ الرسل من قبله، «كلما جاء أمة رسولها كذبوه»، ومثل ما قال ورقة للنبي ﷺ: (والله ما جاء أحد بمثل ما جئتَ به إلا عودي)»[5].

---

(١) تاريخ ابن غنام (١/ ٣١) باختصار.

(٢) انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للكاتب (ص٥٤ - ٥٥).

(٣) ينظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٠، ٢٠٦).

(٤) ينظر: كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٣٦).

(٥) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٤٤).

وهذه علامة الإرث الصحيح لسبيل المرسلين، فالعلماء ورثة الأنبياء، والعلماء والدعاة إذا أيقنوا أنهم امتداد لهذه القافلة المباركة، وأنه لا بد من أعداء وخصوم؛ فإن ذلك يزيدهم ثباتًا علىٰ الطريق، ويرسِّخ فيهم إظهار الحق، والرحمة بالخلق.

لقد واجه الشيخ الإمام هذه المعارضات بالصبر واليقين، فدافع شبهات القوم بالحجة والبرهان، ومع أن الشيخ الإمام فيه بعض الحِدَّة -كما أخبر عن نفسه[1]-، إلا أنه كان ربانيًّا عالي الهمة، فطالما ترفق مع خصومه، وخاطبهم بالتي هي أحسن... فها هو يخاطب شيخه عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف -أحد علماء الأحساء-، قائلًا: «فإني أحبك، وقد دعوتُ لك في صلاتي، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقًا لدين الله»[2].

لكن هذا الشيخ المخاطب قد دوَّن رسالة في الرد علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سمَّاها: «سيف الجهاد لمدَّعي الاجتهاد».

ويصف الشيخُ الإمامُ محمدَ بن فيروز بأنه أقربهم إلىٰ الإسلام، وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام ابن تيمية وابن القيم[3].

لكن هذا الخصم ابن فيروز قد بلغت عداوته حدًّا لا يوصف، فألَّف كتابًا في الرد علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكاتب سلطان الدولة العثمانية يحرِّضه علىٰ قتال «البغاة الخارجين» بنجد! علىٰ حد تعبيره، وله من الإسفاف وشناعة القذف ما لا يحسن تدوينه ههنا[4]!

(١) ينظر: مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٣١٥).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٢).

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٠٦).

(٤) ينظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٤٤-٤٦).

هذا الترفق والعدل كان من أسباب ظهور دعوة الشيخ، فإذا كان من أسباب ظهور الحق: ظهور المعارضين له، وعند وجود المرتدين يوجد المجيبون لله ورسوله، والمجاهدون في سبيل الله؛ فإن العدل مع المخالف من أسباب الغلبة والظهور، كما أن الظلم والعدوان مجلبة للخذلان.

قال ابن تيمية: «إن الإنسان إذا اتَّبع العدل نُصر علىٰ خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمه»[1].

ثم إن إخلاص الشيخ الإمام لله تعالىٰ وحده في دعوته، وتخلُّصه من حظوظ النفس، وتجرده لنصرة الدين كان سببًا رئيسًا في فلاح دعوته واستمرارها، فما كان لله فينفع ويدوم، وما لم يكن لله فإن يزول ويضمحل.

تأمَّل في قوله -رحمه الله-: «إني أذكر لمن خالفني أن الواجب علىٰ الناس اتباع ما وصَّىٰ به النبي ﷺ أمته، وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها، ولا تأخذ من كلامي شيئًا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه»[2].

وانظر -رعاك الله- إلىٰ مقالته: «بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها علىٰ الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق»[3].

وعقب جهاد طويل، ومجادلة باللسان، ومجادلة بالسنان؛ تحقق التمكين لهذه الدعوة، وأفنىٰ الله خصوم الدعوة من علماء وأمراء، فلم تبقَ منهم عين تطرف، وصاروا نسيًا منسيًّا.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٠٩-٤١٠).

(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٣٢).

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ (٥/ ٢٥٢). وينظر: (٥/ ٢٧٦).

وتحققت الحياة الطيبة في جزيرة العرب، فعمَّ الأمن والطمأنينة، وغلب الرخاء، وازدهر الرزق والاقتصاد، فامتنّ الله عليهم فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، والنعيم المقيم والنظر إلىٰ وجه الله الكريم خير وأبقىٰ.

(٧) أبو بطين .. الفقه والاحتساب[1]

لئن كان العلَّامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين (ت ١٢٨٢هـ)[2] من علماء الدعوة السلفية -التي جددها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب-؛ إلا أنه يُعدُّ نموذجًا فذًّا في سيرته وقضائه وفقهه، وجهوده العلمية؛ فلا غرو أن يلقَّب آنذاك بـ«مفتي الديار النجدية»؛ فكان في الفروع «إذا سُئل عن مسألة واضحة لا تخفىٰ علىٰ أدنىٰ طَلَبَته تأنَّىٰ في الجواب حتىٰ يظن الجاهل أنه لا يعرفها، والحال أنه يعرف مَن نقلها، ومَن رجَّحها، ومَن ضعَّفها، ودليلَها، وأما اطلاعه علىٰ خلاف الأئمة الأربعة وغيرهم من السلف والروايات والأقوال المذهبية فأمر عجيب»[3].

فمن مزاياه أنه ألَّف رسالة في تجويد القرآن، وهذا يندر عند علماء نجد في ذلك الوقت، ثم إنه في أصول الدين صاحب تقريرٍ بديع، وردٍّ متين كما هو ظاهر في مؤلَّفاته وفتاويه.

ومن ذلك: شبهة القوم أن الذين يطلبون الشفاعة من الأموات، يقولون: إن النبي ﷺ أُعطِي الشفاعة، ونحن نطلبها ممن أعطاها الله إياه.

فأجاب العلَّامة أبو بطين عن هذه الشبهة قائلًا: «إطلاق القول بأن الله ملَّك المؤمنين الشفاعة خطأٌ؛ بل الشفاعة كلها لله وحدَه، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وأثبت -سبحانه- الشفاعة بإذنه، وأخبر النبيُّ ﷺ أن الأنبياء

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٢٨٢)، صفر (١٤٣٢هـ).

(٢) انظر ترجمته في: السحب الوابلة لابن حميد (٢/ ٦٢٦)، وعلماء نجد للبسام (٤/ ٢٢٥).

(٣) السحب الوابلة (٢/ ٦٣١).

يشفعون، والصالحون يشفعون، وعلىٰ هذا فمن أَذِن الله له في الشفاعة يصح أن يقال: إنه مَلَك ما أُذِن له فيه، لا ما لم يؤذن له فيه؛ فهو تمليك معلَّق علىٰ الإذن والرضا لا تمليك مطلَق... وسيد الشفعاء -صلوات الله وسلامه عليه- لا يشفع حتىٰ يقال له: (ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، واشفع تشفَّع)»[1].

ولما احتج الخصوم بحديث: إن الشيطان يئس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب علىٰ عدم وقوع الشرك في جزيرة العرب.

ردَّ أبو بطين هذا الاستدلال فقال: «في الحديث نسبة اليأس إلىٰ الشيطان مبنيًّا للفاعل، لم يقُل: «أُيِّس» بالبناء للمفعول، لو قُدِّر أنه يئس من عبادته في أرض العرب إياسًا مستمرًّا؛ فإنما ذلك منه وتخمين لا عن علم؛ لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله... كما أن أكثر العرب ارتدُّوا بعد وفاة النبي ﷺ؛ فكثير منهم رجعوا إلىٰ الكفر وعبادة الأوثان، وكثير صدَّقوا مسيلمة في دعواه الكاذبة للنبوة، ومَن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبده؛ لا تختص عبادة الشيطان بنوع من الشرك، كما أن المصطفىٰ ﷺ أخبر أن هذه الأمة تفعل كما فعلت الأمم قبلها: اليهود والنصارىٰ وفارس والروم»[2].

ومن تقريراته التي تدل علىٰ تحقيقه ورسوخه تعقُّبُه صاحبَ تيسير العزيز الحميد -الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ- في قوله: إن الطاعة ملزومة للعبادة[3]؛ حيث قال أبو بطين: قوله: ملزومة للعبادة... غير صحيح؛ فليس كل مطاع معبودًا كالنبي ﷺ، وأولي الأمر[4].

---

(١) تأسيس التقديس (ص٨٢).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٤٨٢ - ٤٨٧) باختصار. وانظر: (٢/ ١٧٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٦٥٦).

(٤) ملخص من شرح التوحيد لأبي بطين «مخطوط في دارة الملك عبد العزيز» (ق ٢٩/ أ).

فهذا كلام نفيس دلَّت عليه النصوص الشرعية؛ فالعبادة حق لله -تعالىٰ- وحده، وأما جنس الطاعة فهي لله ورُسُله -عليهم السلام- كما أن العبادة غاية الحب وغاية الذل، بخلاف الطاعة للملوك؛ فقد تكون خضوعًا ظاهرًا فقط[1].

وأما عن احتسابه فقد ظهر جليًا في احتسابه السياسي وَفْقَ تقريرات علمية ومواقف عملية، ولما ورد عليه هذا السؤال: إن قال بعض الجهال: من شرط الإمام أن يكون قرشيًّا، ولم يقُل عارضيًّا؛ يشير إلىٰ أنه قد ادَّعاها من ليس من أهلها، يعني شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ومن قام معه وبعده بما دعا إليه، وأيضًا أن البغاة يحل دماؤهم دون أموالهم، وقد استحل الأموال والدماء من العلماء وغيرهم = فما الجواب؟

فأجاب -رحمه الله-: «إذا قال بعض الجهال ذلك، فقل له: ولم يقُل: تركيًّا، فإذا زال الأمر عن قريش؛ فلو رجع إلىٰ الاختيار لكان العرب أَوْلَىٰ به من الترك؛ لأنهم أفضل من الترك؛ ولهذا ليس التركي كفوًا للعربية... وهذا الذي يعظمه الناس تركي لا قرشي، وهم أخذوها بغيًا علىٰ قريش، ومحمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ما ادَّعىٰ إمامة الأمة؛ وإنما هو عالم ودعا إلىٰ هدىً وقاتل عليه، ولم يلقَّب في حياته بالإمام، ولا عبد العزيز بن محمد بن سعود، ما كان أحد منهما يسمىٰ إمامًا في حياته، وإنما حدث تسمية من تولىٰ إمامًا بعد موتهما.

وأيضًا فالألقاب أمرها سهل، وهذا من صار واليًا في صنعاء سمِّي إمامًا، وصاحب مسقط يسمىٰ إمامًا، وقتال الشيخ محمد بن عبد الوهاب مَنْ قاتله ليس لكونهم بغاة، وإنما قاتلهم علىٰ ترك الشرك وإزالة المنكرات وعلىٰ إقامة الصلاة

---

(١) انظر: السبعينية (ص٥٠٣)، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢١٩).

وإيتاء الزكاة، والذين قاتلهم الصديق والصحابة ﷺ لأجل منع الزكاة، ولم يفرِّقوا بينهم وبين المرتدين في القتل وأخذ الأموال...»[1].

فيلحظ قوة حجة أبي بطين، ورسوخ تحقيقه، ومراعاة الواقع والحال، وعدم الاشتغال بالرسوم والألقاب، والتفريق بين قتال البغاة، وقتال الممتنعين عن شرائع الإسلام الظاهرة كما جاءت به الأدلة الصحيحة.

وأما مواقفه العملية فقد كان -رحمه الله- حاضرًا ومؤثرًا في الواقع السياسي آنذاك، كما في هذه الموقفين الآتيين:

أولهما: أن قومًا من أهل القصيم خرجوا علىٰ الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٥هـ، فقامت وقعة «اليتيمة» بين الفريقين، وهُزم أهل القصيم، وقُتل منهم كثير، ثم إن أمير بريدة حضَّ الناس علىٰ القتال مرة أخرىٰ، فجاءه العلَّامة أبو بطين -وكان قاضي القصيم- وقال له: «يا هذا! اتقِ الله، واربأ بنفسك؛ فإن البلاد ليست لك ولا بيدك، وأمرها بيد أهلها، وليس لك فيها أمر ولا نهي، وهم يريدون إصلاح أنفسهم مع الإمام فيصل، فإن أردتَ أن تكون كذلك فافعل»[2].

فصدع أبو بطين بالحق، وحث علىٰ الصلح مع الإمام فيصل لأجل الاجتماع وحفظ الدماء، ثم إن الذين أشعلوا الفتنة والحرب ضد فيصل بن تركي، ندموا علىٰ ما صنعوا، وخافوا من سطوة الإمام فيصل وبطشه، فطلبوا من العلَّامة أبي بطين أن يسعىٰ في الصلح وإزالة غضب الإمام، فركب أبو بطين إلىٰ الإمام فأكرمه وأجابه إلىٰ ما طلب وعفا عنهم[3].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: عنوان المجد (٢/ ٢٦٧).

(٣) انظر: عنوان المجد (٢/ ٢٦٨)، وعلماء نجد للبسام (٤/ ٢٤٠).

وأما الموقف الثاني: فإن أهل عنيزة لَمَّا عزموا علىٰ إخراج أميرهم جلوي بن تركي سنة ١٢٧٠هـ وحاصروه في قصره، فبادر الشيخ أبو بطين فنصح أهل عنيزة بألَّا يُخرِجوا جلوي بهذه الطريقة، وقال: أنا كفيل لكم بأن أركب إلىٰ الإمام فيصل بن تركي وأطلب منه أن يعزل أخاه جلوي، وينصب بدله أميرًا ترضونه. لكنهم أصروا علىٰ إخراجه، فغضب الشيخ أبو بطين، وخرج إلىٰ بريدة[1].

فالشيخ أبو بطين اتخذ مسلكًا وسطًا متوازنًا يتفق مع أصل الاجتماع وقاعدة المصالح؛ فنصح أهل عنيزة بألَّا يُخرِجوا أميرهم بهذا الأسلوب، ثم إنه وعدهم بأن يسعىٰ إلىٰ تنصيب أمير بدله.

وأخيرًا: فإن الناظر إلىٰ سيرة العلَّامة أبي بطين ونظرائه لَيَتذكَّر مقالةً جامعةً للإمام الشعبي؛ حيث يقول: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمع فيه العقل والنُّسُك[2].

ولقد اجتمع لأبي بطين العقل والنُّسُك، ومع أنه أدرك نهاية الدولة السعودية الأُولَىٰ، واضطرابًا في عهد الدولة السعودية الثانية إلا أنه كان راسخًا مسدَّدًا، ثابتًا موفَّقًا في فتاويه ومواقفه؛ فقد حباه الله -تعالىٰ- عقلًا رشيدًا ورأيًا راجحًا، فولي القضاء في نجد والحجاز وعُمان، فأحسن القضاء بين الخصوم، وأجاب عن مسائل مشكلة في الفقه والاعتقاد -كما هو مبسوط في فتاويه-، وشارك في معالجة نوازل واقعة، كما سبق القول.

ثم إنه صاحبُ تعبُّد وسَمْت، وصدقة وإحسان؛ فقد كان ساكنًا وقورًا، دائم الصمت، قليل الكلام في كل شيء كثير العبادة والتهجُّد، مواظبًا علىٰ درسَي وعظٍ

---

(١) انظر: الأحوال السياسية في القصيم للسلمان (ص١٩١).

(٢) انظر: السير للذهبي (٤/ ٣٠٧).

بعد العصر وبين العشاءين في المسجد الجامع[1].

وقد ورد في الأثر: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات.

(١) السحب الوابلة لابن حميد (٢/ ٦٣١).

(٨) الدعوة الإصلاحية .. القبول والبهتان[١]

ما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- إلا امتدادٌ لمذهب أهل السُّنة والجماعة، بل هي امتداد لِمَا كان عليه رسول الله ﷺ وصحبُه الكرام، ﷺ؛ فمن أصول هذه الدعوة الإصلاحية: الدعوة إلىٰ عبادة الله -تعالىٰ- وحدَه لا شريك له، ولزوم الرسول ﷺ واتِّبَاعُه في أقواله وأفعاله وتقريراته؛ فالذين يدعون إلىٰ الله -تعالىٰ- مخلصين له الدين يتحقق لهم النفع والدوام؛ إذ كل عمل لا يُبتَغَىٰ به وجه الله يزول ويضمحِل.

قال -تعالىٰ-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

كما أن الذين يتَّبعون الرسول ﷺ يحصل لهم تمام الاهتداء والتوفيق، كما قال -عز وجل-: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

إن هذا التوحيد الخالص الذي حققته هذه الدعوة السلفية عبر مؤلَّفاتها ورسائلها ومواقفها، أورث جزيرة العرب أمنًا وطمأنينة، واهتداءً وبصيرة في الدنيا والآخرة؛ فالناظر إلىٰ حال الجزيرة -ونَجْدٍ علىٰ سبيل الخصوص- قبل الدعوة لا تقع عينه إلَّا علىٰ انحرافات دينية، وفقر حضاري، وتدهور أمني، ونزاعات سياسية، ونقص في المعايش والأرزاق؛ فلما ظهرت هذه الدعوة المباركة أعقبَ ذلك صلاحُ الدين، واستقامة الأحوال، واستقرار الأوطان، ورَغَد العيش، وازدهارٌ حضاري.

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٢٧٦)، شعبان (١٤٣١هـ).

قال -تعالىٰ-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

أفيقال بعد ذلك: إن هذه «الوهابية خطر علىٰ الإسلام والعالم»[1]، وإنها تهدِّد الأمن والسلام...؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! إن هذه الدعوة المباركة قد مضىٰ علىٰ ظهورها قرابةُ ثلاثة قرون، وقد عمَّ خيرها وظهر أثرها في بلاد العرب والعجم، ولا يزيدها تصرُّم الأيام والليالي إلا قَبُولًا وانتشارًا.

ومهما تكالب خصوم المذهب السلفي، واشتد كيدهم، وعَظُمت شوكتهم، إلا أن الظهورَ والغلبةَ لمذهب السلف في القديم والحديث؛ فإن مذهب السلف الصالح في غاية الإحكام والسداد، والثبات والاطِّراد؛ فسرعان ما تَقْبَلُه الفطرة، وتدركه العقول السليمة، فتحظىٰ ببرد اليقين ورسوخ الإيمان، وأما المذاهب البدعية فإنما يتجرعها أصحابها علىٰ مضض وكُلْفة؛ إذ لا تكاد تسيغه ولا تقبله إلا بعَنَت.

وإذا نظرنا إلىٰ مواقف خصوم هذه الدعوة الإصلاحية فإنك لا تكاد تحصي المؤلَّفات، والمقالات، والندوات، والمؤتمرات المعادية لهذه الدعوة، إضافة إلىٰ كثرة الحروب والمعارك التي قامت من أجل استئصال هذه الدعوة.

لكنَّ هذا المكر أضحىٰ أثرًا بعد عين؛ فالعاقبة للمتقين، والله -تعالىٰ- لا يُصلح عمل المفسدين.

وأظن أن هذه الدعوة قد كُذِب عليها أكثر مما كَذَب الرافضة علىٰ جعفر الصادق، رحمه الله؛ فإذا كانت الدعوة الإصلاحية في مهدها قد تمالأ عليها في

(١) عنوان ندوة بالقاهرة عُقِدَت خلال شهر جمادى الأولى ١٤٣١هـ.

العارض بِنَجْدٍ أكثرُ من عشرين عالمًا وطالبَ علم[1]؛ فما بالك بعد أن تجاوزت نجدًا إلىٰ سائر جزيرة العرب وبلاد العرب والعجم؟

وما أروع الوقائع والأمثلة التي حررها العلَّامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته «المقامات»، تلك التي تكشف أنواعًا من الكرامات والحفظ والنصرة لهذه الدعوة؛ رغم الحروب الشرسة والجيوش الجرارة التي تقصد سحقها؛ ومثال ذلك أن دهام بن دواس -أمير الرياض آنذاك- حارب الدعوة أكثر من ثلاثين عامًا، وأعانه أهل نجران والأحساء، ثم آخر أمره يخرج طريدًا وحيدًا[2].

ويبدو أن البغي والفجور في الخصومة من قِبَل أولئك الأعداء كان سببًا في ظهور هذه الدعوة وانتصارها؛ فإن الله -عز وجل- أحكم الحاكمين، وقد يقيم الدولة الكافرة إن كانت عادلة[3]؛ فكيف لا يقيم الدولة المسلمة العادلة؟ قال -تعالىٰ-: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن تيمية: «إن الإنسان إذا اتَّبع العدل نُصِر علىٰ خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمه»[4].

ولو عَقَل الخصوم في مواقفهم لسلكوا سبيل العدل والعلم؛ فأين التثبُّت في النقل؟ وأين الأدلَّة علىٰ تلك الدعاوىٰ والأقاويل؟ فإن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدَّعيًا فالدليل.

---

(١) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/ ١٠٨).
(٢) المقامات (ص١٢).
(٣) انظر: الاستقامة لابن تيمية (٢/ ٢٤٧)، ونقض التأسيس (٢/ ٣٤٤، ٣٤٨).
(٤) الدرء (٨/ ٤٠٩).

وتراث علماء الدعوة الإصلاحية مطبوع، متداوَل، وتقريرات علماء الدعوة واضحة ميسَّرة تُوائم عقيدة التوحيد في وضوحها وسَيْرها؛ فليت أولئك القوم يطالعون هذا التراث مباشرة؛ فلا تُحاكَم هذه الدعوة وَفْقَ مقررات سابقة، أو دعاوىٰ كاذبة! وأيُّ إفك أشد وأشنع أن يُتَّهَم الشيخ محمد بن عبد الوهاب -علىٰ سبيل المثال- بادِّعاء النبوة، وانتقاص رسول الله ﷺ؟ ثم يُفتَرَىٰ علىٰ هذه الدعوة خلال هذه الأيام، بأنها لا تَقِلُّ سوءًا عن الكيان الصهيوني! فهذه الكذبات الصلعاء تعكس جهلًا كثيفًا لدىٰ الشانئين، كما تؤكد إفلاسَهم وتهافُتَهم.

وإذا كنا نعجب من بغيٍ وافتراءٍ علىٰ هذه الدعوة من قِبَل عرب متسنِّنَة، فأعجب من ذلك أن ترىٰ العدل والإنصاف من عالِم ليس عربيًّا، بل هو أعجمي فارسي، بل ليس سنيًّا، وإنما نشأ في إيران، وأحكم المذهب الشيعي حتىٰ شهد له أبرز علماء الشيعة بالاجتهاد؛ إنه «آية الله العظمىٰ» البرقعي؛ حيث يقول عن حكومة الخميني: «ليعلم القارئ أن هذه الدولة جعلتْ الناس أعداءً لنا؛ فإنَّ كلَّ من جرىٰ علىٰ لسانه كلمةٌ لبيان العقائد الموافقة للقرآن، فإن نظام الخميني يتهمه بأنه «وهابي»، مع أنه لا يوجد في الدنيا مذهب اسمه «الوهابية»، وإنما هم لغرض استعداء الناس وتنفيرهم.

نعم! من حيث العقيدة هم يسيرون علىٰ عقائد العالم محمد بن عبد الوهاب، ولكنه لم يأتِ بمذهب جديد، وإنما هي آراء ابن تيمية وابن القيم، وهذان أيضًا لم يفعلا شيئًا سوىٰ محاربة الخرافات والبدع، ودعوة الناس إلىٰ الرجوع إلىٰ القرآن»[1].

---

(١) سوانح الأيام «أيام من حياتي» للبرقعي (ص ٣٠٨) باختصار.

وأخيرًا: فإنَّ عَجْزَ بعض المتسنِّنَة عن مدافعة هذا الكيد، وجَزَعَ بعضهم من تلك الأحداث والمتغيرات العالمية الهائلة، هو الذي أوقع أولئك الخصوم في هذا العداء السافر والمكر الكبَّار، فنعوذ بالله من جَلَد الفاجر وعجز الثقة.

فأين هؤلاء العَجَزة الجبناء من ملا عمران بن رضوان -رحمه الله- وهو الذي ما إن تبيَّن له صحةُ دعوة الشيخ الإمام، حتىٰ بادر داعيًا إليها، فَلَقَّبوه بالوهابي، فأنشد قائلًا:

إن كان تابعُ أحمدَ متوهِّبًا ... فأنا المُقِرُّ بأنَّني وهَّابي

أنفي الشريكَ عن الإله فليس لي ... ربٌّ سوىٰ المتفرِّد الوهَّابِ

(٩) جهود علماء الدعوة السلفية بنجد تجاه النوازل والأحداث[1]

التعامل مع النوازل والمستجدات يحتاج إلىٰ رسوخ في العلم، وبصيرة بالأدلة الشرعية، واستيعاب لمقاصد الشريعة وقواعد المصالح والمفاسد، كما يحتاج إلىٰ توصيف صحيح، وفقه دقيق لتلك الواقعة، ليتسنىٰ تنزيل الحكم الشرعي الملائم لتلك النازلة.

ولم يكن علماء نجد بعيدين عن قضايا واقعهم ومستجدات عصرهم، بل كان لهم تأثير بارز ودور رئيس في حل النوازل والحوادث، فكانوا أصحاب المواقف الشجاعة إزاء تلك القضايا، وأرباب القرار الصحيح تجاه النوازل والمستجدات؛ ولا غرو في ذلك؛ فقد أنعم الله تعالىٰ عليهم بالفقه في دين الله، وفهم تلك الوقائع والأحداث، ونعرض جملة من تلك الجهود في هذا المقام:

١. لما هجمت جيوش إبراهيم باشا علىٰ نجد في أواخر الدولة السعودية الأولىٰ وقصدوا استئصال الدعوة السلفية وأتباعها، ساعدهم جماعة من أهل نجد من البادية والحاضرة، وأحبوا ظهورهم وانتصارهم، فعندئذ ألَّف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رسالته القيِّمة: «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك»[2].

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (١٦٣)، ربيع الأول (١٤٢٢هـ).

(٢) انظر: الدرر السنية (٧/ ٣١٠).

ففي هذه الأوضاع المضطربة والفتن المتقلبة يبرز دور العلماء الربانيين، العالمين بالله تعالىٰ وبأمره؛ فقد صنف الشيخ سليمان رسالته في زمن فتنة، وفي أحوال مشوبة بالخوف والهلع من جيوش إبراهيم باشا، ولا يخفىٰ ما يؤول إليه حال بعض الخاصة فضلًا عن العامة زمن الفتن والهلع من الذهول والحيرة والانتكاس.

صنَّف الشيخ سليمان هذه الرسالة في وقت زاغت فيه قلوب، وانساقت إلىٰ مظاهرة المشركين وموافقتهم، فقرر الشيخ وبالأدلة الكثيرة أن مَنْ ظاهَرَ الكفار وتولاهم فهو منهم، كما قد وقع فيه أولئك الخونة.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله في هذه الرسالة: «الدليل السادس عشر[1]: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١]. فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة سواء بسواء؛ فإنهم قبل هذه الفتنة يعبدون الله علىٰ حرف، أي: علىٰ طرف، ليسوا ممَّن يعبُد الله علىٰ يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة، انقلبوا عن دينهم وأظهروا موافقة المشركين، وأعطوهم الطاعة، وخرجوا عن جماعة المسلمين إلىٰ جماعة المشركين.

هذا مع أن كثيرًا منهم في عافية، ما أتاهم عدو، وإنما ساء ظنهم بالله فظنوا أنه يديل[2] الباطل وأهله علىٰ الحق وأهله، فأرداهم سوء ظنهم بالله»[3].

---

(١) من الأدلة الشرعية على تحريم موالاة الكفار.

(٢) من الإدالة وهي الغلبة.

(٣) الدلائل (ص ٤٧، ٤٨) باختصار.

٢. ويعيد التاريخ نفسه؛ حيث هجمت العساكر التركية علىٰ بلاد نجد سنة ١٢٥٣ هـ، وساعدهم من ساعدهم حتىٰ استولوا علىٰ كثير من نجد، فصنَّف الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله رسالة قوية سماها: «سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك»[١].

فكانت هذه الرسالة سببًا في تحقيق عقيدة الولاء والبراء واستقرارها بعدما كادت عواصف الفتن أن تزحزحها.

ونقتطف من تلك الرسالة السطور الآتية:

«أخبر تعالىٰ أن الذين في قلوبهم مرض أي شك في الدين وشبهة يسارعون في الكفر قائلين: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]. أي: إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين قالوا: نخشىٰ أن تكون الدولة لهم في المستقبل، فيتسلطوا علينا، فيأخذوا أموالنا ويشردونا من بلداننا، وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال الله فيه: ﴿الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]»[٢].

٣. وفي سنة ١٢٦٥ هـ وقعت معركة «اليتيمة» بين جيوش فيصل بن تركي وبين أهل القصيم بقيادة أمير بريدة عبد العزيز بن محمد آل أبي عليان، واشتد القتال بين الفريقين، وانهزم أهل القصيم وقتل الكثير منهم، وفرَّ أميرهم إلىٰ عنيزة، ولم يدرِ ما يفعل. فأتىٰ إليه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين[٣] -وكان قاضي بلدان

(١) الدرر السنية (٧/ ٣١٠).

(٢) سبيل النجاة والفكاك (ص ١٧، ١٨).

(٣) ولد الشيخ أبو بطين في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ ودرس على كبار علماء نجد، وجلس للتدريس، تولى القضاء في عدة مناطق، ولقب بمفتي الديار النجدية، له مؤلفات توفي في شقراء سنة ١٢٨٢هـ انظر: مشاهير علماء نجد (ص ٢٣٥)، علماء نجد (٢/ ٥٦٧).

القصيم- فقال له: «يا هذا اتق الله، واربأ بنفسك؛ فإن البلاد ليست لك ولا بيدك، وأمرها بيد أهلها، وليس لك فيها أمر ولا نهي، وهم يريدون إصلاح أنفسهم مع الإمام فيصل، فإن أردت أن تكون كذلك فافعل».

ثم إن رؤساء بلد عنيزة أتوا إلىٰ الشيخ عبد الله أبي بطين وقالوا: إن هذه الأمور التي منا وقعت، والحوادث التي منا صدرت لا يصلحها إلا أنت، ولا يزيل غضب الإمام فيصل غيرك.

فقال لهم: «إنكم تعلمون أني لست من أهل بلدكم ولا من عشيرتكم، ولا يحسن مني الدخول في هذا الشأن الذي أوله إلىٰ آخره من تسويل الشيطان؛ فأعفوني ودعوني، وأرسِلوا في هذا الأمر غيري».

فقالوا: إن هذا الأمر تعيَّن عليك والصلح لا يصلح إلا علىٰ يديك، فركب الشيخ عبد الله إلىٰ الإمام فيصل -وهو في بلد المذنب- فأكرمه وأجابه إلىٰ كل ما طلب من العفو والصفح عنهم، وأعطاهم الأمان[1].

٤. لما توفي فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ، وتولىٰ الحكم من بعده ابنه عبد الله، حصل شقاق واختلاف بين عبد الله وأخيه سعود، فوقعت حروب طاحنة، وفتن متلاطمة بين عبد الله، وأخيه سعود.

وكان للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله دور ظاهر في الإصلاح، وجمع الكلمة وحفظ الدماء، ودرء الفتنة، ودفع الشر والفساد بحسب الطاقة.

لقد أوتي الشيخ عبد اللطيف قوة وبصيرة، وحكمة وعلمًا، ونصحًا وإشفاقًا علىٰ الراعي والرعية.

(١) انظر تفصيل ذلك في: عنوان المجد (٢/ ٢٦٢-٢٦٩)، تذكرة أولي النهى والعرفان (١/ ١٢٦، ١٢٧).

وقد سطَّر الشيخ عبد اللطيف رسائل كثيرة[١] في أثناء تلك الفتنة الطويلة[٢] تضمنت عرضًا شاملًا، وتحليلًا وافيًا لتلك الأحداث الجسام، وموقفه من تلك النوازل.

ونختار إحدىٰ هذه الرسائل:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلىٰ الأخوين المكرمين: زيد بن محمد، وصالح بن محمد الشثري[٣]، سلمهما الله تعالىٰ. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو علىٰ نعمه، والخط وصل، أوصلكم الله إلىٰ ما يرضيه، وما ذكرتموه كان معلومًا، وموجب تحرير هذا ما بلغني بعد قدوم عبد الله[٤] وغزوه من أهل الفرع، وما جرىٰ لديكم من تفاصيل الخوض في أمرنا والمراء والغيبة، وإن كان قد بلغني أولًا كثير من ذلك، لكن بلغني مع من ذكر تفاصيل ما ظننتها، فأما ما صدر في حقي من الغيبة والقدح والاعتراض ونسبتي إلىٰ الهوىٰ والعصبية، فتلك أعراض انتهكت وهتكت في ذات الله أعدُّها لديه جل وعلا ليوم فقري وفاقتي، وليس الكلام فيها، والقصد بيان ما أشكل علىٰ الخواص والمنتسبين من طريقتي في هذه الفتنة العمياء الصَّمَّاء، فأول ذلك مفارقة سعود لجماعة المسلمين وخروجه علىٰ أخيه، وقد صدر منا الرد عليه وتسفيه رأيه ونصيحة ولد عائض[٥] وأمثاله من الرؤساء عن متابعته والإصغاء إليه ونصرته،

(١) انظر: الدرر السنية: (٧/ ١٨٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠).

(٢) عاش الشيخ عبد اللطيف إحدى عشرة سنة بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي.

(٣) الشيخ زيد بن محمد آل سليمان والشيخ صالح بن محمد الشثري من تلاميذ الشيخ عبد اللطيف، وكانا في الحريق جنوب الرياض. انظر: ترجمة للشيخ صالح الشثري في كتاب: «إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبد العزيز أبو حبيب» (ص ٤٩).

(٤) عبد الله بن فيصل بن تركي.

(٥) يقصد: محمد بن عائض، كان رئيس قبائل عسير وأميرًا بها.

وذكرناه بما ورد من الآثار النبوية والآيات القرآنية بتحريم ما فعل والتغليظ علىٰ من نصره، ولم نزل علىٰ ذلك إلىٰ أن وقعت وقعة جودة[1]، فثل عرش الولاية وانتثر نظامها، وحبس محمد بن فيصل، وخرج الإمام عبد الله شاردًا وفارقه أقاربه وأنصاره، وعند وداعه وصيته بالاعتصام بالله وطلب النصر منه وحده، وعدم الركون إلىٰ الدولة الخاسرة[2].

ثم قدم علينا سعود بمن معه من العجمان والدواسر وأهل الفرع وأهل الحريق وأهل الأفلاج وأهل الوادي ونحن في قلة وضعف وليس في بلدنا[3] من يبلغ الأربعين مقاتلًا، فخرجت إليه وبذلت جهدي، ودافعت عن المسلمين ما استطعت خشية استباحة البلدة، ومعه من الأشرار وفجار القرىٰ من يحثه علىٰ ذلك ويتفوه بتكفير بعض رؤساء أهل بلدتنا، فوقىٰ الله شر تلك الفتنة ولطف بنا، ودخلها بعد صلح وعقد، وما جرىٰ من المظالم والنكث دون ما كنا نتوقع[4]، وليس الكلام بصدده وإنما الكلام في بيان ما نراه ونعتقده، وصارت له ولاية بالغلبة والقهر تنفذ بها أحكامه، وتجب طاعته في المعروف كما عليه كافة أهل العلم علىٰ تقادم الأعصار ومر الدهور، وما قيل من تكفيره لم يثبت لديَّ، فسرت علىٰ آثار أهل العلم، واقتديت بهم في الطاعة في المعروف وترك الفتنة وما توجب من الفساد علىٰ الدين والدنيا، والله يعلم أني بارٌّ راشدٌ في ذلك، ومن أشكل عليه شيء من ذلك فليراجع كتب الإجماع كمصنف ابن حزم ومصنف ابن هبيرة

(١) كانت وقعة «جودة» بين عبد الله بن فيصل وأخيه سعود، عام ١٢٨٧هـ، قد هزمت جيوش عبد الله بن فيصل، وقتل الكثير من رجاله، وسجن أخوه وقائد جيشه محمد بن فيصل في القطيف.

(٢) الدولة التركية.

(٣) الرياض.

(٤) دخل سعود الرياض دون مقاومة، واستولى عليها، ونهبت جنوده الرياض، وعاثت فيها فسادًا.

وما ذكره الحنابلة وغيرهم، وما ظننت أن هذا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ تحصيل وممارسة، وقد قيل: سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم.

وأما الإمام عبد الله فقد نصحت له كما تقدم أشد النصح، وبعد مجيئه لما أخرج شيعة عبد الله سعودًا وقدم من الإحساء ذاكرته في النصيحة وتذكيره بآيات الله وحقه، وإيثار مرضاته والتباعد عن أعدائه وأعداء دينه أهل التعطيل والشرك والكفر البواح، وأظهر التوبة والندم، واضمحل أمر سعود وصار مع شرذمة من البادية حول المُرَّة والعجمان، وصار لعبد الله غلبة ثبتت بها ولايته علىٰ ما قرره الحنابلة وغيرهم كما تقدم أن عليه عمل الناس من أعصار متطاولة.

ثم ابتلينا بسعود وقدم إلينا مرة ثانية، وجرىٰ ما بلغكم من الهزيمة علىٰ عبد الله وجنوده، ومر بالبلدة منهزمًا لا يلوي علىٰ أحد، وخشيت من البادية، وعجلت إلىٰ سعود كتابًا في طلب الأمان لأهل البلدة وكف البادية عنهم، وباشرت بنفسي مدافعة الأعراب مع شرذمة قليلة من أهل البلدة ابتغاء ثواب الله ومرضاته، فدخل البلدة وتوجه عبد الله إلىٰ الشمال، وصارت الغلبة لسعود والحكم يدور مع علته، وأما بعد وفاة سعود[1] فقدم الغزاة ومن معهم من الأعراب العتاة والحضر الطغاة، فخشينا الاختلاف وسفك الدماء وقطيعة الأرحام بين حمولة آل مقرن مع غيبة عبد الله وتعذر مبايعته بل ومكاتبته، ومن ذكره يخشىٰ علىٰ نفسه وماله أفيحسن أن يترك المسلمون وضعفاؤهم نهبًا وسبيًا للأعراب والفجار؟ وقد تحدثوا بنهب الرياض قبل البيعة، وقد رامها من هو أشر من عبد الرحمن وأطغىٰ ولا يمكن ممانعتهم ومراجعتهم، ومن توهم أني وأمثالي أستطيع دفع ذلك مع ضعفي وعدم سلطاني وناصري فهو من أسفه الناس وأضعفهم عقلًا وتصورًا، ومن عرف قواعد

(١) توفي سعود سنة ١٢٩١هـ.

الدين وأصول الفقه وما يتطلب من تحصيل المصالح ودفع المفاسد لم يُشكِل عليه شيء من هذا، وليس الخطاب مع الجهلة والغوغاء، إنما الخطاب معكم معاشر القضاة والمفاتي والمتصدرين لإفادة الناس وحماية الشريعة المحمدية، وبهذا ثبتت بيعته وانعقدت وصار من ينتظر غائبًا لا تحصل به المصالح فيه شبه ممن يقول بوجوب طاعة المنتظر وأنه لا إمامة إلا به.

ثم إن حمولة آل سعود صارت بينهم شحناء وعداوة والكل يرىٰ له الأولوية بالولاية، وصرنا نتوقع كل يوم فتنة وكل ساعة محنة، فلطف الله بنا وخرج ابن جلوي من البلدة، وقتل ابن صنيتان، وصار لي إقدام علىٰ محاولة عبد الرحمن في الصلح وترك الولاية لأخيه عبد الله، فلم آلُ جهدًا في تحصيل ذلك والمشورة عليه مع أني قد أكثرت في ذلك حين ولايته، ولكن رأيته ضعيف العزم لا يستبد برأيه، فيسر الله قبل قدوم عبد الله بنحو أربعة أيام أنه وافق علىٰ تقديم عبد الله وعزل نفسه بشروط اشترطها بعضها غير سائغ شرعًا، فلما نزل الإمام عبد الله ساحتنا اجتهدت إلىٰ أن محمد بن فيصل يظهر إلىٰ أخيه، ويأتي بأمان لعبد الرحمن وذويه وأهل البلد، وسعيت في فتح الباب واجتهدت في ذلك، ومع ذلك كله فلما خرجت للسلام عليه وإذا أهل الفرع وجهلة البوادي ومن معهم من المنافقين يستأذنونه في نهب نخيلنا وأموالنا، ورأيت معه بعض التغير والعبوس، ومن عامل الله ما فقد شيئًا، ومن ضيع الله ما وجد شيئًا، ولكنه بعد ذلك أظهر الكرامة ولين الجانب، وزعم أن الناس قالوا ونقلوا، وبئس مطية الرجل زعموا، وتحقق عندي دعواه التوبة وأظهر لدي الاستغفار والتوبة والندم، وبايعته علىٰ كتاب الله وسنة رسوله.

هذا مختصر القضية، ولولا أنكم من طلبة العلم والممارسين الذين يكتفون بالإشارة وأصول المسائل لكتبت رسالة مبسوطة ونقلت من نصوص

أهل العلم وإجماعهم ما يكشف الغمة ويزيل اللبس، ومن بقي عليه إشكال فليرشدنا رحمه الله، ولو أنكم أرسلتم بما عندكم مما يقرر هذا أو يخالفه، وصارت المذاكرة لانكشف الأمر من أول وهلة، ولكنكم صممتم علىٰ رأيكم، وترك النصيحة من كان عنده علم، واغتر الجاهل ولم يعرف ما يدين الله به في هذه القضية وتكلم بغير علم، ووقع اللبس والخلط والمراء والاعتداء في دماء المسلمين وأعراضهم، وهذا بسبب سكوت الفقيه وعدم البحث، واستغناء الجاهل بجهله واستقلاله بنفسه، وبالجملة فهذا الذي نعتقد وندين الله به، والمسترشد يذاكر ويبحث، والظالم المعتدي حِسابنا وحسابه إلىٰ الله الذي تنكشف عنده السرائر، وتظهر مخبآت الصدور والضمائر يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور.

وأما ما ذكرتم من التنصل والبراءة مما نسب في حقي إليكم فالأمر سهل والجروح جبار، ولا حرج ولا عار، وأوصيكم بالصدق مع الله واستدراك ما فرطتم فيه من الغلظة علىٰ المنافقين الذين فتحوا للشرك كل باب، وركن إليهم كل منافق كذاب، وتأمل قوله بعد نهيه عن موالاة الكافرين: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] والسلام»[1].

يظهر من إيراد هذه الرسالة ما كان عليه العلامة عبد اللطيف من رسوخ في العلم الشرعي، وفهم للوقائع وتحقيق مناطها؛ حيث بيَّن -زمن الفتنة العمياء- مشروعية ولاية المتغلب، وأن الإمامة تثبت بالغلبة والقهر، لذا أمضىٰ ولاية سعود بن فيصل، ثم أمضىٰ ولاية عبد الله بن فيصل -بعد تغلبهما-.

(١) الدرر السنية (٧/ ٢٥٢ - ٢٥٣).

كما نلحظ انهماك الشيخ عبد اللطيف بالإصلاح ودرء الفساد ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، فكان يباشر بنفسه مدافعة المفسدين مع ضعفه وقلة حيلته، وكثرة المحن والأخطار.

ويتجلىٰ فقهه للمصالح والمفاسد وتقديرها «فسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم» فإن ثبوت ولاية المتغلب الظالم أحسن حالًا من الفتنة.

كما نلمس ما عليه الشيخ عبد اللطيف من الوصية بالصدق مع الله والتذكير بالبعث والنشور، «يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور»، فإن خير ما يعصم العبد من الفتن هو اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ والاستعداد للقائه.

٥. وفي سنة ١٣٠٨هـ انهزم أهل القصيم أمام محمد بن رشيد في واقعة المليداء، وقتل منهم ألف رجل، ولما ظفر ابن رشيد ذلك الظفر انتقل من معسكره، ونزل بالقرب من بريدة، وكان قد غضب علىٰ أهل القصيم وحلف بالطلاق أن يبيحها، وهابه أهل القصيم مهابة شديدة، فجعلوا يتوقعون ماذا يحله بهم من العقوبات، فخرج إليه الشيخ العلَّامة محمد بن عبد الله بن سليم[١] -رحمه الله- وذكَّره بآيات العفو، وحضَّه علىٰ المسامحة والصفح، وقال له: يا ابن رشيد! اذكر قدرة الله عليك، واعلم أنه من فوق الجميع، فبكىٰ محمد بن رشيد وقام مستويًا علىٰ قدميه يقول: اللهم إني قد عفوت، يشير بيده إلىٰ بريدة ويكررها، ثم جلس وقد سكن غيظه، وانكسرت حِدَّته، فأكرم الشيخ وسأله عن يمينه بالطلاق، فأفتاه الشيخ[٢].

(١) ولد الشيخ محمد بن سليم في بريدة عام ١٢٤٠هـ وطلب العلم على كبار علماء نجد، وجلس للتدريس وتولى القضاء، وكان صاحب وقار وسمت، توفي في بريدة عام ١٣٢٣هـ. انظر: علماء آل سليم (١/ ٢٠)، علماء نجد (٣/ ٨٧٢).

(٢) انظر: تذكرة أولي النهى والعرفان (١/ ٢٨٦)، علماء آل سليم (١/ ١٩).

٦. وفي عصرنا الحاضر عصفت رياح التغريب ببلاد المسلمين، فظهر تيار جارف من الأفكار المستوردة، وكمٌّ هائل من النوازل والمستجدات، ولقد كانت القوانين الوضعية بمختلف صورها وأنواعها من أشنعها جرمًا وإثمًا، وأخطرها ضررًا.

وقد تصدىٰ علماء نجد لتلك القوانين، فكتب بعضهم[١] لولي الأمر -آنذاك- نصيحة جاء فيها: «ثم آلت بك الحال -هداك الله- وأخذ بناصيتك إلىٰ الوقوع في أمور كثيرة هي من أسباب زوال تلك النعمة، ومن موجبات التغيير وحلول النقمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. منها إلزام الناس أن يظلم بعضهم بعضًا، وأن ترفض الطريقة النبوية الجارية في أسواق المسلمين وبياعاتهم، وأن يقام فيها القانون المضارع لقوانين الكفار الجارية في أسواقهم؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك هو إلزامكم بحجر الناس علىٰ مقدار من السعر في الصرف لا يزيد ولا ينقص، وهذا من أعظم الفساد في الأرض والتعاون علىٰ الإثم والعدوان، وأكل الناس بعضهم أموال بعض بالباطل»[٢].

وحذر الشيخ سليمان بن سحمان -رحمه الله- من التحاكم إلىٰ الطواغيت، فكان مما قاله: «إن كثيرًا من الطوائف المنتسبين إلىٰ الإسلام قد صاروا يتحاكمون إلىٰ عادات آبائهم، ويسمون ذلك الحق بشرع الرفاقة كقولهم: شرع عجمان، وشرع قحطان، وغير ذلك، وهذا هو الطاغوت بعينه الذي أمر الله باجتنابه. فمن فعله فهو كافر يجب قتاله حتىٰ يرجع إلىٰ حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»[٣].

(١) كتب هذه الرسالة مجموعة من علماء آل الشيخ، وهم: محمد بن عبد اللطيف، وصالح بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، ومحمد بن عبد الله بن عبد اللطيف -رحمهم الله-.

(٢) الدرر السنية (٧/ ٣٨٦).

(٣) الدرر السنية (٨/ ٢٧٢، ٢٧٣) باختصار.

وأما الشيخ العلَّامة محمد بن إبراهيم -رحمه الله- فقد كان بصيرًا بخطر تلك المؤسسات الوضعية، ومن ثم اتخذ موقفًا حازمًا تجاه أي هيئة أو مؤسسة ذات حكم وضعي[1].

وألَّف رسالة عظيمة بعنوان: «تحكيم القوانين» قرر فيها -بالأدلة الشرعية- وجوب إفراد الله تعالىٰ بالحكم، وذكر الحالات التي يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله -تعالىٰ- كفرًا أكبر أو كفرًا أصغر.

وكتب الشيخ عبد الرحمن الدوسري -رحمه الله- مؤلفًا في ثلاثة أجزاء بعنوان: «الحق أحق أن يتبع» في الرد علىٰ القوانين الوضعية[2].

وكتب الشيخ علي بن حمد الصالحي رسالةً بعنوان: «العطار والقاسم في الميزان» تتضمن وجوب تحكيم شرع الله وحده ونبذ القوانين الوضعية، وقرَّظ هذه الرسالة العلامة عبد الله بن حميد -رحمه الله-.

٧. وأما العلَّامة عبد الرحمن الناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) فهو أبرز علماء نجد في علاج القضايا والنوازل، حيث كان نموذجًا متميزًا في هذا الباب، فكان مدركًا لمستجدات عصره ومتغيراته، ويتجلىٰ ذلك فيما يأتي:

أ- مناداته بأهمية التعرف علىٰ السياسة الدولية ومقاصدها؛ حيث يقول: «قد عُلِمَ من قواعد الدين أنَّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد، ولا يخفىٰ أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف علىٰ مقاصدهم، ودرس أحوالهم وسياساتهم، وخصوصًا السياسة الموجهة

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٤٦٨).

(٢) انظر: موقف الشيخ الدوسري من القوانين الوضعية ودفاعه عن الشريعة في رسالة «حياة الداعية الدوسري» للطيار رسالة ماجستير غير مطبوعة (ص ٣٢٦ - ٣٢٩).

منهم للمسلمين؛ فإن السياسة الدولية قد أسست علىٰ المكر والخداع وعدم الوفاء، واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد؛ فجهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير، ومعرفتها والوقوف علىٰ مقاصدها وغاياتها التي ترمي إليه نفعه عظيم، وفيه دفع للشر أو تخفيفه، وبه يعرف المسلمون كيف يقاتلون كل خطر»[1].

ب- وكتب العلامة السعدي رسالة رائعة إلىٰ الشيخ محمد رشيد رضا سنة ١٣٤٦هـ[2] يقترح عليه أن تُعنىٰ مجلة المنار بالردِّ علىٰ الملاحدة والزنادقة.

ويظهر من خلال هذه الرسالة ما كان عليه السعدي من سعة الاطلاع، وبُعد الأفق، ورحابة الصدر؛ حيث طالع مجلة المنار، وأثنىٰ عليها خيرًا، وأبدىٰ شيئًا من مآثرها في نصرة الإسلام والمسلمين، مع أن المجلة تكاد تكون مفقودة في نجد آنذاك، بدليل أن محمد رشيد رضا -في جوابه علىٰ رسالة السعدي- يقول: «كنت منذ سنين كثيرة أتمنىٰ لو يطَّلع علماء نجد علىٰ المنار، ويفتح بيني وبينهم البحث والمناظرة العلمية الدينية فيما يرونه منتقدًا لينجلي وجه الصواب فيها، وقد كنت كتبت إلىٰ إمامهم[3] بذلك، وإنني سأرسل إليه عشر نسخ من كل جزء ليوزعها علىٰ أشهرهم، وفعلت ذلك عدة سنين، ولكن لم يأتني منه جواب، ثم ترجَّح عندي أن تلك النسخ كانت تختزل من البريد البريطاني في سنيِّ الحرب وما بعدها». بل إن الشيخ السعدي كما في هذه الرسالة قد طالع تفسير «الجواهر في تفسير القرآن» لطنطاوي جوهري، وكشف عن مزالقه، مع أن السعودية قد منعت هذا الكتاب ولم تسمح بدخوله بلادَها؛ لما تضمنه من انحرافات[4].

(١) رسالة وجوب التعاون بين المسلمين (ص١٣).

(٢) (٢٩) مجلة المنار (مجلد ٢٩ - ج٢ ص ٤٧).

(٣) الملك عبد العزيز آل سعود.

(٤) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، لفهد الرومي (٢/ ٦٣٨- ٦٧٨).

كما ألمح السعدي إلىٰ ما نسب إلىٰ مجلة المنار من تأويلات فاسدة، فقال بكل تؤدة وأدب: «وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك، وإلىٰ الآن ما تيسر لي مطالعته، ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل [هذه] الأمور إلا [من] وجه الردِّ لها والإبطال، كما هي عادتكم في ردِّ ما هو دونها بكثير».

ج- ومن جهود العلامة السعدي في علاج النوازل الحادثة أنه حرر مسألة «زراعة الأعضاء» تحريرًا بليغًا[1]، فكان مما قاله في مطلع هذه المسألة: «جميع المسائل التي تحدث في كل وقت سواء حدثت أجناسها أو أفرادها يجب أن تُتَصور قبل كل شيء؛ فإذا عُرِفت حقيقتها وشُخِّصت صفاتها، وتصورها الإنسان تصورًا تامًا بذاتها ومقدماتها ونتائجها، طُبِّقت علىٰ نصوص الشرع وأصوله الكلية؛ فإن الشرع يحل جميع المشكلات، مشكلات الجماعات والأفراد».

وأخيرًا: فإن جهود هؤلاء الأعلام تجاه النوازل كثيرة سواء كانت جهودًا علمية أو عملية، ولعل هذه الأمثلة المذكورة تكون حافزًا لطلاب العلم وأهله في السعي إلىٰ بيان المسلك الشرعي تجاه المستجدات؛ فما أكثر الأحداث والنوازل في هذا العصر التي لم تحرر علمًا وتحقيقًا، وما أكثر المستجدات التي تحتاج إلىٰ مواقف عملية واضحة؛ فالتنصل والانزواء ليس حلًّا ولا تبرأ به الذمة، والله المستعان.

---

(١) انظر: الفتاوى السعدية (ص١٩٠)، مجموع الفوائد للسعدي (ص٨٩ -٩٧).

(١٠) وقفات مع جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالرد علىٰ المخالفين سواء أكانوا من المبتدعة أو الكافرين أو المنافقين أو غيرهم نوع من الجهاد في سبيل الله تعالىٰ فهو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، ففيه إظهار للسنة، وتحذير من البدعة، وقضاء علىٰ الفتنة، واستبانة سبيل المجرمين.

والرد علىٰ المخالفين لا يكون عملًا صالحًا مقبولًا إلا إذا أريد به بيان الحق وإظهاره، ورحمة الخلق وهدايتهم، كما كان أهل السنة قديمًا وحديثًا: يعلمون الحق ويرحمون الخلق.

وليس الحديث عن علماء نجد تعصبًا لإقليم.. فنعوذ بالله من دعاوىٰ الجاهلية ونعرات القومية، لكنه الحديث عن الأقربين، ممن لهم مواقف رائعة مغمورة، وأيادٍ بيضاء منسية، وجهاد ودعوة وصبر وتضحية كغيرهم، فمع أن علماء نجد كانوا منشغلين بالتدريس والفتيا والقضاء وغيرها إلا أنهم اجتهدوا في الرد علىٰ المخالفين أيًّا كانوا، فصدعوا بالحق لا يخافون في الله لومة لائم

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٨٢)، جمادى الآخرة (١٤١٥هـ). وتُمِّمَت مواضعُ منها من كتاب: «من سير الأئمة في قلب الجزيرة العربية» -مبحث: مواقف علماء نجد في الرد على المخالفين-.

ولم تمنعهم سطوة أحد من الخلق عن إبلاغ رسالات الله تعالىٰ، ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

اجتهد علماء نجد في الرد علىٰ المخالفين وسطروا كتبًا كثيرة، ورسائل متعددة في الرد علىٰ طوائف الكفر وأهل البدع وسائر المخالفين لدين الله تعالىٰ، ودوَّنوا أجوبة شافية في إزالة إشكالات وكشف شبهات، وحسبك أن تلقي نظرة علىٰ الجزء التاسع من كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» وكتاب: «مختصرات الردود» وتبلغ صفحات هذا الجزء ثمانٍ وأربعين وأربعمائة صفحة من الحجم الكبير، مع أن هذا الجزء يقتصر علىٰ بعض الردود لا كلها، وعلىٰ مختصرات الردود دون مطولاتها لتعرف مدىٰ ذلك.

ومن خلال متابعة واطلاع لجملة من هذه الردود، أقف بعض الوقفات:

١ . كثرة الردود وتعددها وشمولها:

ما أكثر الكتب والرسائل التي دونها أولئك العلماء في الرد علىٰ المنحرفين، وما أكثر القصائد التي نظمها العلماء في الجواب علىٰ المبتدعة وبقية المخالفين، وقد تميز بعض علماء نجد بكثرة الردود وتعددها.

ومن ذلك ما دوَّنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٣٨٥هـ)، وابنه العلامة عبد اللطيف (ت ١٣٩٣هـ)، والشيخ سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩) والشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري (ت ١٣٩٩هـ) والشيخ حمود بن عبد الله التويجري (ت١٤١٣هـ) رحمهم الله جميعًا.

- ولقد كتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن ردًّا علىٰ داود بن جرجيس النقشبندي[1]، وجملة من الردود علىٰ عثمان بن منصور[2]، وردًّا علىٰ ابن حميد صاحب «السحب الوابلة»[3]، وردًّا علىٰ محمود الكشميري[4]، وغيرهم[5].

- وأما الردود التي حررها العلامة عبد اللطيف فهي كثيرة، منها: رد مطوَّل وآخر مختصر علىٰ داود بن جرجيس[6]، وجملة من الردود علىٰ عثمان بن منصور[7]، والبراهين الإسلامية في الرد علىٰ الشبهات الفارسية، ورد علىٰ عبد اللطيف الصحاف[8]، وعبد الله بن عمير[9]، وقصيدة في الرد علىٰ البولاقي[10].

- وأما الردود التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان فهي كثيرة جدًّا، منها: «الأسنة الحداد في الردِّ علىٰ علوي الحداد»، و«الصواعق المرسلة الشهابية في الرد علىٰ الشبه الشامية» ردًّا علىٰ محمد الكسم السوري، و«كشف غياهب الظلام

(١) سمي هذا الكتاب بأسماء متعددة، منها: القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس، و: تأسيس التقديس، و: كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس. انظر: مجلة الدارة س٥ ع٤ (ص٩١-٩٢)، وكتاب دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص٦٢).

(٢) انظر: الدرر السنية (٩/ ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٤، ٢٣٠).

(٣) يسمى هذا الرد بـ«المحجة في الرد على اللجة». انظر: الدرر السنية (٩/ ١٥).

(٤) انظر: الدرر السنية (٩/ ٨٥).

(٥) كرده على رجل من أهل فارس، وآخر من أهل الأحساء، وثالث من أهل جبل سليمان. انظرها في: الدرر السنية (٨/ ١٢٨، ١٣٥، ١٥١).

(٦) سمي الرد المطول بـ«منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس»، وسمي الرد المختصر بـ«دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ».

(٧) منها كتابه: «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام». وانظر: الدرر السنية (٩: ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٩، ٣٥١).

(٨) سمي هذا الرد بـ«الإتحاف في الرد على الصحاف». انظر: الدرر السنية (٩/ ٣١٥).

(٩) انظر: الدرر السنية (٩/ ٣٥٢).

(١٠) انظر: الدرر السنية (٩/ ٣٧٤).

عن أوهام جلاء الأوهام» ردًّا علىٰ مختار العظم، و«الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق» ردًّا علىٰ جميل الزهاوي الشاعر، و«البيان المجدي لشناعة القول المجدي» ردًّا علىٰ بابصيل المكي، وله قصائد طويلة في ديوانه «عقود الجواهر المنضدة الحسان» في الرد علىٰ أئمة الضلال، مثل: أحمد زيني دحلان، والزهاوي، والنبهاني، ونحوهم.

- وحرر الشيخ عبد الرحمن الدوسري عددًا من المقالات والقصائد في هذا الباب، فكتب ردًّا علىٰ أحمد زكي رئيس تحرير «مجلة العربي»، ونظم قصيدة في الرد علىٰ الشاعر القروي النصراني، ونظم قصيدة تائية في الرد علىٰ المشككين بالقدر، وكتب ردًّا علىٰ القوميين والاشتراكيين، وجاء هذا الرد في حلقات متعددة نشرت في جريدة القصيم، وسطر الشيخ الدوسري مقالةً بعنوان: «لا يا صاحب الوشائج» في الرد علىٰ أحد المخدوعين بالقومية العربية، وقد نشرت هذه المقالة في مجلة «راية الإسلام»، وله مقالات أخرىٰ في الرد علىٰ المتأثرين بالقومية والماسونية[1].

- ودَوَّن الشيخ حمود التويجري عدة ردود منها: «إيضاح المحجة في الرد علىٰ صاحب طنجة» ردًّا علىٰ أحمد الصديق الغماري[2]، و«الرد القوي علىٰ الرفاعي والمجهول وابن علوي»، و«الانتصار علىٰ من أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار»، و«إقامة البرهان في الرد علىٰ من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان»، و«السراج الوهاج لمحو أباطيل أحمد شلبي عن الإسراء والمعراج».

---

(١) انظر: حياة الداعية عبد الرحمن الدوسري للطيار (ص ٨٧، ٢١٩-٢٣٢، ٢٤١-٢٧٣).
(٢) طبع سنة ١٣٨٥هـ.

ولم يقتصر علماء نجد في ردودهم علىٰ طائفة معينة فحسب، بل شملت ردودهم جميع الطوائف والمبتدعة، فكتبوا في الرد علىٰ الملاحدة الزنادقة والنصارىٰ، والباطنية، والمتصوفة والخرافيين، وكذلك الرد علىٰ الرافضة والأشاعرة وغيرهم.

فمما يتصل بالرد علىٰ النصارىٰ مثلًا: ما ألفه الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسىٰ[1] -رحمه الله- بعنوان: «القول الكفيل برد البرهان الجليل»، وهو رد علىٰ رسالة سماها صاحبها: «البرهان الجليل في صحة التوراة والإنجيل». كما كتب الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- رسالةً في بيان ما في الإنجيل من تحريف وتبديل[2].

ومما يتصل بالرد علىٰ الرافضة: «الرد علىٰ الرافضة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، «جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية» للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، «الحجج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة الإمامية» للشيخ سليمان بن سحمان[3]، كما اختصر الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بعضَ كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» لابن تيمية.

---

(١) ولد الشيخ ابن عيسى في شقراء سنة ١٢٥٣هـ، وطلب العلم على مشايخ الرياض، له مؤلفات وتلاميذ، واشتغل بالتجارة، وتولى القضاء وجلس للفتيا، توفي في المجمعة سنة ١٣٢٩هـ. انظر: علماء نجد (١/ ١٥٥)، مشاهير علماء نجد (ص٢٦٦).

(٢) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٣٩-٦٥).

(٣) حقق الباحث/ محمد الفوزان هذا الكتاب كجزء من رسالة ماجستير في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود، وطبع الكتاب في مكتبة الرشد بعنوان: «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة مع دراسة وإخراج كتابه الحجج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة والإمامية».

٢. تنوع الردود حسب اختلاف الأحوال:

تنوعت ردود علماء نجد واختلفت حسب ما استجد من الانحرافات والمخالفات، فغلب على رسائل أئمة الدعوة زمن الدولة السعودية الأولى الرد على المخالفين في توحيد العبادة لكثرة المخالف آنذاك، وأظهر مثال على ذلك ما نجده في مؤلفات ورسائل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ولما انتشرت الدعوة السلفية في بقية أنحاء الجزيرة العربية وخارجها احتاج الأمر إلى زيادة بيان وتفصيل في مبحث الأسماء والصفات، وذلك لغلبة الانحراف في هذا الباب في كثير من بلاد المسلمين، كما نجده جليًا في رسائل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين (ت١٢٨٢هـ) والشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه العلامة عبد اللطيف.

وفي هذا الزمان استفحل حكم الطاغوت في بلاد المسلمين، الذي تمثل في القوانين الوضعية، فاهتم علماء نجد بالرد على تلك القوانين، ومن ذلك ما سطره العلامة محمد بن إبراهيم في رسالته «تحكيم القوانين» وفتاويه وأجوبته المتعددة في تقرير الحاكمية لله تعالى، ونقد المؤسسات الوضعية والأنظمة الطاغوتية[١]، وكتب الشيخ عبد الرحمن الدوسري كتابًا في ثلاثة أجزاء بعنوان «الحق أحق أن يتبع» في نقد القوانين الوضعية.

ولما ظهرت موجة الإلحاد والاستهزاء بالغيبيات، وإنكار وجود الله تعالى، كما هو عند الشيوعيين، انبرى لهم علماء نجد، فكتب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) رسالة بعنوان «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين»، وكتب رسالة أخرى بعنوان «انتصار الحق» في الموضوع نفسه.

(١) انظر فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٧٠، ٤٦٨).

وكتب الشيخ ابن سحمان جوابًا عن أسئلة ألقاها بعض زنادقة عصره سنة ١٣٣٢هـ، حيث تتضمن هذه الأسئلة طعنًا في الحكمة الإلهية في تشريع مناسك الحج، وسمىٰ جوابه «إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل»

وعندما زاغ عبد الله بن علي القصيمي، تصدىٰ له علماء نجد بالرد فألف الشيخ السعدي رسالة بعنوان «تنزيه الدين وحملته عما افتراه القصيمي في أغلاله»، وألف الشيخ إبراهيم السويح (ت١٣٦٩هـ) كتابًا بعنوان «بيان الهدىٰ من الضلال في الرد علىٰ صاحب الأغلال»، وصنف الشيخ عبد الله بن يابس (ت١٣٨٩هـ) كتابًا بعنوان «الرد القويم علىٰ ملحد القصيم».

٣. لم تكن هذه الردود ترفًا أو فضولًا أو كلامًا باردًا:

لقد كان الباعث علىٰ تدوين تلك الردود هو الغيرة علىٰ دين الله تعالىٰ، والذب عن شعائر الله والغضب لحرمات الله عز وجل، فهذه الجهود في الرد علىٰ المخالفين من مقتضيات الولاء والبراء، ومن لوازم الحب في الله والبغض في الله، الذي يعد أوثق عرىٰ الإيمان كما أخبر الصادق المصدوق، ومن ثم فإن أحدهم يرد علىٰ المخالف أيًا كان، سواء أكان حاكمًا أو محكومًا، قريبًا أو بعيدًا، مع مراعاتهم لأحوال الناس ومنازلهم، ومدىٰ قربهم أو بعدهم عن الحق، فعلىٰ سبيل المثال نجد الشيخ حمد بن عتيق (ت١٣٠١هـ) يرد علىٰ اعتراضات أحد الحكام في زمانه، كما رد علىٰ أخطاء في تفسير فتح البيان للشيخ محمد صديق حسن رحمه الله، وكان الشيخ حمد في غاية الصلابة والشدة مع ذاك الحاكم، في حين كانت رسالته إلىٰ الشيخ محمد صديق حسن في غاية اللطف واللين، فمع ما وقع فيه الشيخ محمد صديق من أخطاء وهنات في تفسيره، ومع ما اشتهر عن ابن عتيق من الغيرة الإيمانية والقوة في دين الله تعالىٰ، إلا أننا نجد الشيخ ابن عتيق

يلتمس لمحمد صديق المعاذير، ويحسن الظن به، لما كان عليه محمد صديق من عموم الاتباع لمذهب السلف الصالح.

لقد صدع الشيخ بكلمة الحق أمام حكام زمانه، فلم يداهن أحدًا منهم بل رد عليهم دون خوف، فقال في إحدىٰ رسائله مخاطبًا أحدهم: «وأما ما ذكرت من التخويفات فجوابه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] ونصدع بالحق إن شاء الله، ولا قوة إلا به، ولا يمنعنا من ذلك تخويف أحد»[١].

ولا غرابة أن يقوم الشيخ هذا المقام الرفيع، فلقد كان من المدافعين عن هذا الدين، والغيرة علىٰ المسلمين كانت شغله الشاغل، وهمه الوحيد، حتىٰ إنه كتب جوابًا لمن عزاه في وفاة ابنيه قائلًا: «ولكن والله ما بلغت مصيبتي بالابنين معشار ما بلغ بي من المصيبة التي حلت بكثير من الإخوان... بينما الرجل يدعو إلىٰ التوحيد ويحذر من أهل الشرك إذا هو منقلب علىٰ عقبيه»[٢].

٤ . الانتصار لإخوانهم العلماء:

فإذا رد أحد هؤلاء الأعلام علىٰ بدعة أو مخالفة، فلا عجب أن يرد المخالف علىٰ هذا العالم، ومن ثم قام علماء نجد بالذب عن إخوانهم وحماية أعراضهم، وتقرير صحة ردودهم وتأكيدها.

ومن ذلك أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين كتب رسالة في تخطئة البوصيري في «بردته»، فقام أحدهم بالذب عن تلك البردة والرد علىٰ المعتقد

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/ ٢٦١).

(٢) هداية الطريق في رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق (ص٢٢٩).

الصحيح، فانبرىٰ الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في الدفاع عن أبي بطين وتقرير صواب رسالته.

ودافع الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن الشيخ حمد بن عتيق، عندما كتب الشيخ حمد بن عتيق رسالة في التحذير من موالاة الكفار، فشنع بعض الشامتين بالشيخ حمد، واستغلوا بعض الهنات في عبارات الشيخ حمد، فبادر الشيخ عبد اللطيف بالدفاع عنه فكان مما قاله: «فيجب حماية عرض من قام لله وسعىٰ في نصر دينه الذي شرعه، وترك الالتفات إلىٰ زلاته والاعتراض علىٰ عباراته، فالأمر سهل في جنب تلك الحسنات «وما يدريك لعل الله اطلع علىٰ أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

فليصنع الركب ما شاؤوا لأنفسهم   هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

ولما قال المتوكل لابن الزيات: يا ابن الفاعلة وقذف أمه، قال أحمد: أرجو الله أن يغفر له، نظرًا إلىٰ حسن قصده في نصر السنة وقمع البدعة»[1].

٥. جوانب عملية:

لا تنفك هذه الردود عن جوانب عملية ومواقف ظاهرة، فليست مجرد ردود نظرية علمية فحسب، بل اقتضت موجبها من الهجر، أو القتل، أو القتال ونحو ذلك.

ويقول الشيخ عبد الله أبو بطين عن أحد المنتسبين للعلم المردود عليهم: «وابن عجلان أقل الأحوال هجره، وأما النصيحة فلا تفيد في مثله»[2].

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ١٦٢، ١٦٣).

(٢) الدرر السنية (٩/ ٢٦٩).

وأفتىٰ الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بجواز قتل رافضي تطاول علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ[1].

ومن المواقف العلمية في هذا الصدد، ما فعله المحسن مقبل بن عبد العزيز الذكير حيث أنشأ ناديًا في البحرين لتحرير المقالات وإعداد الردود علىٰ النصارىٰ الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية، وقد تولىٰ الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (ت١٣٨٥هـ) رئاسة النادي، وقام به خير قيام[2].

٦. المناظرة مع المخالفين:

سلك بعض علماء نجد أسلوب المناظرة مع المخالفين، وذلك عندما دعت الحاجة إلىٰ مثل تلك المناظرات، ومن ذلك ما وقع في المناظرة بين الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين وعلماء مكة المكرمة سنة ١١٨٥هـ، ومناظرة بين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر (ت١٢٢٥هـ)[3] وعلماء مكة سنة ١٢١١هـ.

وتفصيل ذلك كما يأتي:

- في سنة ١١٨٥هـ أرسل والي مكة الشريف أحمد بن سعيد رسالةً إلىٰ الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- يطلب فيها أن يرسل إليه عالمًا يبين حقيقة ما يدعون إليه من الدين، ويناظر علماء مكة، فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين، ومعه رسالة من الشيخ الإمام، ولما وصل الشيخ عبد العزيز الحصين إلىٰ مكة اجتمع مع بعض علماء مكة، وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢٥٠) (١٢/ ١٨٧-١٩٠).

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (٣/ ٨٣٠).

(٣) ولد الشيخ حمد بن معمر في بلدة العيينة سنة ١١٦٠هـ وتتلمذ على الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في الدرعية، وجلس للتدريس، وتولى القضاء، له مؤلفات وتلاميذ، توفي بمكة سنة ١٢٢٥هـ. انظر: علماء نجد (١/ ٢٣٩)، مشاهير علماء نجد (ص٢٠٢).

فيها: الأولىٰ: ما نسب إلىٰ أتباع الدعوة من التكفير بالعموم، والثانية: هدم القباب التي علىٰ القبور، والثالثة: إنكار دعوة الصالحين للشفاعة.

فذكر لهم الشيخ عبد العزيز الحصين أن نسبة التكفير إلىٰ أتباع الدعوة السلفية زور وبهتان، وأما هدم القباب التي علىٰ القبور فهو الحق والصواب كما دلت علىٰ ذلك الأدلة الصحيحة، وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نص عليه الأئمة العلماء وقرروا أنه من الشرك كما هو صريح النصوص الشرعية الصحيحة[١].

فاقتنعوا واعترفوا بأن هذا دين الله تعالىٰ، وانصرف عنهم الشيخ عبد العزيز مبجَّلًا معززًا.

وفي سنة ١٢٠٤هـ أرسل غالب شريف مكة كتابًا إلىٰ الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ذكر فيه أنه يريد رجلًا عارفًا من أهل الدين يُعرِّفه حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأرسل إليه الشيخَ عبد العزيز الحصين، وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة لعلماء مكة، فلما قدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة أكرمه غالب واجتمع معه مرات، وعرض عليه رسالة الشيخ، فعرف ما بها من الحق والهدىٰ، فأذعن لذلك وأقر به، ولكنه بعد زمن أبىٰ وتمسك بقديم سيرته، فطلب منه الحصين أن يحضر العلماء ليقف علىٰ كلامهم ويناظرهم في أصول التوحيد، فأبوا الحضور، وقالوا للشريف غالب: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك، ورفع يدك عما يصل إليك من خير بلادك، فطار لبُّه حين سمع هذا الكلام، وأصرَّ علىٰ ما كان عليه[٢].

(١) انظر تفصيل هذه المناظرة في: روضة الأفكار لابن غنام (١/ ١٣١-١٣٣).

(٢) انظر تفصيل ذلك في: روضة الأفكار لابن غنام (١/ ١٧٢-١٧٥)، عنوان المجد لابن بشر (١/ ١٧٠-١٧٢).

- وفي سنة ١٢١١هـ أرسل الشريف غالب أيضًا رسلًا إلىٰ الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود يطلب منه علماء نجد من أهل التوحيد لينجلي له بمناظراتهم ما كان خافيًا عليه، فأجاب الإمام عبد العزيز وأرسل إليه جماعة من العلماء، وكبيرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وجرت مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد في بعض مسائل توحيد العبادة، وكان الشيخ حمد بن معمر يورد لبيان مقالته الأدلةَ والبراهين من الكتاب والسنة(١)، فاضطروا إلىٰ الإذعان والتسليم، ولما انقضت المناظرة طلبوا من الشيخ حمد بن معمر تأصيل براهينه وتسجيل ما ناظرهم به، فكتب في ذلك رسالة مفيدة(٢).

٧. دعوة المخالف:

كان الرد علىٰ المخالف يأخذ مسلكًا دعويًّا، يراد به دعوة المخالف إلىٰ اتباع الحق والدليل، مع رحمته والإحسان إليه.

ومن ذلك قصة الشيخ أحمد بن عيسىٰ (١٣١٩هـ) مع التاجر التلمساني كما حكاها الشيخ محمد نصيف قائلًا: «كان الشيخ أحمد بن عيسىٰ يشتري الأقمشة من جدة من عبد القادر التلمساني أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهبًا، فيدفع له منها أربعمائة، ويقسط عليه الباقي، وآخر قسط يحل ويستلمه التلمساني إذا جاء إلىٰ مكة للحج من كل عام، ثم يبتدئان من أول العام بعقد جديد، ودام التعامل بينهما

---

(١) وقد أشار العلامة الشوكاني إلى ذلك بقوله: «وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدم صاحبه في الدين» البدر الطالع (٢/ ٧).

(٢) طبعت هذه الرسالة بعنوان: «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب». انظر تفصيل هذه المناظرة في: روضة الأفكار (١/ ٢٠٠، ٢٠١).

زمنًا طويلًا، وكان الشيخ أحمد بن عيسىٰ يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يتخلف عن قسط ولا يماطل في أداء حقه، فقال له التلمساني: إني عاملتُ الناس أكثر من أربعين عامًا فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهابي، فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين، فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات، فقال: إنهم يقولون إنكم لا تصلون علىٰ النبي ﷺ ولا تحبونه، فأجابه الشيخ أحمد بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم، إن عقيدتنا ومذهبنا أن من لم يصلِّ علىٰ النبي ﷺ في التشهد الأخير فصلاته باطلة، ومن لا يحبه فهو كافر، وإنما الذي ننكره نحن أهل نجد هو الغلو الذي نهىٰ النبي ﷺ عنه، كما ننكر الاستعانة والاستغاثة بالأموات، ونصرف ذلك لله وحده.

يقول الشيخ محمد نصيف عن الشيخ التلمساني: فاستمر النقاش بيني وبينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام حتىٰ شرح الله صدري للعقيدة السلفية، وأما توحيد الأسماء والصفات فإن الذي قرأته في الجامع الأزهر هو عقيدة الأشاعرة وكتب الكلام، مثل: «السنوسية»، و«أم البراهين»، و«شرح الجوهرة» وغيرها، فلهذا دام النقاش فيه بيني وبين الشيخ ابن عيسىٰ خمسة عشر يومًا، بعدها اعتنقت مذهب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله تعالىٰ، ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسىٰ.

ثم إن الشيخ التلمساني أخذ يطبع كتب السلف... وصار من دعاة عقيدة السلف.

قال الشيخ محمد نصيف: فهداني الله إلىٰ عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني فالحمد لله علىٰ توفيقه»[1].

---

(١) علماء نجد (١/ ١٥٦-١٥٨) باختصار.

٨. عمق الوعي وسعة الاطلاع:

تميزت تلك الردود بعمق وعي أصحابها، وسعة اطلاعهم وفقههم واقعهم، ومعرفة مشكلات عصرهم.

ولقد حرص علماء نجد علىٰ نشر ردودهم في المجلات ذات الانتشار الواسع، مع صعوبة وتعذر الاتصالات آنذاك، فالشيخ ابن سحمان يكتب ردًّا علىٰ جريدة القبلة لسان الشريف الحسين بن علي، ويرسل هذا الرد إلىٰ «مجلة المنار»، ويكتب الشيخ العلامة السعدي رسالة إلىٰ مجلة المنار، فيثني ثناء حسنًا علىٰ المجلة وصاحبها، ويشير إلىٰ جهود تلك المجلة في نصرة الإسلام، ثم يبدي انتقاده علىٰ المجلة بضعف اهتمامها في الرد علىٰ الملاحدة والزنادقة، وأصحاب المسلك العقلاني، ويذكر السعدي في رسالته طنطاوي جوهري وما في تفسيره «الجواهر» من المزالق، ويربط هذا الاتجاه المنحرف بالاتجاه الفلسفي اليوناني القديم(١).

كما انتقد الشيخ محمد بن مانع في رسالة خطية محمد رشيد رضا في دعوته للتقريب بين أهل السنة والشيعة(٢)، وانتقد عمومًا المدرسة الإصلاحية، كما بعث الشيخ عبد الله بن يابس انتقادًا لكتاب «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا، وقد نشر في مجلة المنار، ثم أعقبه محمد رشيد رضا بالجواب(٣).

---

(١) انظر: مجلة المنار (مجلد ٢٩، ج٢، ص٤٦-٤٨).

(٢) آخر ما استقر عليه أمر الشيخ محمد رشيد رضا هو اقتناعه بعدم فائدة توجه التقريب مع الشيعة لما هم عليه من أصول تخالف الكتاب والسنة.

(٣) انظر: مجلة المنار (مجلد ٣٤ - ج٢ - ص١٤٠-١٤٦).

٩. قوة الحجة ووضوح البرهان:

لا شك أن اتباع الحق بدليله يورث يقينًا ورسوخًا، ومن ثم يتميز أهل الحق بقوة حجتهم، وثبات منهجهم، واطراد مسلكهم بخلاف أهل الباطل، فهم في ريبهم يترددون، يغلب عليهم التناقض والتذبذب.

ونلحظ من خلال ردود علماء نجد قوة الحجة، والثقة المطلقة بالمنهج الذي سلكوه مسلك أهل السنة والجماعة، ولا ريب أن هذه الحجج القوية نابعة من علم راسخ ويقين ثابت.

وقد كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: «أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كلًّا أخاصمه بكتب المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم»[(١)].

ومن ذلك أن مندوبًا إنجليزيًّا قدم البحرين وكان قسيسًا نصرانيًّا، ومعه كتاب يحوي شبهات في إثبات صحة النصرانية وتوهين دين الإسلام، فعرضه علىٰ حاكم البحرين عبد الله بن أحمد بن خليفة، وطلب منه عرضه علىٰ علماء البحرين ليجيبوا عليه أو يقروا بصحة ما فيه إن عجزوا، فَعُرِضَ عليهم فقالوا: لا نستطيع الرد عليه ولا علىٰ دفع الشبهة التي فيه. ثم بعثه إلىٰ علماء الأحساء فكان جوابهم مثل جواب أهل البحرين، وانقطع الجميع عن الرد عليه، فاغتمَّ حاكم البحرين غمًّا شديدًا، فقال له أحد خواصه: إنه يوجد في البحرين شاب من طلبة العلم بنجد، فأرىٰ أن تعرضه عليه عسىٰ أن يكون له عنده جواب، فأعطىٰ ابن خليفة الكتاب لرفيقه ليدفعه إلىٰ هذا الطالب، وهو الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الوهاب (٥/ ٣٨).

(ت ١٢٤٤هـ)[١]، فعرضه عليه وقص عليه الأمر، وتصفحه ثم أمعن النظر فيه وقال: «سأعطيكم الجواب عليه بعد شهر إن شاء الله تعالىٰ». فلم يمضِ الشهر حتىٰ دفع إليهم الجواب السديد، واسمه: «منحة القريب المجيب في الرد علىٰ عباد الصليب»[٢]، ففرح بالكتاب حاكم البحرين، ثم دعا القسيس الإنجليزي وناوله الرد، فلما قرأ الرد دهش من قوة الجواب وسداد الرأي، وقال لحاكم البحرين: لا يخرج هذا الرد من علماء هذه البلاد، ولا بد أن يكون من نجد. فقال له الحاكم: نعم هذا جواب أحد طلبة العلم النجديين[٣].

تلك وقفات تحتاج إلىٰ مزيد بسط وبيان، لكن حسبنا من هذه الوقفات العابرة أن تكون حافزًا للاطلاع علىٰ تراث أولئك العلماء، والتأسي بهم في جهودهم العلمية والعملية، وبالله التوفيق.

---

(١) ولد الشيخ عبد العزيز في الدرعية سنة ١٢٠٣هـ وطلب لعلم على مشايخ الدرعية، ثم انتقل إلى البحرين بعد سقوط الدرعية، ودرس على علماء الأحساء، له مؤلفات، توفي في البحرين سنة ١٢٤٤هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٤٤٥)، مشاهير علماء نجد (ص٢١٩).

(٢) تصدى الشيخ عبد العزيز للرد على ما تضمنه الكتاب من الطعن في الإسلام وأهله، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات، كما حقق في رسالة دكتوراه سنة ١٤٠٥هـ في قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود للباحث/ محمد بن عبد الله السكاكر، وقد طبعت في مجلدين سنة ١٤١٩هـ.

(٣) انظر تفصيل هذه القصة في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن معمر التي كتبها الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت١٣٦٧هـ) في مقدمة كتاب «منحة القريب المجيب». وانظر أيضًا: علماء نجد (٢/ ٤٤٦).

(١١) الدعوة في شخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١]

١. حظيت دعوة محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بدراسات كثيرة، وبحوث متنوعة، سواء كانت تلك الدراسات والبحوث في سيرة وترجمة صاحب هذه الدعوة، أو بيان مؤلفاته وآثاره العلمية، أو عرض لمنهجه في تقرير العقيدة، ومنها ما يتحدث عن أثر هذه الدعوة المباركة داخل الجزيرة العربية أو خارجها، ونوعية هذه الآثار سياسية كانت أو علمية أو اجتماعية، وغيرها.

ومع هذا الكم من الدراسات إلا أن هناك جوانب مهمة لم تأخذ حقها من الدراسة والتحليل، وفي هذه المقالة سأتعرض لأحد هذه الجوانب المهملة من حياة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهو جانب الدعوة، وبيان فقهه للدعوة، وأساليبها.

إن في كتب محمد بن عبد الوهاب عمومًا ورسائله الشخصية[٢] خصوصًا والتي يبعثها إلىٰ البلدان والعلماء والأمراء؛ معالم مهمة يحتاج إليها الكثير من الدعاة إلىٰ الله في هذا الزمان.

يركز الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيرًا علىٰ بيان وضوح هدفه وغايته من هذه الدعوة، فهو يدعو إلىٰ الله وحده لا شريك له، مخلصًا له الدين، ويحرص أيّما حرص علىٰ اتباع الحق مهما كانت الأحوال.

---

(١) نشر في مجلة البيان، العدد (٣٤)، جمادى الأولى (١٤١١هـ).

(٢) قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بجمع هذه الرسائل في مجلد مستقل، وذلك ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تولت الجامعة ترتيبها وطبعها، في أثناء انعقاد أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٤٠٠ هـ في الرياض.

يقول رحمه الله: «ولستُ -ولله الحمد- أدعو إلىٰ مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل: ابن القيم، والذهبي، وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلىٰ الله وحده لا شريك له، وأدعو إلىٰ سنة رسول الله ﷺ، التي أوصىٰ بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها علىٰ الرأس والعين»[1].

ويقول عن قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]: «التنبيه علىٰ الإخلاص، لأن كثيرًا لو دعا إلىٰ الحق، فهو يدعو إلىٰ نفسه»[2].

إن هذه الحقيقة البديهية وهي أن يدعو الشخص إلىٰ الله لا إلىٰ نفسه لا بد من استحضارها في جميع أحوالنا بالإخلاص، وكم نغفل عن هذه الحقيقة، فيدعو الشخص إلىٰ ما هو حق وصدق في ذاته، ولكن القصد هو مصلحة جماعة أو فرد أو نحوهما مما هو من حظوظ النفس، وربما كان هذا القصد مشوبًا بالإخلاص لله!! وقد يغيب عن الكثير أن هذه الدعوة لله وحده لا شريك له، أيًّا كان هذا الشريك.

ونلمس كما هو ظاهر من خلال النص الأول من كلام الشيخ، حرصه علىٰ اتباع الحق والبحث عنه ونجده مرة أخرىٰ يقول مخاطبًا أحد سائليه: «وأنا أجيبك عن الكتاب جملة، فإن كان الصواب فيه فنبهني وأرجع [أي: وسأرجع] إلىٰ الحق.. فالواجب علىٰ المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار»[3].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٢).
(٢) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله).
(٣) الدرر السنية (٣/ ١٨١).

إن التجرد في طلب الحق، واتباع الدليل والبرهان من أهم صفات الدعاة إلىٰ الله السائرين علىٰ منهج سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وكم يحزن المسلم عندما يرىٰ دعاة قد تحكمت بهم قناعات وآراء بلا دليل أو برهان، فلا يقبلون لها صرفًا ولا عدلًا.

وهكذا ندرك أن الشيخ قد صدق مع الله، وأخلص قصده لوجه الله، واتبع الحق حيث دار، ومن ثم وفقه الله، وحظيت دعوته بالتمكين، ونالت القبول في كثير من البلاد والعباد.

٢. وفق الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب لاستعمال الحكمة في دعوته، فنجده مراعيًا أحوال الناس، ومنازلهم، ومدىٰ قربهم من الحق أو عكسه، ومن ثم يتنوع أسلوبه في الدعوة حسب حال المدعو ومكانته. فعندما يخاطب أمير العُيينة عثمان بن معمر -والذي ناصر الدعوة في أول أمرها- يخاطبه بأسلوب فيه ترغيب وتحبيب فيقول: «إني أرجو إن قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله تعالىٰ، وتملك نجدًا وأعرابها»[١].

ويخاطب شيخه عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي بأسلوب تظهر فيه المحبة وصدق المودة فيقول له: «فإني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقًا لدين الله تعالىٰ كعمر ﷺ»[٢].

أما عن أعداء هذه الدعوة السلفية ممن شرق بها، فأظهروا العداوة والصد عن دين الله، فنجد أن الشيخ يخاطبهم وبما يناسب حالهم بأسلوب فيه شدة وغلظة، بعد أن استعمل معهم أسلوب اللين والملاطفة. يقول الشيخ مخاطبًا أحد

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٣٨).
(٢) الدرر السنية (١/ ٣٥).

مراسليه عند الحديث عن خصومه: «هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام، وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن وما زادهم ذلك إلا نفورًا»[١].

ويقول عن عبد الحق المويس بالذات: «استدعيته أولًا بالملاطفة، وصبرت منه علىٰ أشياء عظيمة»[٢].

فلما ظهرت عداوتهم، ولم ينفع معهم الأسلوب اللين، استعمل الشيخ معهم الشدة والحزم، فها هو يقول عن أحد خصومه الألداء وهو ابن سحيم: «لولا أن الناس إلىٰ الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه، لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله إلا هو لو يعرف الناس الأمر علىٰ وجهه، لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله، ووجوب قتالهم، كما أجمع علىٰ ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجًا من ذلك»[٣].

ويخاطب ابن سحيم قائلًا له: «ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله، وتُلبِّس علىٰ الجهال»[٤].

لقد كان الشيخ رحمه الله حادَّ المزاج[٥]، وقد صرف حدَّته في مكانها الصحيح، فجعلها في الانتصار لدين الله، والغيرة علىٰ محارم الله، والعداوة والبراءة من الشرك وأهله.

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب «الرسائل الشخصية» (٥/ ٣٠٠).
(٢) المرجع السابق (٥/ ١٤١).
(٣) المرجع السابق (٥/ ٣١٥).
(٤) المرجع السابق (٥/ ٢٣٣).
(٥) المرجع السابق (٥/ ١٣٤).

٣. ويظهر فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنفوس المخاطبين والمدعوين، ويدرك ما قد يعتري النفس البشرية -أحيانًا- من استعلاء، واستكبار عن قبول حق جاء من شخص لا تميل إليه تلك النفس، فيخاطب تلك النفوس ويوجهها إلىٰ التضرع إلىٰ الله وسؤاله الهداية فيما اختلف فيه من الحق، ومرة يخاطبها بالرجوع إلىٰ كتب أهل العلم دون الرجوع إليه، ومرة ثالثة يرشدها إلىٰ تدبر آيات القرآن الكريم.

يقول رحمه الله مخاطبًا أحد مراسليه: «وإن أردت النظر في «أعلام الموقعين» فعليك بالمناظرة في أثنائه بين مقلد وصاحب حجة، وإن لقي ذهنك أن ابن القيم مبتدع[١]، وأن الآيات التي استدل بها ليست هذا معناها، فاضرع إلىٰ الله، واسأله أن يهديك لما اختُلِف فيه من الحق، وتجرد ناظرًا ومناظرًا»[٢].

ويقول في موضع آخر: «وبالجملة فالذي أُنكره الاعتقاد في غير الله مما لا يجوز لغيره، فإن كنت قلته من عندي فارمِ به، أو من كتاب لقيته ليس عليه عمل فارمِ به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي فارمِ به، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسول الله ﷺ، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل أهل زمانه أو أهل بلده»[٣].

ويقول أيضًا: «إني أذكر لمن خالفني أن الواجب علىٰ الناس اتباع ما وصىٰ به النبي ﷺ أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم، انظروا فيها، ولا تأخذ من كلامي شيئًا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس»[٤].

(١) هذا الكلام على سبيل التنزل مع المخاطب.
(٢) المرجع السابق (٥/ ٣١٥).
(٣) الدرر السنية (١/ ٣٦).
(٤) الدرر السنية (١/ ٥٢-٥٣).

ويقول: «وإن صعب عليك مخالفة الكبر، أو لم يقبل ذهنك هذا الكلام فأحضر بقلبك إن كتاب الله أحسن الكتب، وأعظمها بيانًا وشفاء لداء الجهل، وأعظمها فرقانًا بين الحق والباطل، والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم، وقد ذكر في كتابه ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [النحل:٦٤] وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها في ذهنك، واعرضها علىٰ قلبك، فإنه إن شاء الله يؤمن بها علىٰ سبيل الإجمال»[١].

أرأيت إلىٰ هذا التجرد التام في تبليغ ما هو حق، وكمال النصح والإشفاق علىٰ المدعوين، وانظر إلىٰ إهماله ذاته من أجل دين الله ونصرته، إضافة إلىٰ سبره لأحوال النفوس وإدراك حقائقها وصفاتها.

٤ . يلاحظ من خلال رسائله الشخصية أن الشيخ مهتم بما قد يراه نافعًا ومجديًا لمصلحة الدعوة، فمن ذلك: إثارة النخوة في نفس المخاطب، فهو يحاول إقناع مخاطبه بقوله: «إن لك عقلًا، وإن لك عِرْضًا تشح به، وإن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ما تبيعه بالزهايد»[٢].

ويستثير همم أهل شقراء ضد خصوم الدعوة بقوله: «والله العظيم إن النساء في بيوتهن يأنفن لكم، فضلًا عن صماصيم بني زيد»[٣].

٥ . تميز الشيخ بقوة حجته وعلىٰ حسب حال المخاطب، كما يظهر فقه الشيخ لأساليب المناظرة والإقناع للخصم. فمن ذلك قوله رحمه الله: «أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي كلًّا أخاصمه

(١) الدرر السنية (١/ ٥٩).
(٢) الدرر السنية (١/ ٣٨-٣٩).
(٣) روضة الأفكار (١/ ١٠٧).

بكتب المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم»[1]. وكم وقع ويقع في هذا الوقت من صد عن دين الله وافتتان عن معرفته والتزام الصراط المستقيم، وذلك بسبب ضعف حجة أهل الحق، وهزالهم العلمي.

ويقول أيضًا معقبًا علىٰ رسالة بعثها أحدهم إليه: «قولك في الدليل علىٰ إثبات نبوة محمد ﷺ، ودليله الكتاب والسنة، ثم ذكرتَ الآيات، كلام من لم يفهم المسألة، لأن المنكر للنبوة أو الشاك فيها إذا استدللت عليه بالكتاب والسنة، يقول: كيف تستدل بشيء عليَّ ما أتىٰ به إلا هو، والصواب في المسألة أن تستدل عليه بالتحدي بأقصر سورة من القرآن، أو شهادة علماء أهل الكتاب»[2].

وأخيرًا، فإني أؤكد أن في الرسائل الشخصية لهذا الإمام، الكثير من المعالم المهمة والوقفات الجيدة.

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب «الرسائل الشخصية» (٥/ ٢٩٢). وانظر بحث: «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور عبد الله العثيمين ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) الدرر السنية (١/ ٥٦).

ثالثًا: خاتمةٌ

(جوانبُ تعبُّديَّةٌ في سير علماء نجد)[1]

(١) دُمِجت في هذا القسم مادَّتان: الأولى مقالة نشرت في مجلة البيان، العدد (٣٦١)، رمضان (١٤٣٨هـ) بعنوان: «العلماء العبَّاد .. علماء الدعوة بنجد أنموذجًا». والثانية فصلٌ من كتاب «من سير الأئمة في قلب الجزيرة العربية» بعنوان: «جوانب تعبدية في سير علماء نجد».

أفضل الأعمال بالإجماع: الصلاة والجهاد والعلم[1]، وقد يغلب علىٰ أصحاب الصلوات والعبادات والقيام بحقوق الله: الانقباضُ عن الإحسان إلىٰ الناس بالتدريس وقضاء حوائجهم والاحتساب عليهم، كما أن الذين ينهمكون في خلطة الناس لأجل الدعوة والحسبة ونشر العلم قد يلحقهم الفتور عن العبادات والصلوات، فقد يتعسَّر الجمع بين حقوق الربِّ وحقوق العبد، ولذا قال ابن رجب: «والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدًّا، لا يقوىٰ عليه إلا الكُمَّل من الأنبياء والصدِّيقين»[2].

ثم إن فتنة هذه الأمة وضلالها إما بسبب عالم فاجر، أو عابد جاهل، وأحسب أن علماء الدعوة -دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- قد جمعوا هذه الفضائل الثلاث: الصلاة والجهاد والعلم، فإن من نظر في رسائلهم، وطالع تراجمهم وجد فيها المهام الجسيمة والأعمال الكبيرة من التدريس، والفتيا، والقضاء، والحسبة، والجهاد بالسنان والبيان، ثم إن هذه الواجبات الضخام والوظائف العظام ما كان لهم أن يقيموها لولا أن القوم أصحاب حظ وافر من لزوم العبادات ودوام المجاهدات، والعزوف عن دار الغرور، والتعلق بالآخرة، والتهيؤ ليوم البعث والنشور.

وهاك أمثلة عملية علىٰ تعبُّد أولئك الأخيار، وزهدهم في الفاني واشتغالهم بالباقيات الصالحات.

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٦/ ٧٥).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٤).

- فهذا إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان كثير الذكر لله تعالىٰ، قلَّ ما يفتر من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وكان إذا جلس للناس ينتظرونه يعلمون إقباله إليهم قبل أن يروه من كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

وكان كثيرًا ما يلهج بقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

فأجاب سبحانه دعاءه، فصار في ذريته العلماء والعبَّاد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[(١)].

- وكان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين (ت: ١٢٣٧هـ) عالمًا عاملًا، زاهدًا ورعًا، حليمًا لا ينتصر لنفسه محببًا إلىٰ الناس، وليس للدنيا عنده قدر، ولا يركن إليها ولا يتعاطاها، بل قطع دهره في طلب العلم وبذله، جعل الله في علمه البركة للناس، وانتفع به رجال كثير[(٢)].

- وكان الشيخ عبد الله بن فايز أبو الخيل (ت: ١٢٥١هـ)[(٣)] مجتهدًا في العبادة. ووصفه ابن حميد -صاحب السحب الوابلة- بقوله: «وكان جلدًا في العبادة، وله مدارسة في القرآن العظيم، مع جماعة في جميع ليالي السنة، ويقرؤون إلىٰ نحو نصف الليل عشرة أجزاء أو أكثر، وأعرف مرة أنهم شرعوا في سورة الفرقان بعد العشاء وختموا، وكنت أحضر، وأنا ابن عشر مع بعض أقاربي

(١) انظر: عنوان المجد لابن بشر (١/ ١٨٠، ١٩٢).

(٢) انظر: عنوان المجد (١/ ٤٦٤، ٤٦٥).

(٣) ولد الشيخ عبد الله أبو الخيل في عنيزة، وطلب العلم في مكة، وتولى القضاء، له مؤلفات وتلاميذ، توفي في عنيزة عام ١٢٥١هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٦٠٧)، وروضة السنين (١/ ٣٢٦).

فيغلبني النوم، فإذا فرغوا حُملت إلىٰ بيتنا وأنا لا أشعر، كان مع القراءة يُراجع تفسير البغوي والبيضاوي كل ليلة»[1].

- وأما «مفتي الديار النجدية» في وقته العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين (ت: ١٢٨٢هـ) فقد وصفه صاحب «السحب الوابلة» بقوله: «كان ساكنًا وقورًا، دائم الصمت، قليل الكلام في كل شيء، كثير العبادة والتهجد، مواظبًا علىٰ درسي وعظٍ بين العصر وبين العشاءين في المسجد الجامع»[2].

- وكان الشيخ محمد بن عمر العمري (ت: ١٢٩٢هـ)[3] رحمه الله مضرب المثل في التقوىٰ والورع، فقد صار قاضيًا في الخبراء -بالقصيم- أكثر من عشر سنين، فكان لا يأخذ المخصص الذي للقاضي، ويتركه تعففًا.

وقد آتاه أمير الخبراء حملًا من البُرِّ فردها، فأرسل إليه بحملين، فردهما وقال: إنني لم أردهما لأنني متقالُّها، ولكني لست بحاجة إليه فإن كنتم ترغبون بقائي قاضيًا عندكم دون شيء، وإلا فأعفوني[4].

- وعرف الشيخ علي بن محمد آل راشد (ت: ١٣٠٣هـ) رحمه الله[5] بالورع والزهد، «ومن روعه، لما كان قاضيًا في عنيزة، أن امرأة من أمراء عنيزة، أهدت له

(١) جزء من السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، في مجلة العرب، سنة ١٢، ج٩، ١٠، (ص٦٩٤)

(٢) السحب الوابلة لابن حميد (٢/ ٦٣١).

(٣) ولد الشيخ محمد العمري في بريدة في مطلع القرن الثالث عشر، ودرس على علماء بريدة، وجلس للتدريس، وصار قاضيًا في الخبراء، واشتهر بالورع والقوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، توفي حوالي عام ١٢٩٢هـ. انظر: روضة الناظرين (٢/ ١٩٤)، وعلماء آل سليم (٢/ ٥٠٠).

(٤) انظر: روضة الناظرين (٢/ ١٩٤)، وعلماء آل سليم (٢/ ٥٠٠).

(٥) ولد الشيخ علي آل راشد في الزلفي عام ١٢٢٢هـ، ودرس على كبار علماء نجد والزبير، وجلس للتدريس والافتاء، وصار قاضيًا في عنيزة، له تلاميذ، توفي في عنيزة سنة ١٣٠٣هـ. انظر: علماء نجد (٣/ ٧٢٦)، وروضة السنين (٢/ ٩٧).

تينًا، ثم جاءت من الغد تخاصم رجلًا عنده، فما كان منه إلا أن طلب ماء فيه ملح، وتقيأ ما في بطنه، وقال: إن لي بأبي بكر الصديق ﷺ أسوة»[1].

«ومن أمثلة ورعه أن جامع بلدة آل جناح لما تعطل بخراب الجناح، صرف الشيخ عبد الله أبو بطين الأوقاف الخيرية التي عليه إلىٰ جامع عنيزة حينما كان قاضيًا في عنيزة، فلما ولي بعده الشيخ علي الراشد صار يصرف غلة هذه الأوقاف علىٰ عموم مساجد عنيزة، ولا يتناول منها شيئًا، كما أنه لما ولي القضاء قطع الذهاب إلىٰ دعوات المواطنين ولم يقبل من أحد شيئًا، وحمدت سيرته وظهرت بركة علمه وعمله»[2].

- واشتهر الشيخ علي بن سالم بن جلعود (ت: ١٣١٠هـ) رحمه الله[3] بكثرة العبادة وموالاتها.

يقول الشيخ عبد الله البسام: «حدثني شيخنا عبد الرحمن آل سعدي -رحمه الله- قال: كان الشيخ علي يصلي علىٰ الراحلة في طريقه إلىٰ الحج كل وقته، وكان في أيام منىٰ يذهب في النهار إلىٰ مكة ليوالي الطواف بالبيت، وكان يحج كل عام، ولا يفتر لسانه من الذكر وتلاوة القرآن»[4].

- أما العلامة عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت: ١٣٣٩هـ) فقد جمع بين الزهد في الدنيا، والكرم والسخاء، والإحسان إلىٰ الفقراء والأرامل والأيتام،

---

(١) روضة الناظرين (٢/ ٩٩).

(٢) علماء نجد (٣/ ٧٢٩).

(٣) ولد الشيخ علي بن جلعود في مدينة عنيزة، وقرأ على كبار العلماء، وجلس للتدريس والوعظ، وكان غيورًا على الدين، وصاحب عبادة وزهد، توفي في السيل الكبير بعد عودته من الحج سنة ١٣١٠هـ. انظر علماء نجد (٣/ ٧١٤)، وروضة الناظرين (٢/ ١٠٣).

(٤) علماء نجد (٣/ ٧١٥).

حتىٰ تراكمت عليه الديون، فباع عقاره ومواشيه، واستدان مبلغًا كبيرًا، فلما علم الملك عبد العزيز بذلك، قال له: «يا شيخ تستدين وأنا موجود؟!»، فقال الشيخ عبد الله: «تدخل علىٰ الله، ثم تدخل علىٰ الله، لا تفسد علىٰ ديني، لا تفسد علي ديني»[1].

- وأما «وزير المالية» في عصره: الشيخ المحسن: حمد بن فارس (ت: ١٣٤٥هـ)، فقد كان يجلس في مصلاه لصلاة الفجر يوم الجمعة يتلو القرآن حتىٰ يخرج الإمام لصلاة الجمعة[2].

- «وكان الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق (ت: ١٣٥٩هـ) رحمه الله[3] علىٰ جانب عظيم من قيام الليل والتعبد فيه، وكان له ورد يقوم به من الليل يطيل في الصلاة القراءة والركوع والسجود. فكان إذا أتىٰ مضجعه للنوم بعد العشاء الآخرة، بدأ بالصلاة علىٰ الصفة المذكورة، فصلىٰ بعض ورده، ثم ينام، فإذا بقي الثلث من الليل قام وشرع في الصلاة حتىٰ يكمل ورده، لا يترك ورده المذكور لا في الحضر ولا في السفر، حتىٰ إنه بعد ما كبر سنه وكان في سفره إلىٰ الحج أو غيره، إذا أولجوا من الليل، وعرسوا في أثناء الليل وقت كسل وعجز الأقوياء ورغبتهم في النوم، فلا يكاد رفقاؤه يتمكنون من الاضطجاع للنوم، إلا وقد انتصب هذا الشيخ قائمًا في الصلاة وأقبل علىٰ تلاوة القرآن والتهجد...»[4].

---

(١) الدرر السنية (١٥/ ٤٥٢).

(٢) ينظر: تذكرة أولي النهى والعرفان لابن عبيد (٣/ ١٧٠).

(٣) ولد الشيخ عبد العزيز في الأفلاج سنة ١٢٧٧هـ، وتتلمذ على والده ومشايخ الرياض، ورحل إلى الهند لطلب العلم، وجلس للتدريس، وتولى القضاء، توفي في الأفلاج عام ١٣٥٩هـ. انظر: علماء نجد (٢/ ٤٥١)، وروضة السنين (٢/ ٢٧٦).

(٤) علماء نجد (٢/ ٤٥٢).

- ويورد الشيخ إبراهيم آل عبيد جملة من الأحوال التعبدية لشيخه العلامة عمر بن محمد بن سليم (ت: ١٣٦٢هـ) رحمه الله[١]، فكان مما أورده:

«فأما تلاوته للقرآن فإنه كان يتلوه قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، وكان إذا خرج إلىٰ قرية، يرتب رفقته في دراسة القرآن حال السير، وكان له حظ من قيام الليل، ويحبُّ الخلوة بربه في حنادس الظلم، ويعامل الله بالعبادة والطاعة، ويكثر الصلاة بالنهار، وإذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد يترك التدريس بين العشاءيْن إذا أصيب بمصيبة، ويفزع إلىٰ الصلاة من المغرب إلىٰ العشاء. وكان مولعًا بالحج والعمرة، ويكثر من الطواف حتىٰ يمل من يطوف معه، فقد يشرع في الطواف الواحد من صلاة الغداة إلىٰ ارتفاع الشمس، ويداوم علىٰ الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وإذا اعتكف فإنه يفر من مخالطة الناس بحيث لا يجالسه أحد ولا يكلم أحدًا»[٢].

- وعندما نطالع سيرة العلامة عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) نجد فيها: أنه كان زاهدًا متعففًا عزيز النفس علىٰ قلة ذات يده[٣]، حتىٰ إنه عُيِّن مشرفًا علىٰ المعهد العلمي بعنيزة سنة ١٣٧٣هـ، وبراتب شهري قدره ألف ريال، ولكن الشيخ السعدي راسل رئاسة المعاهد العلمية مبديًا استعداده للإشراف علىٰ المعهد حسبةً لوجه الله تعالىٰ، ولا يريد علىٰ ذلك حظًّا دنيويًّا، وقبلت الرئاسة شاكرة له هذا الصنيع الذي لا يصدر إلا من عالم زاهد يبتغي وجه الله[٤].

---

(١) ولد الشيخ عمر بن سليم في مدينة بريدة عام ١٢٩٩هـ طلب العلم على كبار علماء نجد، جلس للتدريس وتولى القضاء، وله عدة تلاميذ، ونفع الله به البلاد والعباد، حتى توفي في بريدة عام ١٣٦٢هـ. انظر: مشاهير علماء نجد (ص ٣٥٧)، وعلماء آل سليم (١/ ٩٨).

(٢) تذكرة أولي النهى والعرفان (٤/ ١٥٦، ١٥٧) باختصار.

(٣) ينظر: روضة الناظرين للقاضي (١/ ٢٢٣).

(٤) مقال «الشيخ عبد الرحمن السعدي» للدكتور عبد الرحمن العدوي، مجلة الجامعة الإسلامية، س١١، ع٤، (ص٢٠٥).

يقول الدكتور عبد الرحمن العدوي -في أثناء معاشرته للسعدي-: «وكان من سيرته -عليه رحمة الله- أنه في موسم الحصاد تأتي إليه ثمار النخيل والبساتين التي وقفها أصحابها علىٰ مسجد الجامع[1]، فكان الشيخ يجمع كل هذه الثمار في المسجد ويوزعها علىٰ الفقراء والمساكين، ولا يأخذ تمرة واحدة يدخلها فاه أو ينقلها إلىٰ بيته، وسألت أحد الأبناء المقربين إليه: من أين ينفق الشيخ علىٰ حاجات معيشته؟ فأخبرني أن له ابنين يعملان بالتجارة في الرياض، ويرسلان إليه ما يحتاج من النفقة ولا مورد له غير هذا، وإن ولد الإنسان من كسبه... وهكذا تكون سيرة العلماء في الاكتفاء بالقليل والزهد فيما يزيد علىٰ ذلك»[2].

- وحفلت حياة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم (ت: ١٣٨٩هـ) بأمثلة متعددة في تعبده وزهده، فمن ذلك ما أورده الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم بقوله: «ومما لا يعرفه الكثيرون عنه ما يتصف به رحمه الله من العفة والتورع عن أخذ ما ليس له، أو ما يرىٰ فيه شبهة، فكان حريصًا علىٰ ألَّا يدخل نفسه في مداخل مشتبهة، ولم يعرف أنه اشتغل بالبيع أو الشراء لا بالاستقلال ولا بالمشاركة، بل كان مقتصرًا علىٰ ما يتقاضاه مقابل عمله، بل إنه كان يشغل عدة أعمال، ولم يكن يأخذ انتدابًا مقابل انتقاله إلىٰ مدينة الطائف صيفًا. وكان رحمه الله من أكثر الناس استحضارًا لعظمة الله، كثيرًا ما تسمعه يلهج بذكر الله والاستغفار، وتغرورق عيناه بالدموع، حينما يكون في موقف مناجاة لله أو يسمع بعض ما يحرك القلوب، ولقد كان ذلك يتجلىٰ كثيرًا فيما يحييه من الليل بالصلاة التي كان يواظب عليها في إقامته وسفره، وقد لا يعرف هذا كثير من الناس الذين لم يتصلوا به وقد صحبته زمنًا طويلًا وهو يقوم ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل لا يترك ذلك»[3].

---

(١) وكان الشيخ السعدي إمام وخطيب جامع عنيزة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقدمة فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٧-١٩)، باختصار يسير.

- وإذا نظرنا في حياة العالم الذي أفنىٰ عمره في جمع فتاوىٰ ابن تيمية في سبع وثلاثين مجلدًا، ثم أعقبه بجمع بفتاوىٰ ورسائل علماء نجد في «الدرر السنية»؛ إنه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ)، فلقد كان عابدًا تقيًّا، يختم القرآن في كل أسبوع، وأما في رمضان فإنه يختم عشرين ختمة، حتىٰ في مرض موته كان يقرأ القرآن كاملًا من صدره، وكان يسكن في بيت متواضع صغير في بلدة العمارية، وزاره الملكُ سعود بن عبد العزيز في ذلك البيت، وعرض عليه أن يبني له بيتًا غير هذا، فقال الشيخ ابن قاسم: قد بنيتُ لي دارًا أنتظر الرحيل إليها[١].

- وأما العلامة عبد الله بن محمد بن حميد (ت: ١٤٠٢هـ) فقد وصفه ابنه الشيخ صالح قائلًا: «كان رحمه الله دينًا ورعًا، صالحًا عفيف النفس، غير متزلف لذي جاه أو نفوذ، شديد الاحتمال، وكان يربأ بالعلم أن تُنال به حظوة أو يسعىٰ به إلىٰ مرتبة»[٢].

- وكان الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري (ت: ١٤١٣هـ) رحمه الله من أولي القوة في طاعة الله تعالىٰ وعبادته. وهاك مقالة أحد أبنائه في وصف دقيق لعبادة والده: «نذر الشيخ -رحمه الله- نفسه لله؛ فلا تراه إلا في عبادة، فنهاره للعلم بحثًا وكتابة. وأما ليله فيقضي جزءًا كبيرًا منه -وهو ثلثه الأخير- في التهجد والصلاة حضرًا كان أو سفرًا، لم يدع ذلك حتىٰ في أثناء مرضه إلىٰ أن عجز عن ذلك، وأما الوتر فلم يتركه إلىٰ آخر يوم في حياته.

لقد حفظ الشيخ وصية رسول الله ﷺ لعدد من أصحابه، فما كان يدع صيام ثلاثة أيام من كل شهر، حتىٰ وهو يعاني شدة المرض في أخريات حياته، وكذلك صيام عشر ذي الحجة وستة أيام من شوال وعاشوراء وغيرها.

---

(١) ينظر: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم حياته ومؤلفاته لعبد الملك القاسم (ص٢٩٣، ٣٠٢).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام، للشيخ عبد الله بن حميد (ص٢٠).

كما كان رحمه الله حريصًا علىٰ المتابعة بين الحج والعمرة، حج مرارًا كثيرة، وكان يعتمر كل سنة ويحرص عليها في رمضان.

لقد كان لسان الشيخ رطبًا بالقرآن، يقرؤه علىٰ كل حالة قائمًا وقاعدًا، ومضطجعًا، حتىٰ إنه ليقوم ببعض أعماله وهو يقرأ القرآن، وكان يختم القرآن كل سبع، إلَّا في رمضان فيختم كل ثلاث، وكان يقرأ في صلاة الليل كل يوم أربعة أجزاء ونصفًا تقريبًا»[١].

ومهما يكن.. فأحوالهم التعبدية لا تنقضي، ومشاهد زهدهم لا تنتهي، لكن أمرًا تحسن الإشارة إليه في هذا الشأن، وهو أن ذلك التعبد المشروع الذي لازم القوم، والزهد الذي عمر قلوبهم، والتقىٰ الذي استحوذ علىٰ شؤونهم قد أورثهم يقينًا بترك ملامة الخلق، والإقبال علىٰ عبادة الخالق، ومحاسبة النفس، وكما في الأثر -الذي ساقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد- عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم علىٰ رزق الله، وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله»[٢].

فهذا العلامة عبد الرحمن بن حسن (ت: ١٢٨٥هـ) أدرك الدولة السعودية الأولىٰ، وعاين سقوطها، وتسلُّط العساكر التركية والمصرية علىٰ بلادهم بالقتل والتخريب والإفساد، وعلل ذلك السقوط بأنه من «آثار الذنوب التي حدثت، لما عمَّت البلوىٰ فيهم بفتنة الشهوات، وذلك بأسباب، منها: توفر الدنيا عليهم، وإقبالهم علىٰ طلبها، والإسراف فيها، وتمكن بطانة السوء وكثرتهم، وقربهم من

(١) مقال «العلامة حمود التويجري، عالم فقدناه» لابن الشيخ عبد الكريم بن حمود التويجري. مجلة الأصالة، العدد الثالث،)ص٣٦، ٣٧ (باختصار يسير).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣).

الإمام، فضعف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وقلَّ جدًّا، وكثر عليه الأذىٰ، فوقعت العقوبة بسبب ما وقع من التفريط»[1].

وخاطب العلامةُ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ت: ١٢٩٣هـ) الإمامَ فيصل بن تركي بما كانت عليه الدولة آنذاك من الظهور والصولة زمن شيخ هذه الدعوة -محمد بن عبد الوهاب- ووزيره العبد الصالح -محمد بن سعود- علىٰ حسب تعبير العلامة عبد اللطيف، ثم أشار إلىٰ سبب انهيار الدولة السعودية الأولىٰ من باب تذكير الإمام فيصل والاعتبار، فقال: «ثم حدث فيهم من فتنة الشهوات ما أفسد علىٰ الناس الأعمال والإرادات، وجرىٰ من العقوبة والتطهير، ما يعرفه الفطن الخبير»[2].

وبالجملة فإن تحقيقهم التوحيد بلوازمه، والقيام بعبادة الله وحده أورثهم تيقظًا جانبوا به الغفلات، ومنحهم تخوُّفًا من عواقب الذنوب، فجافوا به الغمرات والشهوات، فعندما تطالع «الدرر السنية» تجد أنها حافلة بالنصائح العامة للأمة[3]، ونصائح للراعي وسائر الأئمة، والتذكير للغافل والتعليم للجاهل، فإظهار التناصح صار ثقافة سائدة وعادة راتبة عندهم، فالعالم وطالب العلم ينصح، كما أن الإمام والأمير وغيرهم ينصحون.

ومن هذه النصائح العامة ما سطَّره الشيخ حمد بن عتيق (ت: ١٣٠٦هـ) ناصحًا لعموم المسلمين، حيث استهلَّ نصيحته بما يأتي:

---

(١) الدرر السنية (١٢/ ٤١-٤٢) باختصار.

(٢) الدرر السنية (١٤/ ١٩٧)، وأكد هذا المعنى ابنه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف، ينظر: الدرر السنية (١٤/ ٢٨١).

(٣) انظر: الأجزاء الرابع عشر إلى السادس عشر من الدرر السنية فهي عن «النصائح».

«الموجب للخط هو النصح لكم، والشفقة عليكم، خوفًا من نزول بأس الله بنا وبكم، وذلك مما فشا من المنكرات، وجاهر به الخواص والعوام من الموبقات»[1].

وأخيرًا فإن التعبُّد لله وخشيته يبعث على الصدع بالحق، والإشفاق على الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وهذا ما كان عليه علماء الدعوة بنجد، فقد جهروا بالحق، وزجروا الخلق بعلم ورفق. وهاك مثالين على ذلك، أحدهما: ما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن حسن إلى الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي قائلًا له: «والله ثم والله إن لم تجعلها أمر دين، وتدعو الناس إلى ما أمرهم الله به، إنْ تشفق سكون قرية من قرى نجد وأنت مطلوب، لكن إن تسلط عليك أحد وأنت تأمر بما أمر الله به ورسوله فالله مع المتقين، فإن كنتَ على هذه الحالة فلا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

والمثال الآخر: ما دوَّنه عشرة من علماء الدعوة بنجد في رسالة خاطبوا فيها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، فكان مما قالوه: «ما عذرك يا عبد العزيز عند الله إذا كان المسلمون في كل زمان تظهر عليهم نابغة شر، ثم تثبط المسلمين عن دفعها، وتقول: هذه مصلحة وسياسة، أما المصلحة والسياسة فلا شك أنك مقدم فيها، ومسؤول عنها، ونحن ساعدناك فيها».

(١) الدرر السنية (١٤/ ٢٣٣).
(٢) الدرر السنية (١١/ ٤٨).

إلىٰ أن قالوا: «ولكن السياسة الغبية ما تسوغ لك، وافطن لقول الصحابي: فإن عرض بلاء فافد بمالك دون نفسك، فإن تجاوز البلاء فافد نفسك دون دينك»[1].

وأخيرًا إن هذا التعبد لله وحده -وما يتبعه من بيان الحق والنصيحة للخلق- قد حقق لعلماء الدعوة بنجد مواقف خالدة كان لها أعظم الوقع والأثر علىٰ سائر الناس بما في ذلك الأعداء والخصوم! حتىٰ إن الطاغية إبراهيم باشا لما هدم الدرعية، وأسقط الدولة السعودية الأولىٰ، ثم انصرف إلىٰ القاهرة، فاستقبله الأزهريون، لم يتلفت إليهم! ثم قال: العلماء الحقيقيون هم في صحارىٰ نجد؛ لما رأىٰ من إيمانهم وصدقهم[2].

(١) الدرر السنية (٩/ ٣٥٠- ٣٥١) باختصار.

(٢) ينظر: علماء نجد للبسام (١/ ٥٣).